

وَقَفَّ بِالْبُحْرَانِ

سِلْسِلَةُ شُرُوحَاتٍ وَمَوْاقِفَاتٍ مَعَانِي الشَّيْخِ صَلَاحِ الْقُرْآنِ ٥٠

شَرْحُ
فَتْحِ الْمَجِيدِ

بِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ

لِلإِمَامِ / مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَقَّرَ لَهُ

تَالِيفُ

الشَّيْخِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَوَّارِ
أَمْرًا لِلَّهِ لَمْ يَسْرِفْ وَبِغَيْرِ

الشَّيْخِ لِمَعَالِي الشَّيْخِ الْمَقْدُوسِ

الْمُؤَلَّفِ الْفَرِيدِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَوَّارِ

مُصَوِّفُهُ كِتَابُ الْمَقَامِ وَمَعْنَاهُ الْمَقَامُ الرَّابِعُ لِلْإِسْلَامِ
بِقَرَارِ اللَّهِ لَهُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمُؤَلَّفِ الْفَرِيدِ

أَمْرًا لِلَّهِ لَمْ يَسْرِفْ وَبِغَيْرِ

د. سَلَمَانُ جَابِرُ عَشْمَانُ الْمُجَلِّدُ السَّوْدِيُّ

بِقَرَارِ اللَّهِ لَهُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمُؤَلَّفِ الْفَرِيدِ

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

طَبْعُ عَلَى نَقْعٍ

خَدِيجَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْهَادِي بَغْلَفَتِ

رَحِمَهَا اللَّهُ وَعَقَّرَهَا وَلَوْ لَدَيْهَا وَلَدُهَا لَمَنْعَ الْمُسْلِمِينَ

تَوَزِيعُ

بِمَقَامِ الرَّحْمَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْمَقَامِ الرَّابِعِ لِلْإِسْلَامِ
الرِّيَاضُ - ص. ٩٢٦٧٥ الرِّبْرِ الرَّابِعِ ١١٦٦٣

شَرْحُ
فَتْحِ الْمَجِيدِ
بِشَرْحِ
كِتَابِ التَّوْحِيدِ
لِلإِمَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
رَحِمَهُ اللَّهُ
وَعَقَّرَ لَهُ
تَالِيفُ
الشَّيْخِ
ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بْنِ حَسَنِ
بْنِ مُحَمَّدِ
بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْقَوَّارِ
أَمْرًا
لِلَّهِ
لَمْ
يَسْرِفْ
وَبِغَيْرِ
الشَّيْخِ
لِمَعَالِي
الشَّيْخِ
الْمَقْدُوسِ
الْمُؤَلَّفِ
الْفَرِيدِ
ابْنِ
مُحَمَّدِ
بْنِ
عَبْدِ
الرَّحْمَنِ
الْقَوَّارِ
مُصَوِّفُهُ
كِتَابُ
الْمَقَامِ
وَمَعْنَاهُ
الْمَقَامُ
الرَّابِعُ
لِلْإِسْلَامِ
بِقَرَارِ
اللَّهِ
لَهُ
وَالْإِسْلَامُ
لِلْمُؤَلَّفِ
الْفَرِيدِ

شَرْحُ
فَتْحِ الْمَجِيدِ
بِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله

شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ١/٤، / صالح بن فوزان بن

عبد الله الفوزان؛ سلمان جابر عثمان المجلهم - ط١، - الرياض، ١٤٤٤ هـ
٤ مج.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٩٦٨-٥-٣ (مجموعة)

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٩٦٨-٧-٧ (ج٢)

١- التوحيد ٢- العقيدة الاسلامية أ. المجلهم، سلمان جابر عثمان

(محقق) ب- العنوان

١٤٤٤/٦٦٢٥

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٦٢٥

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٩٦٨-٥-٣ (مجموعة)

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٩٦٨-٧-٧ (ج٢)

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

(١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م)



مَكْتَبَةُ الْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

الفرع الرئيسي، حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت، ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف، ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء، الناصر مول، تلفون، ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل، البرج الأخضر - شارع الديوس - تلفون، ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض، المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٠٠٩٦٦ ٥٥٧٧٦٥١٣٨

الخط الساخن، جوال ٠٠٩٦٥ ٩٤٤٠٥٥٥٩



z.zahby74@yahoo.com



Imamzahby



شَرْحُ
فَتْحِ الْمَجِيدِ

بِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ

لِلْإِمَامِ / مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَفَّرَ لَهُ

تَأَلَّفَ

السَّيِّحُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْوَهَّابِ
أَجَزَلَ اللَّهُ لَهُمُ السُّورَةَ وَالْغُفْرَةَ

الْشَّيْخُ لِمَعَالِي الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

الرَّكُورِ هَذَا ابْنُ فَوْزَلَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَوْزَلَةِ
عَضُوهُ صِبْغَةُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَعَضُوهُ لِبَيْتَةِ الدَّائِمَةِ لِلْإِفْتَاءِ
عَفَّرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ السَّالِمِينَ

اعْتَمَدَ بِهِ وَأَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عُثْمَانِ الْمُجَاهِدِ السُّوَيْلَمِ

عَفَّرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِأَخِيهِ

الْبَيْتُ الْبَارِئُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩ - بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ش: سبب نزول الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها، وهو أن مشركي قريش جحدوا اسم الرحمن عناداً^(١).

إن الإيمان بالله يشمل الإيمان بأسمائه وصفاته، فمن جحد الأسماء والصفات، لم يكن مؤمناً بالله عَزَّوَجَلَّ، فلا بد من الإيمان بأسماء الله وصفاته مع الإيمان بالله، هذا ما عليه المسلمون من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعليه هذه الأمة المحمدية؛ أنها تؤمن بالله جَلَّوَعَلَا وبأسمائه وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هذه الآية هي المنهج العام في الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ: مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ)، يعني: من جحد شيئاً من الأسماء والصفات، ما حكمه؟ (شيئاً)، ولو صفة واحدة، ولو اسماً واحداً. «شيئاً»، فكيف بمن جحد الأسماء والصفات، أو جحد الصفات كيف يكون هذا مؤمناً بالله عَزَّوَجَلَّ؟!!

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٥٣١)، وابن كثير (٤/ ٤٦٠).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠])،
﴿وَهُمْ﴾، أي: الكفار، ﴿يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾، والرحمن: اسم من أسماء الله
يتضمن صفة الرحمة.

الرحمن: رحمة عامة لجميع المخلوقات والدواب، وكل شيء يدخل
تحت هذه الآية: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

وأما الرحيم: فإنه للمؤمنين، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾
[الأحزاب: ٤٣]، فهو رحمة خاصة بالمؤمنين، وأما الرحمن، فهو رحمة عامة، حتى
الكفار يدخلون تحتها.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (سبب نزول الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها)،
لما قال لهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١).



(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١)، ومسلم - واللفظ له - (١٧٨٤) عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ قُرَيْشًا
صَالَحُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فِيهِمْ سَهْلُ بْنُ عَمْرِو. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللَّهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.
وَلَكِنْ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. فَقَالَ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ» قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا
أَنَّكَ رَسُولٌ لَاتَّبَعْنَاكَ. وَلَكِنْ اكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكْتُبْ
مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ».

ش: قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، والرحمن اسمه وصفته، دل هذا الاسم على أن الرحمة وصفه -سبحانه-، وهي من صفات الكمال. فإن كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه -تعالى-، وهو من الأسماء التي دلت على كماله -سبحانه وبحمده-، فجحود معنى هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك. فإن جهم بن صفوان، ومن تبعه يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فلهذا كفرهم كثيرون من أهل السنة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠])، لما سمعوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه، ويقول: يا الله، يا رحمن، يا رحيم. قالوا: انظروا إلى هذا الرجل؛ يدعو إلى التوحيد، وهو يقول: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] ^(١).

لما قال لهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قالوا: مَا نَعْرِفُ إِلَّا رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ -يعنون مسيلمة الكذاب؛ لأنه تسمى بالرحمن -قبحه الله-،

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢٣/١٥)، وزاد المسير (٦٠/٣)، وابن كثير (١٢٨/٥)، والتحرير والتنوير (٢٣٦/١٥).

لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة-، فالله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والرحمن اسمه وصفته)، الرحمن: اسم، والرحمة صفة؛ لأن كل اسم من أسماء الله يشتق منه صفة له سبحانه، ولذلك قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، صارت حسنى؛ لأنها يشتق منها صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فإن كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه -تعالى-، وهو من الأسماء التي دلت على كماله -سبحانه وبحمده- فبحود معنى هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك)، كل أسماء الله وصفات التي وردت في الكتاب والسنة يجب الإيمان بها؛ الإيـان بالله وبأسمائه وصفاته، فمن جحد شيئاً من الأسماء أو من الصفات، فليس مؤمناً بالله عَزَّوَجَلَّ، وإن ادعى أنه يؤمن بالله.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فإن جهم بن صفوان، ومن تبعه يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى)، الجهم بن صفوان رئيس الجهمية الضلال يـحدون صفات الله عَزَّوَجَلَّ، يـحدون أسمائه وصفاته، ويزعمون أنه ذات مجردة؛ لشبهة أنهم ينزهون الله عن الشرك، ويزعمون أن الصفة إله آخر -تعالى الله عن ذلك!

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٨١ - ٤٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٦)، والدر المنثور (٥/ ٣٧٦ - ٣٧٧)، وفتح الباري (١٠/ ٥٧١).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم)، المعتزلة جاءوا بعد الجهمية، سُموا معتزلة لأنهم كانوا من تلاميذ الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ؛ كانوا يحضرون مجالسه ودروسه، ثم انعزلوا عنه، فسموا معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا الإمام الحسن البصري إمام التابعين، لما أعلن الإيثار بالأسماء والصفات.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فلهذا كفرهم كثيرون من أهل السنة)، كفرهم كثيرٌ من أئمة أهل السنة لما جحدوا الأسماء والصفات، ولا يؤمنون إلا بذات مجردة من الأسماء والصفات، وهذا قول باطل يتضمن الكفر؛ لأن الإيثار بالله يشمل الإيثار بأسمائه وصفاته.



ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (١):

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
وَاللَّا لَكَائِي الْإِمَامُ حَكَاهُ عِنْدَهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

فإن هؤلاء الجهمية، ومن وافقهم على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات كماله ونعوت جلاله.

وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم، فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا.

هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبّهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطلوه من صفات كماله، وشبّهوه بالناقصات والجهادات والمعدومات.

فشبّهوا أولاً، وعطلوا ثانياً، وشبّهوه ثالثاً بكل ناقص أو معدوم، فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته.

هذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، فإنهم أثبتوا لله ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذي حذوه.

(١) انظر: التوبة مع شرحها لابن عيسى (١/ ٢٩٠).

فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك، ويثبتون ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات كماله، ونعوت جلاله، لا تشبه صفاته صفات خلقه^(١).

فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك، فتناقضوا فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل - والله الحمد والمنة-، وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
وَاللَّائِكَاثِي الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

هذا حكمهم عند أهل السنة والجماعة.

قال الإمام ابن القيم: (وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ)، يعني: الجهمية.

(خَمْسُونَ فِي عَشْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ)، يعني: خمسمائة عالم من أهل السنة والجماعة كفروا الجهمية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم، فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسماً)، شبهتهم في نفي الأسماء والصفات أنهم يقولون: إن هذه

(١) ذكر هذا الكلام الذهبي في العلو (ص ٢٣٦، ٢٥٣) وعزاه إلى الخطابي.

الأسماء وهذه الصفات يوصف بها المخلوقون، فالله سميع والمخلوق سميع، الله بصير والمخلوق بصير، وهكذا، وما فهموا -أو تعاموا- أن هناك فرقاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وإن اتفقت في الاسم، فهي مختلفة في المعنى، وإن اتفقت في الاسم. فالله سميع والمخلوق سميع؛ ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ﴾، يعني: الإنسان ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، فالمخلوق سميع، يوصف بأنه سميع، يوصف بأنه بصير، يوصف بأنه حكيم، ولكن هناك فرقاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق. وهذه الآية حاسمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فنفى عن نفسه المثلية، وأثبت لنفسه السمع والبصر، والمخلوق يقال: سميع، ويقال: بصير، له سمع، وله بصر، لكن هناك فرقاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وأسماء الخالق وأسماء المخلوق؛ كما أن هناك فرقاً بين ذات الخالق وذات المخلوق، فلا تشابه، وإن اتفقت في الاسم، فهي مختلفة في المعنى والحقيقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسماً)، الجسم هذا الذي يقولون، لم يرد به كتاب ولا سنة بهذا اللفظ، لفظ الجسم. لكن إن أرادوا الجسم الذي له أسماء وصفات، فنحن نؤمن بذلك، لكن لا نقول: جسم، الجسم هذا من عندهم، فلا نقول: إنه جسم، لا نفيه، ولا نشبهه؛ لأنه لم يرد في الكتاب والسنة. لم يرد في الكتاب والسنة إطلاق الجسم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين)، لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، فالله سميع والمخلوق سميع، الله بصير والمخلوق بصير، لكن هناك فرقاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق؛ كما أن هناك فرقاً بين ذات الخالق وذات المخلوق.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه)، شبهوه بخلقه -تعالى الله-، ثم عطلوه، شبهوا أولاً، ثم عطلوه ثانياً.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات)؛ لأن الشيء الذي ليس له أسماء وصفات ليس موجوداً، ليس هناك شيء موجود وليس له اسم، وليس له صفة، ولكن فرق بين صفات الخالق وأسماء الخالق وصفات وأسماء المخلوق.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فشبهوا أولاً وعطلوا ثانياً، وشبهوه ثالثاً بكل ناقص أو معدوم)، وقعوا فيما أشر مما فروا منه، وقعوا في شر أعظم من شر مما فروا منه؛ لأنهم وصفوه بالعدم؛ لأن الشيء الذي ليس صفات وليس له أسماء هذا ليس بموجود، ليس هناك شيء ليس له أسماء وصفات، لكن كلُّ له صفات وأسماء تليق به؛ فالله له أسماء وصفات تليق به، والمخلوق له أسماء وصفات تليق به، فهم لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، ولذلك عطلوا وجحدوا، فوقعوا في شر أشد من الشر من الذي زعموه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته)، هذا هو الفاصل: على ما يليق بجلاله وعظمته. فأسماء الله وصفاته لائحة به سبحانه، وصفات المخلوق وأسماء المخلوق لائحة بالمخلوق، وإن اتفقت في الاسم واللفظ، فهي مختلفة في المعنى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها)، عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وأئمة الأمة من أكابر العلماء من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، هم على هذا المذهب الصحيح؛ أن الله له أسماء وصفات لائحة به، وأن المخلوق له أسماء وصفات لائحة به، ولا تشابه بينهما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإنهم أثبتوا لله ما أثبتته لنفسه)، يعني: أهل السنة والجماعة أثبتوا لله ما أثبتته لنفسه في الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأثبت له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت لله الأسماء والصفات، وأهل السنة اتبعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إثباتاً بلا تمثيل)، هذا الفرق: إثباتاً بلا تمثيل، فنقول: لله أسماء وصفات لائحة به وبجلاله، وللمخلوق أسماء وصفات لائحة به، ولا تشابه بينهما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل)، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فنفى أن يشبهه أحد من خلقه، وأثبت

له الأسماء والصفات، فدل على أن إثبات الأسماء والصفات لله لا يقتضي التشبيه - كما يقولون -، لا يقتضي التشبيه الذي فروا منه، فهو تحيل باطل.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات)؛ كما أن الله ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين، فله أسماء وصفات لا تشبه أسماء وصفات المخلوقين. وهذه الآية حد فاصل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، هذا نفي للمشابهة، ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فدل على أن إثبات الأسماء والصفات ليس فيه تمثيل ولا تشبيه - كما يقولون.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، يعني: أهل السنة والجماعة، (فإنهم)، أي: أهل السنة والجماعة آمنوا بالله.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل - والله الحمد والمنة -، وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين)، بالعقل والنقل والإجماع.



ش: وقد صنف العلماء -رحمهم الله تعالى- في الرد على الجهمية، والمعتلة، والمعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم في إبطال هذه البدع، وما فيها من التناقض والتهاافت، كالإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في رده المشهور، وكتاب «السنة» لابنه عبد الله^(١)، وصاحب «الحيدة» عبد العزيز الكناني في رده على بشر المريسي^(٢)، وكتاب «السنة» لأبي عبد الله المروزي^(٣)، ورد عثمان بن سعيد على

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني، كان إماماً خبيراً بالحديث وعالماً مقدماً فيه، وكان من أروى الناس عن أبيه، وقد سمع من صغار شيوخ أبيه، وروى عنه أبو القاسم البغوي والمحاملي وأبو بكر الخلال وغيرهم، وكان ثبناً فهِماً ثقة، ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦)، والعبر (١/ ٤١٨)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٧٧).

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي، قدم بغداد في أيام المأمون، وجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرات في القرآن، وهو صاحب كتاب «الحيدة»، وكان من أهل العلم والفضل، وله مصنفات عديدة، وكان ممن تفقه للشافعي، واشتهر بصحبته، توفي سنة أربعين ومائتين.

أما كتابه «الحيدة» فقد ضمنه مناظرته مع بشر المريسي، وقد أثبت نسبة الكتاب إليه غير واحد، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقل منه في درء التعارض (٢/ ٢٤٥ - ٢٥١)، وقد شرح جلاً من كلامه من (٢/ ٢٥١ - ٢٦١)، وذكره ابن النديم في الفهرست (ص ٢٣٠)، والخطيب في تاريخه (١٠/ ٤٤٨) وقال: (وهو صاحب كتاب الحيدة)، وكذا ذكره ابن العماد في الشذرات (٣/ ١٨٣)، وابن حجر في تهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٣). أما الذهبي فقد شكك فيه في الميزان (٢/ ٦٣٩)، ونسبه إليه في تاريخ الإسلام (٥/ ٨٧٢)، وقال: (صاحب كتاب الحيدة)، وكذا قال في العبر (١/ ٣٤١).

(٣) هو مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْمَرْوَزِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْإِمَامُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ. مَوْلَدُهُ: بِبَغْدَادَ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ، وَمَنْشُؤُهُ بَيْسَابُورَ، وَمَسْكَنُهُ سَمَرْقَنْدُ، =

الكافر العنيد^(١)، وهو بشر المريسي. وكتاب «التوحيد» للإمام الأئمة محمد بن خزيمة الشافعي^(٢)، وكتاب «السنة» لأبي بكر الخلال^(٣)، وأبي عثمان الصابوني

= كَانَ أَبُوهُ مَرْوَزِيًّا، ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ، فَقَالَ: إِمَامٌ عَصَرَهُ بِلَا مُدَافَعَةٍ فِي الْحَدِيثِ. كَتَبَ الْكَثِيرَ، وَبَرَعَ فِي عُلُومِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ إِمَامًا مُجْتَهِدًا عَلَّامَةً، مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِاخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، قُلَّ أَنْ تَرَى الْعِيُونَ مِثْلَهُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ: (حَدَّثَ عَنْ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ، ثُمَّ سَمَى جَمَاعَةً، وَقَالَ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِاخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الْأَحْكَامِ). قَالَ الْذَهَبِيُّ: (يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ الْأَئِمَّةِ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ). انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٨٥-٨٧)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٤٦)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ١٦٥-١٦٦)، والعبر (١/ ٤٢٦)، وطبقات الحفاظ (ص ٢٨٩).

(١) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الامام العلامة الحافظ الناقد أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني صاحب المسند الكبير والتصانيف، ولد قبل المائتين ببسبر، وطوف الأقاليم في طلب الحديث، له رد على المريسي والجهمية، وهو مطبوع باسم: «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، أو «نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد». انظر: تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٦١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٣٠٢)، وطبقات الحفاظ (ص ٢٧٧-٢٧٨).

(٢) هو كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، للإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف، قال عنه أبو حاتم بن حبان التميمي: (ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها، حتى كأن السنن كلها بين عينيه، إلا محمد ابن إسحاق ابن خزيمة فقط) اهـ، وقال الإمام أبو العباس بن سريج - وذكر له ابن خزيمة -: (يستخرج النكت من حديث رسول الله بالمنقاش) اهـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥ - ٣٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٢٠٧-٢١٣)، وشذرات الذهب (٤/ ٥٧، ٥٨).

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة وعالمهم أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون ابن يزيد البغدادي الخلال، ولد في سنة أربع وثلاثين ومائتين أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتوفي سنة =

الشافعي^(١)، وشيخ الإسلام الأنصاري^(٢)، وأبي عمر بن عبد البر النمري^(٣)، وخلق كثير من أصحاب الأئمة الأربعة، وأتباعهم، وأهل الحديث.

= إحدى عشرة وثلاثمائة، له من المصنفات كتاب «الجامع في الفقه» في عشرين مجلداً، و«العلل» في ثلاث مجلدات، و«السنة» في ثلاث مجلدات. انظر: تاريخ بغداد (٣١٩/٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٩٧/١٤)، وشذرات الذهب (٥٥/٤ - ٥٦)، وطبقات الحفاظ (ص ٣٣١).

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني النيسابوري الحافظ الواعظ المفسر، كان من أئمة الأثر، شديداً على المبتدعة، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة، وله كتاب «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» مشهور متداول. انظر: تاريخ دمشق (٣/٩)، وسير أعلام النبلاء (١٨/٤٠)، والبداية والنهاية (١٢/٩٥)، والوافي بالوفيات (٨٦/٩)، وشذرات الذهب (٥/٢١٢ - ٢١٤).

(٢) هو الإمام الحافظ الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي ابن جعفر بن منصور بن مت الأنصاري الهروي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان إمام الزمان في فنون الفضائل وأنواع المحاسن، صنف كتاب «الفاروق في الصفات»، وكتاب «ذم الكلام»، وكتاب «الأربعين حديثاً»، وله في التصوف كتاب «منازل السائرين»، وقصيدة في مذهبه، ومناقب أحمد بن حنبل، كان مولده سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. انظر: الوافي بالوفيات (١٧/٣٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١٨/٥٠٣)، والبداية والنهاية (١٢/١٦٦)، وشذرات الذهب (٥/٣٤٩).

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف المليحة، منها: «التمهيد»، و«الاستذكار» و«الاستيعاب»، و«جامع بيان العلم وفضله»، وغير ذلك، ولد يوم الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاث مائة، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربع مائة يوم الجمعة آخر يوم شهر ربيع الآخر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٣)، والوافي بالوفيات (٢٩/٩٩)، والبداية والنهاية (١٢/١٢٧)، وشذرات الذهب (٥/٢٦٦ - ٢٦٩).

ومن متأخريهم: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة^(١)، وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم - رحمهم الله تعالى -، فله الحمد والمنة - على بقاء السنة، وأهلها مع تفرق الأهواء، وتشعب الآراء، والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (كالإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في رده المشهور)، الإمام أحمد له كتاب مشهور مطبوع الآن وموزع: «الرد على الجهمية».

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وكتاب «السنة» لابنه عبد الله)، كتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد - أيضًا - مطبوع وموجود.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وخلق كثير من أصحاب الأئمة الأربعة، وأتباعهم، وأهل الحديث)، كل هؤلاء كتبهم موجودة، يثبتون لله ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات. فدل هذا على أنه لا يلزم من إثبات الأسماء والصفات تشبيه الله بخلقه كما يقولون.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومن متأخريهم: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة)، عبد الله بن قدامة الإمام المشهور عند الحنابلة الذي صنف كتاب «العمدة» في الفقه وغيره له كتاب في إثبات أسماء الله وصفاته.

(١) هو موفق الدين المقدسي أحد الأئمة الأعلام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي صاحب التصانيف، ولد سنة إحدى وأربعين وخمسة، صنف «المغني» و«الكافي» و«المقنع» و«العمدة في الفقه»، وغيرها الكثير، قال الذهبي: (كان عالم أهل الشام في زمانه) اهـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥)، وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٠١)، والعبر (٣/ ١٨٠ - ١٨١)، وشذرات الذهب (٧/ ١٥٥ - ١٦٣).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فلله الحمد والمنة على بقاء السنة، وأهلها مع تفرق الأهواء، وتشعب الآراء)، الحمد لله، وجود هذه الكتب لأهل السنة تدمغ أهل الباطل وتدحضهم، وتبين باطلهم، وهي موجودة ومتوفرة ومطبوعة وموزعة.



وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

[ش:] «عَلِيٌّ»: هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب، وأحد الخلفاء الراشدين.

وسبب هذا القول -والله أعلم-: ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القصاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل، فربما استنكرها بعض الناس وردها، وقد يكون لبعضها أصل، أو معنى صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك، فأرشدهم أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف، ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال من الحرام الذي كلفوا به علماً وعملاً، دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم إلى التكذيب، لا سيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»)، هذه قاعدة: أنك لا تأت أناساً يجهلون، ثم تحدثهم بما لا يفهمون فينكرونه، لا تحدثهم إلا بما يفهمون، علمهم أولاً ثم حدثهم.

(١) أخرجه البخاري (١٢٧)، وفيه: «أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

أما أن تأتيهم وهم جهال، وتحديثهم بما لا يعرفون فسينكرونه، فتكون أنت السبب. فلا تحدث عند العوام وعند الناس الذين لم يتعلموا بأشياء لا يفهمونها وهي حق فينكرونها؛ لأنهم لم يدرسوها ولم يفهموها، لا تحدث إلا من يفهم ويعلم ما تقول؛ كل مقام له مقال.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: ((عَلِيٌّ)): هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب)، هذا قول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتَرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»، هذه كلمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وأحد الخلفاء الراشدين)، رابع الخلفاء الراشدين المهديين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وسبب هذا القول -والله أعلم- ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القصاص وأهل الوعظ)، هو يعني أهل الوعظ والقصاص؛ ينهاهم أن يحدثوا الناس بشيء لا يعرفونه؛ فينكرونه وهو حق، فينهاهم عن ذلك، «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتَرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ».

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وسبب هذا القول -والله أعلم-: ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القصاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل، فربما استنكرها بعض الناس وردّها، وقد يكون لبعضها أصل، أو معنى صحيح، فيقع بعض المفسد لذلك)، يقول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا تَبْلُغُهُ

عُقُوبُهُمْ؛ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ»^(١)؛ فتنة تصرفه عن الحق، وينكر الحق؛ لأنه جاهل لا يدري.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأرشدهم أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف، ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال من الحرام الذي كلفوا به علمًا وعملاً، دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم إلى التكذيب، لا سيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم)، واليوم جاءت هذه المواقع وما يوجد فيها من غث وسمين ومن حق وباطل، فأربكت كثيرًا من الناس، وسببها أنهم أسمعوهم أشياء ما كانوا يفهمونها فأنكروها، لو علموهم قبل ذلك وبينوا لهم، ما كان شيء من ذلك.



ش: وقد كان شيخنا المصنف رَحِمَهُ اللهُ، لا يجب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي: كـ«المنعش»، و«المرعش»، و«التبصرة»؛ لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده. والمعصوم من عصمه الله.

وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ينهى القصاص عن القصص؛ لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك، ويقول: «لَا يَقْصُّ إِلَّا أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ»^(١).

وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم علماً وعملاً ونية وقصدًا، وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه من البدع ووسائلها، والله الموفق للصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وقد كان شيخنا المصنف رَحِمَهُ اللهُ)، كان شيخنا: الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ صاحب «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد».

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٤/٣٩، ٣٩٦، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣١)، وأبو داود (٣٦٦٥)، والبزار في مسنده (١٩٢/٧)، والطبراني في الكبير (١٨/٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٧٨، ٧٦) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد كان شيخنا المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ)، شيخنا المصنف؛ لأن عبد الرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشيخ عبد الرحمن ابن حسن أدرك جده، وأخذ عنه؛ لذلك يقول: (شيخنا).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي: كـ«المنعش»، و«المرعش»)، يعني: كتب الوعظ، ابن الجوزي له كتب وعظ يأتي فيها بأشياء قد ينكرها بعض الناس؛ لأنهم لا يعرفونها: «المنعش»، و«المدهش»، فلا بد أن يحدث الناس بما يعرفونه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ ينهى القصاص عن القصص)، القصاص: الوعظ، فكان معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة ينهى عن القصص على الناس بالأشياء الغريبة والتي لا يفهمونها، فيأمر بالآلا يحدث الناس إلا بما يفهمونه.



وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصِّفَاتِ؛ اسْتِنَكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَّقَ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟». انْتَهَى^(١).

ش: قوله: «وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ»: هو ابن همام الصنعاني المحدث محدث اليمن صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري. وهو شيخ عبد الرزاق يروي عنه كثيرًا^(٢).

وَمَعْمَرٌ -بفتح الميمين وسكون العين- أبو عروة بن أبي عمرو راشد الأزدي الحرائي ثم اليماني: أحد الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري يروي عنه كثيرًا^(٣).

قوله: «عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ»: هو عبد الله بن طاووس اليماني. قال مَعْمَرٌ: كان من أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة^(٤).

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٣٩) وفي مصنفه (١١/ ٤٢٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٢).

(٢) انظر في ترجمة عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ: تاريخ دمشق (٣٦/ ١٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣)، وإكمال تهذيب الكمال (٨/ ٢٦٦)، وميزان الاعتدال (٢/ ٦٠٩).

(٣) انظر في ترجمة معمر رَحِمَهُ اللَّهُ: تاريخ دمشق (٥٩/ ٣٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٥)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٣٠٠)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٥٤).

(٤) انظر في ترجمة عبد الله بن طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ: مشاهير علماء الأمصار (ص ٣٠٤)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٦٧٩)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٤١٢)، والوافي بالوفيات (١٧/ ١١٨).

قوله: «عن أبيه»: هو طاوس بن كيسان الجندي - بفتح الجيم والنون - الإمام العلم، قيل: اسمه ذكوان، قاله ابن الجوزي^(١) ^(٢).

قلت: وهو من أئمة التفسير ومن أوعية العلم.

قال في تهذيب الكمال: عن الوليد الموقري عن الزهري قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قال: قلت: من مكة.

قال: فمن خلفت يسودها وأهلها؟

قلت: عطاء بن أبي رباح، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قلت: فبم سادهم؟ قال: قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا.

قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيسان، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء، قال: إنه لينبغي ذلك.

قال: فمن يسود مصر؟ قلت: يزيد بن حبيب، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل.

(١) انظر: كشف النقاب عن الأسماء والألقاب لابن الجوزي بتحقيق الصاعدي (ص ٣٠٩).

(٢) انظر في ترجمة طاوس رَحْمَةُ اللَّهِ: مشاهير علماء الأمصار (ص ١٩٨)، وتاريخ الإسلام

(٣/ ٦٥)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٥٢)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٢٣٦).

قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران.
 قال: فمن العرب أم من الموالي، قال: قلت: من الموالي.
 قال فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مزاحم، قال:
 فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي.
 قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن البصري، قال فمن
 العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي.
 قال: ويلك، ومن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي،
 قال:

فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب.
 قال: ويلك يا زهري فرجت عني، والله لتسودن الموالي على العرب
 في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلت: يا أمير
 المؤمنين، إنما هو دين: من حفظه ساد، ومن ضيعه سقط^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ
 حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصِّفَاتِ اسْتِنكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَّقُوا
 هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟)، هذا الأثر فيه أن
 هناك جماعات من أهل الضلال ينكرون أسماء الله وصفاته، ويزعمون أن
 إثبات الأسماء والصفات يقتضي الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاحِدٌ.

(١) أورده الحافظ المزي بصيغة التمریض في تهذیب الکمال (٢٠/ ٨١-٨٢)، وأخرجه الحاكم
 في معرفة علوم الحديث (ص ١٩٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ٣٩٣).

نعم، هو واحد- سبحانه-، لكن يزعمون أنه إذا قيل: السميع البصير، الرؤوف الرحيم، ونحو ذلك، أن هذا من الشرك؛ فهم ينفون الصفات؛ يرون أن هذا هو التوحيد، وأن إثبات الأسماء والصفات شرك بالله عَزَّجَلَّ، ويرون أن الله جَلَّوَعَلَا ذات مجردة، ليس له أسماء ولا صفات -بزعمهم-، وهذا ضلال وكفر بالله عَزَّجَلَّ.

ولكن زين لهم شياطين الإنس والجن هذا المذهب الخبيث، وإلا فإن أسماء الله وصفاته من صفات الكمال ونعوت الجلال، وكلما كثرت أسماء الشيء، دلت على عظمته، فهذا من جهلهم، ولذلك أنكروا الأسماء والصفات وجحدوها، وظنوا أن هذا هو التوحيد.

والواقع أن هذا ليس إيماناً بالله سُبْحَانَهُوَعَلَى، حتى تؤمن بالله وبأسمائه وصفاته، وهذه الأسماء والصفات الكثيرة العظيمة تدل على عظمة الله سُبْحَانَهُوَعَلَى، ولكن أهل الضلال زين لهم شياطين الإنس والجن هذا المذهب، وهو أن الله جَلَّوَعَلَا ليس له أسماء ولا صفات؛ لأن ذلك يقتضي الشرك عندهم، وهذه مخالفة للعقول، ومخالفة للكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: «وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَاقِ»: هو ابن همام الصنعاني المحدث)، ، عبد الرزاق الصنعاني، مشهور من أئمة أهل اليمن، الصنعاني يعني: له صناعة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: «وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَاقِ»: هو ابن همام الصنعاني المحدث)، وكذلك: همام بن منبه من علماء اليمن الكبار.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو دين: من حفظه ساد ومن ضيعه سقط)، هذه النتيجة، أن السبب في ظهور هؤلاء مع أنهم ليسوا من العرب أنهم سادوا بالعلم والعمل، وهذا العلم من أخذ به ساد، ومن تركه ضاع.



ش: قوله: «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ»: قد تقدم، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، ودعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(١). وروى عنه أصحابه أئمة التفسير: كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء ابن أبي رباح، وطاوس وغيرهم.

قوله: «مَا فَرَّقُوا هَؤُلَاءِ؟»: يستفهم من أصحابه، يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن ومعناه، حصل معهم فرق -أي: خوف-، فإذا سمعوا شيئاً من أحاديث الصفات، انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيذان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: حدث وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرب على الكرسي»، فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع. وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث، ولا ينكرونها. أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب الرد على الجهمية^(٢). وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول ترك ما وجب من الإيذان به، فتشبه حالهم حال من قال الله فيهم: ﴿أَفَتَوْمِنُونَ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٥، ٥/ ٦٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٣)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٣).

(٢) الحديث أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ٣٠٢) موقوفاً على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأثر وكيع أورده الذهبي في العلو للعلي الغفاري (ص ١٥٨)، وفي العرش (٢/ ١٥٥، ٢٥٣).

بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴿البقرة: ٨٥﴾، فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الإيمان بكتاب الله كله واليقين؛ كما قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿آل عمران: ٧﴾﴾. فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن، وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن. وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى الذي أراد الله، فيحمله على غير معناه؛ كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية، ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته، وقد وقع منهم الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم، فإن الواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس.

وسبب هذه البدع: جهل أهلها وقصورهم في الفهم، وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها، وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد، والتوفيق بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضاً، ورد المتشابه إلى المحكم، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فله الحمد لا نحصي ثناء عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ»: قد تقدم، وهو خبر الأمة وترجمان القرآن، ودعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ،

وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ)، هذه الدعوات النبوية نفع الله بها هذا الرجل الذي هو ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فساد الناس بالعلم والعمل -مع صغر سنه-، وهذا العلم الشرعي من أخذه وعمل به، ساد، ولو كان ليس عريباً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، ودعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»)، يعني: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «مَا فَرَّقُوا هَؤُلَاءِ؟»: يستفهم من أصحابه، يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن ومعناه حصل معهم فَرَقٌ أي: خوف، فإذا سمعوا شيئاً من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين)، هذا الذي يجدونه عند ذكر أسماء الله وصفاته من الاستنكار هو بسبب الجهل، وأنهم لم يتلقوا العلم عن أهل العلم الموثوقين، وهذه نتيجة التتلمذ على علماء الضلال؛ أنه يسري في طلابهم. فيجب التتلمذ على أهل العلم المعروفين به الثابتين عليه؛ كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَاَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»^(١).

فيجب على طالب العلم أن يختار العلماء الراسخين، ولو أنه يسافر إليهم؛ ليأخذ عنهم العلم، ولا يتتلمذ على العباد والزهاد الذين ليس عندهم علم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: حدث وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرب على الكرسي» فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع.

(١) أخرجه مسلم (١/١٤) عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال: أدر كنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها)، مع أن الله يقول: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، يعني: علا وارتفع، والاستواء على العرش صفة من صفات الأفعال، يفعلها الله إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإلا هو في العلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق مخلوقاته، وأحياناً يستوي على العرش، يعني: يرتفع على العرش -والعرش: هو سقف المخلوقات^(١)، وهو أعظم المخلوقات-^(٢)، يستوي على العرش استواءً يليق بجلاله، ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، وإنما هو استواء يليق بجلال الله، نؤمن به ونثبته، ولا نحرفه عن معناه؛ لأن بعضهم يفسر

(١) كما في حديث الأبيط الذي أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٢/١)، والطبراني في الكبير (١٢٨/٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٥٤/٢)، وابن عبد البر في التمهيد (١٤١/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦١/١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص ٣٣٠)، والآجزي في الشريعة (١٠٩٠/٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٣٧/٣) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقَى اللَّهُ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟! وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟! إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ هَكَذَا. وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيُطُّ بِهَ أَطِيطُ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الطبري في تفسيره (٥٣٩/٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨٧/٢) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ».

قوله: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: استولى على العرش^(١)، وهذا كلام باطل، ليس في الكتاب ولا في السنة هذا التفسير.

هو مستولٍ على العرش وعلى غيره من مخلوقاته، لا ميزة للعرش في ذلك على غيره من المخلوقات، إذا كان القصد أنه استولى، فهو مستولٍ على كل شيء، ليس على العرش فقط. أما ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهو في سبعة مواضع من كتابه، كلها بلفظ: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، إلا لفظاً واحداً: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]^(٢).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول ترك ما وجب من الإيمان به، فتشبه حالهم حال من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥])، هذه آفة خطيرة؛ الذي يؤمن ببعض الآيات، ويؤمن ببعض الأسماء والصفات، وينكر البعض الآخر مع ثبوته لله عزَّ وجلَّ، وهذا بسبب الجهل، وبسبب أخذ العلم عن أهل الضلال والمنحرفين.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٤/٥)؛ حيث ذكر اثني عشر وجهًا في إبطاله، وانظر أيضًا فيه (٣٩٥/١٦) وما بعدها. وقال ابن القيم في النونية (٣٩٦/١):

هَذَا وَمِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا يَنْطَلُ التَّفْسِيرُ بِأَسْتَوَى بِذِي الْعِزِّ فَإِنْ
قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامِهِ هَذَا الشَّانَ بَخَرِ الْعَالَمِ الْحَرَّانِي
وفي «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» (ص ٣٧١): رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من اثنين وأربعين وجهًا.

(٢) ورد ذكر الاستواء في سبعة مواضع: سورة الأعراف آية (٥٤)، وسورة يونس آية (٣)، وسورة الرعد آية (٢)، وسورة طه آية (٥)، وسورة الفرقان آية (٥٩)، وسورة السجدة آية (٤)، وسورة الحديد آية (٤). وانظر: نونية ابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٥١٠/١).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك)؛
بأخذ العلم عن أهله المعروفين به، ومن الكتب الموثوقة -كتب أهل السنة
والجماعة-، ويحذر كل الحذر من الكتب المنحرفة -كتب أهل الضلال-؛
لأنها تضله وتهلكه، فلا بد من أمرين:

أولاً: أخذ العلم عن أهله المعروفين به.

وثانياً: أخذ العلم عن الكتب الموثوقة المبنية على الكتاب والسنة
ومذهب أهل السنة والجماعة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك
من الإيمان بكتاب الله كله واليقين؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا
اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٤٧])، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، يعني: القرآن؛
﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، والمُحْكَم: هو الذي يظهر تفسيره منه.
﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، والمتشابه: هو الذي لا يظهر تفسيره منه، حتى يرد إلى
المحكم، فالمتشابه يرد على المحكم، فيتبين معناه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى الذي أراد الله
فيحمله على غير معناه، كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية،
ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته)، فلا بد من أخذ العلم عن

العلماء الراسخين المعروفين بالعقيدة السليمة وبالعلم الصحيح، والابتعاد عن المتعلمين، وعن أهل الضلال، وعن كتبهم المملوءة من التحريف والتزيف.

الحمد لله الطريق واضح؛ عندنا كتاب الله: القرآن، وعندنا سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه؛ فلا طريق إلا هذا الطريق: الأخذ بالكتاب والسنة، وترك ما خالف الكتاب والسنة من عقائد أهل الضلال، وهي كثيرة، وهي مروجة -أيضاً-، فلا بد أن الإنسان يتعلم العقيدة الصحيحة من أهلها المعروفين بها، ولا بد أن يعتمد على الكتاب والسنة والكتب المبنية على الكتاب والسنة، هذا هو الطريق الصحيح.

واليوم ظهرت المواقع التي فيها التضليل والتحريف، وصار كلُّ يتكلم في هذه المواقع ويُنشر، ويسمعه الناس في المشارق والمغارب، فعلياً أن نحذر منها، ولا ينجو من ذلك إلا من وفقه الله، وتعلم العقيدة على أهل العلم الموثوقين المعروفين به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية ونحوهم)، فإن هؤلاء ما ضلوا إلا بسبب أنهم أخذوا العلم عن غير أهله المعروفين به، أخذوه عن أهل الضلال فضلوا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته)، يحمل بعض آيات القرآن على مذهبه وعلى ما يراه، ويترك أخذ القرآن عن أهله، وأخذ التفسير عن ما ثبت من التفاسير الصحيحة، تفاسير أهل السنة والجماعة: كتفسير ابن جرير الطبري إمام المفسرين، وتفسير الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وغير ذلك من التفاسير المعروفة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فله الحمد لا نحصي ثناء عليه)، الحمد لله الذي تكفل بحفظ دينه، وحفظ كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليرجع إليهما من يريد الحق، وحفظ لنا مذهب أهل السنة والجماعة؛ لنرجع إليه، ولنحذر مما سوى ذلك من كتب أهل الضلال وعلماء أهل الضلال؛ حتى نصل إلى الحق من الكتاب والسنة، وعن أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، هذا هو الطريق الصحيح؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأأنعام: ١٥٣].

فصراط الله واحد، ﴿صِرَاطِي﴾: صراط واحد، وأما ما خالف هذا القرآن، فإنه سبل، وقد ضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلاً بذلك، فخط خطأ معتدلاً على الأرض، وخط على جوانبه خطوطاً، وقال للخط المعتدل: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، وقال للخطوط للتي على جنباته من هنا وهنا، قال: «وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»^(١)، فلنحذر من هذه السبل المتفرقة؛ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأأنعام: ١٥٣]، هذه وصية الله لنا.



(١) أخرجه أحمد (٢٠٧/٧، ٤٣٦)، والنسائي في الكبرى (٩٥/١٠)، والدارمي في سننه (٢٨٥/١)، وابن وضاح في البدع (٦٧/١)، والبخاري في مسنده (٩٩/٥، ١١٣، ١٣١، ٢٥١)، والمروزي في السنة (٩/١، ١٠)، وابن حبان في صحيحه (١٨٠/١، ١٨١)، والحاكم في المستدرک (٢/٢٦١، ٣٤٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ش: ذكر ما ورد عن علماء السلف في التشابه:

قال في الدر المنثور: أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ: زَجْرٌ وَأَمْرٌ، وَحَلَالٌ، وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ، وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيْتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَامْنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال في الدر المنثور)، كتاب «الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور»: هذا للسيوطي، كتاب مطبوع ومتداول، وهو كتاب جيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمُحْكَمٌ، وَمُتَشَابِهٌ)، المحكم: هو الذي يظهر معناه من لفظه. والمتشابه: هو الذي لا يظهر معناه من لفظه، ولكن يرد إلى المحكم، المتشابه يرد على المحكم فيتبين معناه^(٢)، هذا طريق العلم الصحيح: أن المتشابه يرد إلى المحكم، فيفسره ويبينه، ويتضح الحق؛ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، والأُمُّ: هو الذي يرجع إليه الشيء.

(١) أخرجه الحاكم (١/٧٣٩، ٢/٣١٧)، وابن حبان (٣/٢٠)، وكذا أخرجه الطبري في تفسيره (١/٦٢). وانظر: الدر المنثور (٢/١٤٩).

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي (١/٢٢٢)، والمجموع المغيث في غريب القرآن والحديث (٢/١٧٣).

﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ [آل عمران: ٧]: لا يظهر معناها منها، وإنما يظهر معناها بردها إلى المحكم الذي يفسرها ويبينها، ولكن هذا يحتاج إلى أخذ العلم عن أهل العلم الموثوقين به.



[ش:] قال: وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] الآية. قال: «طَلَبَ الْقَوْمُ التَّأْوِيلَ، فَأَخْطَوْا التَّأْوِيلَ، وَأَصَابُوا الْفِتْنَةَ، وَطَلَبُوا مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَهَلَكُوا بَيْنَ ذَلِكَ»^(١).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿ءَايَتٌ مُحْكَمَةٌ﴾ [آل عمران: ٧]. قال: منهن: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ [آل عمران: ٦١]، إلى ثلاث آيات. ومنهن: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، إلى آخر الآيات»^(٢).

وأخرج ابن جرير من طريق أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس، عن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «الْمُحْكَمَاتُ: النَّاسِخَاتُ الَّتِي يُعْمَلُ بِهِنَّ؛ وَالْمُتَشَابِهَاتُ: الْمَنْسُوخَاتُ»^(٣).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن إسحق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا هذه الآية ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، فقال أبو فاختة: «هُنَّ فَوَاتِحُ السُّورِ مِنْهَا يُسْتَخْرَجُ الْقُرْآنُ: ﴿الَمْ ۝﴾ ① ذَلِكَ

(١) أخرجه الطبري (٢٠٧/٥)، وأخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٥٤/٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٩٢/٥)، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٤٥/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٢/٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٩٤/٥).

الْكِتَابِ ﴿البقرة: ١، ٢﴾. مِنْهَا اسْتُخْرِجَتِ الْبَقْرَةُ، وَ﴿آلَةُ ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿آل عمران: ١، ٢﴾ مِنْهَا اسْتُخْرِجَتِ آلُ عِمْرَانَ ^(١).

وقال يحيى: «هُنَّ اللَّاتِي فِيهِنَّ الْفَرَائِضُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَالْحُدُودُ وَعِمَادُ الدِّينِ» ^(٢).

وأخرج ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: «﴿تُحْكَمَتُ﴾ حُجَّةُ الرَّبِّ وَعِصْمَةُ الْعِبَادِ، وَدَفْعُ الْخُصُومِ وَالْبَاطِلِ، لَيْسَ فِيهَا تَضْرِيفٌ وَلَا تَحْرِيفٌ عَمَّا وُضِعَتْ عَلَيْهِ. ﴿وَأُخِرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ فِي الصَّدَقِ، لَهْنٌ تَضْرِيفٌ وَتَحْرِيفٌ وَتَأْوِيلٌ، ابْتَلَى اللَّهُ فِيهِنَّ الْعِبَادَ، كَمَا ابْتَلَاهُمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، لَا يُضَرَفْنَ إِلَى الْبَاطِلِ وَلَا يُحَرَّفْنَ عَنِ الْحَقِّ» ^(٣).

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان، قال: إنما قال: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿آل عمران: ٧﴾؛ لأنه ليس من أهل دين لا يرضى بهن: ﴿وَأُخِرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ ﴿آل عمران: ٧﴾: يعني فيما بلغنا (ألم)، و (المص)، و (المر) ^(٤).

قلت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشعر بأن أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابهة، وما قال النفاة من أنها من المتشابهة دعوى بلا برهان.

(١) أخرجه الطبري (٢٠٢/٥)، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٤٥/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٣/٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠١/٥)، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٤٥/٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٩٧/٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٣-٥٩٤)، وانظر: الدر المنثور (١٤٦/٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] الآية. قال: «طَلَبَ الْقَوْمُ التَّأْوِيلَ فَأَخْطَوْا التَّأْوِيلَ، وَأَصَابُوا الْفِتْنَةَ، وَطَلَبُوا مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَهَلَكُوا يَبْنَ ذَلِكَ»، الذي يعتمد على التشابه ويترك المحكم هذه عاقبته؛ أنه يضل ويضيع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال يحيى: «هُنَّ اللَّاتِي فِيهِنَّ الْفَرَائِضُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَالْحُدُودُ وَعِمَادُ الدِّينِ»)، هذه المحكمات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأُخْرُ مُتَشَابِهَةٌ﴾ [آل عمران: ٧]: يعني فيما بلغنا ﴿الْمَرُّ﴾، و﴿الْمَصُّ﴾، و﴿الْمَرُّ﴾؛ الحروف المقطعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشعر بأن أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه، وما قال النفاة من أنها من المتشابه دعوى بلا برهان)، فأسماء الله وصفاته من المحكم وليس من المتشابه.



وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] (١).

ش: روى ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عن قتادة: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةَ حِينَ صَالَحَ قُرَيْشًا كَتَبَ: «هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ». فَقَالَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: لَيْتَنِي كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلْنَاكَ لَقَدْ ظَلَمْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُقَاتِلْهُمْ فَقَالَ: «لَا، وَلَكِنْ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ، إِنِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ». فَلَمَّا كَتَبَ الْكَاتِبُ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» قَالَتْ قُرَيْشٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَلَا نَعْرِفُهُ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَكْتُبُونَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنَا نُقَاتِلْهُمْ، قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ» (٢).

وروى -أيضاً- عن مجاهد قال: قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد: ٣٠]. قال: «هَذَا مَا كَاتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا فِي الْحُدَيْبِيَّةِ، كَتَبَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». قَالُوا: لَا تَكْتُبِ الرَّحْمَنَ، وَمَا نَذَرِي مَا الرَّحْمَنُ، وَلَا نَكْتُبُ إِلَّا بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الرعد: ٣٠] الآية (٣).

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣٠ - ٥٣١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣١).

وروى أيضاً عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو سَاجِدًا: يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا وَهُوَ يَدْعُو مَثْنَى مَثْنَى». فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] الآية (١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠])، كانوا يستمعون لقراءة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة قبل الهجرة، يأتون في الليل ويستمعون، فالرسول يصلي ويقرأ فيستمعون له وهم كفار، يستمعون له ويعجبون بذلك، فلما قرأ: (الرَّحْمَنَ)، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن الياومة - يعنون مسيلمة الكذاب؛ لأنه تسمى بالرحمن -، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] (٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ»)، لأجل تألفهم وإمهالهم حتى يتضح لهم الحق.



(١) أخرجه الطبري (١٥/١٢٣).

(٢) سبق تخريجه (ص ٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: عَدَمُ الْإِيْمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ.

الثَّالِثَةُ: تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْعِلَّةِ: أَنَّهُ يُفْضَى إِلَى تَكْذِيبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ لَمْ

يَتَعَمَّدَ الْمُنْكَرُ.

الخَامِسَةُ: كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمَنْ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: عَدَمُ الْإِيْمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ)،

فمن جحد شيئاً من الأسماء والصفات، لم يكن مؤمناً حتى يؤمن ويقر بجميع الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ)، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، يعني: يجحدون هذا الاسم من أسماء الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ)، أنت إذا

حدثت أحداً، أو علمت أحداً، علمه بما يفهم، ولا تعلمه بشيء لا يفهمه، ولكن انتظر به حتى يفهم ذلك الشيء؛ لئلا يكون هذا سبباً في ضلاله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْعِلَّةِ: أَنَّهُ يُفْضَى إِلَى تَكْذِيبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ،

وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُنْكَرُ)، فالواجب على المسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وإن لم تفهمها آمناً بها، ثم اطلب معناها الذي

أشكل عليك، حتى يتبين لك، فلا تبادر بالإنكار بسبب أنك لا تفهم الشيء
هذا، ستفهمه إذا راجعت أهل العلم وسألتهم عنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنْ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ
أَهْلَكَهُ)، «يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!».



٤٠- بَابُ

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].
قَالَ مُجَاهِدٌ - مَا مَعْنَاهُ -: (هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثَتُهُ عَنْ
آبَائِي)^(١).

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: (يَقُولُونَ: لَوْلَا فَلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا)^(٢).
وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: (يَقُولُونَ: هَذَا بِشْفَاعَةِ آلِهَتِنَا)^(٣).

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾
[النحل: ٨٣])، ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ما ذكر بعض العلماء في معناها.

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى بِالنِّعْمَةِ.
فَذَكَرَ عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾
[النحل: ٨٣] قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ مَا عَدَدَ اللَّهُ - تَعَالَى ذِكْرُهُ -
فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ النِّعَمِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ
يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ وَرِثُوهُ عَنْ آبَائِهِمْ)^(٤).

وأخرج عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾
[النحل: ٨٣]، قَالَ: (هِيَ الْمَسَاكِينُ وَالْأَنْعَامُ وَمَا يُرْزَقُونَ مِنْهَا، وَالسَّرَائِلُ مِنَ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٥ / ١٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٦ / ١٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٢٦ / ١٤)، وزاد المسير (٤ / ٤٧٩)، وشفاء العليل (ص ٣٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٥ / ١٤).

الْحَدِيدِ وَالثِّيَابِ، تَعْرِفُ هَذَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، ثُمَّ تُنْكِرُهُ بِأَنْ تَقُولَ: هَذَا كَانَ لِأَبَائِنَا، فَوَرَّثُونَا إِيَّاهُ^(١).

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَنْ رَزَقَكُمْ؟ أَقَرُّوا بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي رَزَقَهُمْ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: رَزَقَنَا ذَلِكَ بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ مُجَاهِدٌ - مَا مَعْنَاهُ -: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثَتُهُ عَنْ آبَائِي)؛ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، يقول: هذا مالي. لا يقول: من الله. يقول: ورثته عن آبائي. فهو اعترف أنه ماله، وأنكر أنه من الله؛ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ مُجَاهِدٌ - مَا مَعْنَاهُ -: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثَتُهُ عَنْ آبَائِي»)، ولم يقل: هذا مالي، وهو من الله، الله رزقني إياه. وإنما يعتمد على أنه ميراث عن آبائه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ عَوْزُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فَلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا»)، فيسندون الشيء إلى المخلوق: «لولا فلان ما صار كذا»، الواجب أن يقولوا: «لولا الله ثم فلان».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا»)، هذه الأموال وهذه الأرزاق ليست من الله - بزعمهم -، وإنما هي بشفاعَة أصنامهم ومعبوداتهم، فلا ينسبون النعمة إلى الله، بل ينسبونها إلى غيره.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤ / ٣٢٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤ / ٣٢٥ - ٣٢٦).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى بِالنَّعْمَةِ)، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾، قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، يعرفون أنه على حق، لكن لا يتبعونه، ينكرونها؛ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ مَا عَدَدَ اللَّهُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ النِّعَمِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ)، في هذه السورة؛ سورة النحل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ وَرَثَتُهُ عَنْ آبَائِهِمْ)، ولا ينسبونه إلى الله، وإنما يقولون: هذا ميراثنا عن آبائنا، إذا آباؤكم من أين جاءهم هذا؟ أليس من الله؟!!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (تَعْرِفُ هَذَا كُفَّارٌ قُرَيْشٍ، ثُمَّ تُنْكِرُهُ بِأَنْ تَقُولَ: هَذَا كَانَ لِأَبَائِنَا، فَوَرَثُونَا إِيَّاهُ)، ويجحدون أنه من الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَنْ رَزَقَكُمْ؟ أَقْرُوا بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي رَزَقَهُمْ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: رَزَقَنَا ذَلِكَ بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا)، يقرون أنه من الله، ثم يقولون: هذا بشفاعتنا، يعني: الأصنام.



ش: وذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ مثل هذا عن ابن قتيبة، وهو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، قاضي مصر النحوي اللغوي، صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم حجة، اشتغل ببغداد، وسمع الحديث عن إسحاق بن راهويه وطبقته. توفي سنة ست وسبعين ومائتين^(١).

وقال آخرون: ما ذكره المصنف عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي الزاهد؛ عن أبيه وعائشة وابن عباس، وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري، وثقه أحمد وابن معين. قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة^(٢).

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، قَالَ: «إِنْكَارُهُمْ إِيَّاهَا، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: لَوْلَا فَلَانٌ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْلَا فَلَانٌ مَا أَصْبَتْ كَذَا وَكَذَا»^(٣).

واختار ابن جرير القول الأول^(٤)، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها. وهو الصواب، والله أعلم^(٥).

(١) انظر في ترجمته رَحِمَهُ اللهُ: تاريخ بغداد (١٠/١٦٨)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/١٤٣)، وتاريخ الإسلام (٦/٥٦٥)، والأعلام للزركلي (٤/١٣٧).

(٢) انظر في ترجمته رَحِمَهُ اللهُ: تاريخ دمشق (٤٧/٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/١٠٣)، وجامع التحصيل (ص ٢٤٩)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (ص ٢٩٨)، والأعلام للزركلي (٥/٩٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣٢٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٢٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٣٣، ٣٤).

قوله: (قَالَ مُجَاهِدٌ): هو شيخ التفسير: الإمام الرباني، مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم.

قال الفضل بن ميمون: (سمعت مجاهدًا يقول: عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَقْفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ، وَأَسْأَلُهُ: فِيمَ نَزَلَتْ؟ وَكَيْفَ نَزَلَتْ؟ وَكَيْفَ مَعْنَاهَا؟) ^(١)، توفي سنة اثنتين ومائة. وله ثلاث وثلاثون سنة ^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ قَالَ: «إِنْكَارُهُمْ إِيَّاهَا، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: لَوْلَا فَلَانٌ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْلَا فَلَانٌ مَا أَصَبْتُ كَذَا وَكَذَا»، ولا يقول: من الله، وإنما يقول: لولا فلان؛ ينسب هذا إلى فلان، إلى المخلوق، فينسب نعمة الله إلى المخلوق، ولا ينسبها إلى الله الذي أنعم بها.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٤)، والخلال في السنة (١/ ٢٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩، ٢٨٠)، من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
وأخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٨٥، ٣/ ٧٥٥)، والدارمي في سننه (١/ ٧٢٥)، والطبراني في الكبير (١١/ ٧٧) من طريق محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد به.
(٢) انظر في ترجمته رَحِمَهُ اللَّهُ: تاريخ الإسلام (٣/ ١٤٨)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٧٦)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٨).

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» الْحَدِيثُ^(١): وَقَدْ تَقَدَّمَ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضَيِّفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَأُ حَادِثًا». وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى السُّنَّةِ كَثِيرٌ^(٢).

[ش:] وقوله: (وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ)، هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن عبد السلام بن تیمیة الإمام الجلیل.

قوله: (بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ)، قد تقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

قال: (وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضَيِّفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَأُ حَادِثًا». وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى السُّنَّةِ كَثِيرٌ). اهـ.

وكلام شيخ الإسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام في من نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها، وأسند أسبابها إلى غيره، كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا.

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، ومسلم (٧١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣/٨).

قال شيخنا رَحِمَهُ اللهُ: وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...». الْحَدِيثُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضَيِّفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ)، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فجميع النعم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ينعم بها على عباده؛ رحمة منه بهم وإحساناً إليهم. فالذي ينسب شيئاً من النعم إلى غير الله هذا كفرٌ بهذه النعمة؛ لأنه نسبها إلى غير من جاء بها، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالواجب نسبة النعم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو المنعم على عباده. وأما كون بعض الناس سبباً في بعض النعم، فهذا لا يجوز أن ننسب النعمة إليه، وإنما ننسبها إلى المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونثني على من تسبب بها، نثني عليه، وندعو له؛ لأنه محسن.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وقوله: «وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ»، هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الإمام الجليل)، هو يكنى بأبي العباس، وهو ليس له ولد، ولم يتزوج رَحِمَهُ اللهُ، ولكن هذا من باب التوقير له، فلا بأس أن يكنى الإنسان بولد، وهو ليس له ولد، وإنما هو باب التوقير له.

قوله: (بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ. قد تقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء)، وهو حديث: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»، يعني: لما

جاءوا لأداء العمرة مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نزل عليهم المطر وهم في الحديبية، والحديبية طرف التنعيم قريبة من مكة.

صلى بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الفجر، فلما سلم، وأتوا بالأذكار، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «أَتَذَرُونَنِي مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، كيف؟ «فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ»؛ لأنهم كانوا ينسبون المطر إلى النجوم؛ مطلع النجوم أو غروب النجوم.

«وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا»، يعني: بنجم كذا وكذا. «فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي»، يعني: كفر النعمة، «فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»، فهذا يدل على أن النعم تنسب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تنسب إلى الأسباب التي بواسطتها حصلت النعمة، فالأسباب خلقُ الله عَزَّ وَجَلَّ، لا تفعل شيئاً إلا بأمره - سبحانه - وتديره، فالأمر راجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضَيِّفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ)، يعني: كثيرٌ أن الله يذم من نسب النعمة إلى غيره أو النعم إلى غيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيُشْرِكُ بِهِ)، يشرك به في ذلك، إذا نسب النعمة إلى المخلوق، قد جعله شريكاً لله، شريكاً لله في التدبير؛ توحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَأُ حَازِقًا»)، كقول بعضهم إذا كانوا في السفن في البحر وحصل لهم

راحة ومشى طيب، بعضهم لا ينسب هذا إلى الله، يقول: كانت الريح طيبة التي تُمشي السفينة، والملاح -وهو الذي يقودها- كان حاذقاً، وهذا كفرٌ بالنعمة.

ما هو كذا، لا هذا الملاح ولا الريح، التدبير بيد الله، وإنما هذه أسباب جعلها الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، تأتي بهذه الأشياء بأمر الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فالواجب نسبة النعم إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ولا بأس أن نشني على المتسبب وندعو له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَّاحُ حَازِقًا»)، فينسب النعمة إلى الريح، وإلى ملاح السفينة، وهذا كفرٌ بالنعمة، الواجب نسبة ذلك إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة)، الشارح يقول: (قال شيخنا)، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأن الشارح حفيد للشيخ ابن ابنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة)، اجتماع الضدين في القلب: الاعتراف بأن النعمة من الله، ثم نسبتها إلى غيره، وهذان متضادان، فالواجب أن تنسب النعمة إلى المنعم، وهو الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ويشنى عليه بها، ويحمد عليها، وأما المخلوق الذي جرت على يديه وتسبب بها، فإنه يدعى له، ويعترف بمجهوده.



فِيهِ مَسَائِلُ:

- الأُولَى: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا.
- الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ.
- الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ هَذَا الْكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ.
- الرَّابِعَةُ: اجْتِمَاعُ الضَّدَّيْنِ فِي الْقَلْبِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، يعني: في الباب مسائل، وهذه عاداته رَحِمَهُ اللَّهُ، عادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد أنه إذا فرغ من الباب، قال: (فِيهِ مَسَائِلُ)، يعني: هذا الباب فيه مسائل، يعني: فوائد، فهو يستقصي رَحِمَهُ اللَّهُ، يسوق -أولاً- الآيات والأحاديث ويبين ما فيها، ثم إذا فرغ يستنبط من الباب وما ورد فيه من الآيات والأحاديث يستنبط منه مسائل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأُولَى: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا)، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، يعرفون أن النعمة من الله، ثم ينسبونها إلى غيره، هذا إنكارٌ للنعمة؛ لأنها نُسبت إلى غير الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ)، الثانية: معرفة أن هذا الأمر -وهو نسبة النعمة إلى غير الله- جارٍ على ألسنة كثير من الناس، فيجب التنبيه لهذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ هَذَا الْكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ)، ينكرونها؛ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، قالوا: «كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً»، فهذا إنكارٌ للنعمة، النعمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو المنعم

بها، وأما الملاح، فإنها مجهوده في قيادة السفينة، ولا يقود السفينة إلا إذا جاء الله بالرياح التي تدفعها، وإذا توقفت الرياح، توقفت السفينة، وقد يقولون أياها في البحر واقفين إلى أن تأتي الرياح، ومن الذي يأتي بالرياح؟ يأتي بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالفضل راجع إلى الله.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الرَّابِعَةُ: اجْتِمَاعُ الضَّادِّينَ فِي الْقَلْبِ)، اجتماع الضدين في القلب، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، هذان الضدان: معرفة النعمة أنها من الله، ثم إنكارها بنسبتها إلى غيره.



٤١- بَابُ

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]). الند: المثل والنظير. وجعل الند لله: هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله، كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم.

وهذه الآية في سياق قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ أَيُّ: عُدْلَاءَ شُرَكَاءَ. وَهَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّي، وَأَبُو مَالِكٍ: وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ^(١).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] «أَيُّ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا مِنَ الْأُنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ الرَّسُولُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ»^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٢)، وابن كثير (١/ ١٩٥-١٩٦).

وكذلك قال قتادة ومجاهد.

وعن قتادة ومجاهد رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].
قَالَ: (أَكْفَاءَ مِنَ الرِّجَالِ تُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ) ^(١).

وقال ابن زيد: (الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوها لها مثل ما جعلوها له) ^(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]،
قَالَ: أَشْبَاهًا ^(٣).

وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].
(قَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) ^(٤).

قوله رَحِمَهُمُ اللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢])، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾، يعني: شركاء.
﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه لا شريك له في خلقه وأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُمُ اللَّهُ: (وجعل الند لله: هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله)، الند لله: أن يُجعل شيء من النعم إلى غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا فيه أنه

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٣/١)، والواحد في البسيط (٢/٢٣٠)، عن ابن عباس وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩١/١)، والواحد في البسيط (٢/٢٣٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٢/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٦٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٣/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٦٢)، وابن كثير (١/١٩٦).

جعل هذا الشيء ندًا، أي: شريكًا لله عَزَّجَلَّ في تدبيره وخلقه وأمره، فالواجب أن تنسب النعم إلى الله، ولا مانع أن يثنى على من تسبب بها والدعاء له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم)، أهل الجاهلية من المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو المدبر لهذا الكون، وهو الخالق، وهو المحيي المميت، يعترفون بهذا، إنما ينكرون توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة. فيجب على من عرف توحيد الربوبية أن يأتي بتوحد الألوهية؛ لأنه هو النتيجة من توحيد الربوبية، ليست النتيجة أنك تعترف بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق، هذا شيء أقرب به المشركون، وإنما الواجب أن تقر بتوحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الآية في سياق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١])، هذه الآية هي أول نداء في المصحف، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، في أول سورة البقرة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: نادى الله جميع الناس العرب والعجم، ناداهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا: تفتشون، تجلسون عليها، تنامون عليها، تسيرون عليها، ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، أي: سقفًا، فالسما سقف الأرض.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]: أنه لا شريك له في خلقه وتديره، وأنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وأنتم تعلمون أنه لا ند له يعمل هذه الأشياء؛ أنه خلق السماء، أنه جعل الأرض فراشا، أنه أنبت النبات، تعلمون أن هذا إنما هو لله عَزَّجَلَّ، فكيف تشركون معه من لا يقدر على شيء من هذه الأمور؟! ومن ثم قالوا: إن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره)، العماد، هو ليس اسمه، اسمه إسماعيل بن كثير، وإنما هذا لقب له؛ عماد الدين، كذا اختصرها المؤلف، فقال: العماد، وهو عماد الدين ابن كثير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أَي: عُدَلَاءَ شُرَكَاءَ)، ﴿أَنْدَادًا﴾، أَي: عُدَلَاءَ يعادلونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في التدبير والخلق والرزق والإحياء والإماتة، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه لا ند له ولا شريك له في ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنْسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّي، وَأَبُو مَالِكٍ: وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ)، من المفسرين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال ابن عباس رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] «أَي: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ»، وأنتم تعلمون أنه لا ند له في خلقه وأمره وتديره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ الرَّسُولُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ)، الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجميع المرسلين كلهم يدعون إلى توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة؛ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك قال قتادة ومجاهد)، قتادة بن دعامة السدوسي: إمام جليل في التفسير وغيره، وهو من تلاميذ ابن عباس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعن قتادة ومجاهد رَحِمَهُمَا اللَّهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]. قَالَ: أَكْفَاءَ مِنَ الرِّجَالِ)، أَكْفَاءُ أو أَكْفِيَاءُ، يعني: مساوين له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال ابن زيد: الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه)، مع الله. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]. قَالَ: أَشْبَاهًا)، المعنى واحد، ﴿أَنْدَادًا﴾: شركاء، ﴿أَنْدَادًا﴾: أشباهًا لله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. (قَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ)، جميع الكتب التي جاءت بها الأنبياء كلها على هذا تبين أن الله جَلَّ وَعَلَا هو الخالق الرازق المحيي المميت المستحق للعبادة دون سواه.



ش: وذكر حديثاً في معنى هذه الآية الكريمة، وهو ما في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن الحارث الأشعري أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَأَنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِلَ بِهَا. فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فِيمَا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذِّبَ أَوْ يُخَسِّفَ بِي. قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقَعَدَ عَلَى الشَّرَفِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسْرُهُ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَأَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَأَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا. وَأَمْرُكُمْ بِالصَّيَامِ، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِسْكٍ فِي عَصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنْ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. وَأَمْرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ ائْتَدَوْ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي بِالْقَلِيلِ، وَالكَثِيرِ، حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ.

وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَاتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ.

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا أَمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعَايِ الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الَّتِي سَمَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ»^(١).

هذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً».

وهذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنه كَادَ أَنْ يُنْطِئَ بِهَا)، يعني: لم يبادر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وعيسى: ابن الخالة، يحيى وعيسى ابني الخالة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٤٠٤، ٢٩/ ٣٣٥)، والترمذي (٢٨٦٣)، وابن حبان (١٤/ ١٢٤) - (١٢٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦٤، ٣/ ١٩٥)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٨٦) - (٢٨٩)، والحاكم في المستدرک (١/ ٥٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٧٠).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا)، فلا تلتفتوا لا برؤوسكم ورقابكم ولا بقلوبكم، لا تلتفتوا لا بقلوبكم ولا برؤوسكم عن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وأنتم في الصلاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَرَكُمْ بِالصَّيَامِ، فَإِنَّ مَثْلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ)، في عصابة: يعني: جماعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا)، لا برقابكم ولا بقلوبكم، أقبلوا على الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَرَكُمْ بِالصَّيَامِ، فَإِنَّ مَثْلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ)، وهذا كما في الحديث: أن ريح نفس الصائم عند الله كمثل ريح المسك^(١)، وهو نفس الصائم عند الناس يكرهون نفس الصائم؛ لأن إذا فرغت المعدة، يتصاعد منها أبخرة مكروهة الرائحة، ولكن هذه الرائحة هي أطيب عند الله من ريح المسك، لماذا؟ لأنها ناشئة عن عبادة الله جَلَّ وَعَلَا.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٨٩٤، ١٩٠٤، ٥٩٢٧، ٧٤٩٢، ٧٥٣٨)، ومسلم (١١٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَأَكَلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةُ، يعني: كونوا مع جماعة المسلمين، وأطيعوا إمام المسلمين المعروف، هذا لا بد منه، كونوا مع الجماعة، ولا تشذوا؛ «وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ»، كونوا مع الجماعة؛ فإن «يد الله مع الجماعة -أو- على الجماعة»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالسَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ)، السمع والطاعة لولي الأمر المسلم، يجب السمع له والطاعة بالمعروف؛ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿وَأُولِيَ الْأَمْرِ﴾: وهم الأمراء والملوك المسلمون، ولذلك قال: ﴿مِنْكُمْ﴾، يعني: من المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْهِجْرَةُ)، الهجرة: هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام؛ فرارًا بالدين^(٢). والهجرة مقرونة بالجهاد، الجهاد والهجرة، فلا يجوز لك أن تقيم مع المشركين مع الكفار، وأنت تقدر على أن تهاجر إلى بلاد المسلمين، وتكون مع المسلمين، قال الله جَلَّ وَعَلَا في من ترك الهجرة وأقام

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٧)، والحاكم في المستدرک (١٩٩ / ١ - ٢٠١)، وأبو نعيم في الحلية

(٣ / ٣٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٣ / ٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر الهجرة في اللغة في: النهاية في غريب الأثر (٥ / ٢٤٣)، ولسان العرب (٥ / ٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص ٢٨٨).

وانظر الهجرة في الشرع في: أحكام القرآن لابن العربي (٣ / ٥٩٢)، والكافي (١ / ١٨٧)، والمغني (٩ / ٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٠٤)، وفتح الباري (١ / ١٦)، وفتح القدير (١ / ٢١٨).

في بلاد الكفر من غير عذر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾. الملائكة تقول لهم: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾: أي مكان أنتم فيه؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: لا نقدر أن نعبد ربنا من أذى الكفار؛ ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝١٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

فالعاجز عن الهجرة معذور، ولكن يتمسك بدينه حتى ييسر الله له الهجرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، الجهاد هو قتال الكفار والبغاة ومن خرج عن جماعة المسلمين يجب قتاله، الكفار يُقَاتَلُونَ لكفرهم، والخارجون عن طاعة إمام المسلمين يُقَاتَلُونَ لبغيهم، هؤلاء بغاة. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شَبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ)، «خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»: هذا تشبيه للإسلام واجتماع الناس فيه أنه يجمعهم بالربقة التي تكون في حبل، وتدخل فيها رؤوس الأغنام لحفظها وبقائها، يسمونه الربز، هذا حبل في جوانبه مثل الفتحات تُدخل فيها رؤوس أولاد الغنم حتى يحفظها، فكذلك الإسلام مثل ربقة الأغنام يجمع المسلمين ويحفظهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شَبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ)، (قيد شبر)، يعني: قدر شبر، لا يقول: هذا شيء يسير. ولو قدر شبر لا تخرج عن الجماعة، لا تخرج عن الجماعة أبدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ)، من دعا بدعوى الجاهلية مثل النياحة، النياحة على الميت هذه دعوى الجاهلية -والعياذ بالله-: واعضداه، وارأساه، هذا من دعوى الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ)، هذا من باب الوعيد الذي يمر كما جاء، ولا يقال: إنه كفر، ولكن عليه وعيد شديد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الَّتِي سَمَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ)، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً»؛ كما أنه هو الخالق الرازق فهو الذي يستحق العبادة دونها سواء ممن لا يخلق ولا يرزق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الآية دالة على توحيد الله -تعالى- بالعبادة)، دالة على إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة دونها سواء، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، أي: شركاء، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أنه لا شريك له.



ش: وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًا.

وَسُئِلَ أَبُو نُوَّاسٍ ^(١) عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْشَدَ ^(٢):

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ بِأَخْدَاقٍ هِيَ الدَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضْبِ الزَّرْجَدِ شَاهِدَاتٍ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ ^(٣):

(١) أبو نواس هو: (رئيس الشعراء أبو علي الحسن بن هانئ الحكمي، وقيل: ابن وهب، وُلِدَ بِالْأَهْوَازِ وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ، وَسَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ وَطَائِفَةٍ. وَتَلَا عَلَى يَعْقُوبَ وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنْ: أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ وَغَيْرِهِ. وَمَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَالْوُزَرَءَ، وَنَظَّمَهُ فِي الذَّرْوَةِ حَتَّى قَالَ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ شَيْخُهُ: أَبُو نُوَّاسٍ لِلْمُحَدِّثِينَ، كَأَمْرِئِ الْقَيْسِ لِلْمُتَقَدِّمِينَ. قِيلَ: لُقِّبَ بِهَذَا، لِصَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا تُنَوَّسَانِ عَلَى عَاتِقَيْهِ أَيْ: تَضْطَرِبُ، وَهُوَ مِنْ مَوَالِي الْجَرَاحِ الْحَكَمِيِّ، أَمِيرُ الْعِرَاقِ). انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٩/٢٧٩)، وتاريخ بغداد (٧/٤٤٩)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٩٥)، والأعلام للزركلي (٢/٢٢٥).

(٢) انظر: اللطائف والظرائف للثعالبي (ص ٢٠٥)، ومروءة الزمان (١٣/٣٥١)، والبداية والنهاية (١٠/٢٥٥)، ولطائف المعارف لابن رجب (ص ٣١٦).

(٣) هو: عبد الله ابن المعتز بالله محمد ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتمد ابن الرشيد، الأمير أبو العباس العباسي الأديب، صاحب الشعر البديع والنثر الفائق. أخذ العربية والأدب عن: المبرد، وثعلب، وعن: مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي. وكان مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين. وتوفي سنة ست وتسعين. انظر في ترجمته: معجم الأدباء (٤/١٥١٩)، وتاريخ الإسلام (٦/٩٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٤/٤٢)، وفوات الوفيات (٢/٢٣٩).

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُغْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَا حِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(١)

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع)، وجود الصانع يعني: الخالق لهذه الأشياء، خلق السماوات والأرض والجبال والبحار والأنهار والفجاج، الذي خلقها هو الذي يستحق العبادة.

وأما هذه المعبودات الشركية، فهي لا تخلق ولا ترزق، عاجزة، هي مخلوقة فكيف تعبد؟! مخلوقة فكيف تعبد؟!

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى)، هي دالة على وجود الله عَزَّجَلَّ؛ لأن هذا الخلق لا يمكن، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: ٣٥، ٣٦]، الخلق يدل على الخالق؛ كما

(١) هي للشاعر المشهور إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو إسحاق العنزي، المعروف بأبي العتاهية، انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٢٠٧)، والتمثيل والمحاضرة (ص ١١)، وزهر الآداب (٢/ ٣٨٧)، وتاريخ دمشق (١٣/ ٤٥٣). وقد نسبها لأبي نواس الجاحظ في المحاسن والأضداد (ص ١٦٨)، وابن خلكان في وفيات الأعيان (٧/ ١٣٨).

وقال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ في نونيته:

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ إِنَّ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
بِشَّهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا لِلَّهِ لَا بِشَّهَادَةِ النُّكْرَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ١٩٩).

قالوا لأعرابي: بم عرفت ربك؟ قال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، أفلا يدل هذا الكون على السميع البصير^(١)؟

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسُئِلَ أَبُو نُوَّاسٍ عَنْ ذَلِكَ)، أبو نواس الشاعر المعروف، شاعر عنده مجون، ولكنه كان موحدًا لله عَزَّوَجَلَّ، ليس مشركًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَلَى قُضْبِ الزَّبْرِ جِدَ شَاهِدَاتٌ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ)، هذه حكمة، «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً»^(٢)؛ كما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ)، ابن المعتز هذا من بني العباس، نال الخلافة يومًا واحدًا، ثم قُتِلَ.



(١) انظر: تفسير الثعلبي (٣/٣٢)، وتبليس إبليس (ص ٤٠)، وزاد المسير (١/٢٦٦).
(٢) أخرجه أبو يعلى في معجمه (١/٢١٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/٢٩٦)، والطبراني في الأوسط (٢/١٣٠، ٣/٦١، ٩/٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٦٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ : «الْأَندَادُ هُوَ الشِّرْكَ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةِ سَوْدَاءٍ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فَلَانَةَ، وَحَيَاتِي. وَتَقُولَ: لَوْلَا كُتَيْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللَّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَانَا اللَّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فَلَانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(١).

ش: قوله: (وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ «الْأَندَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةِ سَوْدَاءٍ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فَلَانَةَ، وَحَيَاتِي. وَتَقُولَ: لَوْلَا كُتَيْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللَّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَانَا اللَّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فَلَانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ»). رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، بين ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مِنَ الشِّرْكِ، وَهُوَ الْوَاقِعُ الْيَوْمَ عَلَى أَلْسِنِ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ التَّوْحِيدَ وَلَا الشِّرْكَ.

فتنبه لهذه الأمور؛ فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه، والتغليظ فيه لكونه من أكبر الكبائر. وهذا من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٦٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ: «الْأَنْدَادُ هُوَ الشَّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةِ سَوْدَاءَ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ»؛ الشرك : شرك خفي، وشرك ظاهر، الشرك الخفي هذا أخفى من ديب النملة السوداء على صخرة سوداء في ظلمة الليل، من الذي يرى النملة السوداء في سواد الليل على صخرة سوداء؟ هذا يدل على أن الشرك دقيق، وأنه يسري في الناس، وقد لا يشعرون به، والمراد الشرك الأصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ)، «والله، وحياتك»؛ تقسم بحياة المخلوق، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(١)، فلا يجوز الحلف إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتَقُولُ: لَوْلَا كُنِّيَّةُ هَذَا لِأَتَانَا اللَّصُوصُ)، كذلك تقول: «لولا الكلب لأتانا اللصوص»، نعم، الكلب سبب، ولكن الذي منع اللصوص هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لِأَتَانَا اللَّصُوصُ»)، «ولولا البط في الدار»، يعني: البط له صوت، ولا يستطيع السارق يدخل البيت الذي فيه بط، هذا لا بأس به، لكن لا تجعله هو الذي حمى البيت، الذي حمى بيتك هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما البط سبب من الأسباب.

(١) أخرجه أحمد (٢٤٩/١٠) بلفظ: «كَفَرَ وَأَشْرَكَ»، وأبو داود (٣٢٥١) بلفظ: «فَقَدْ أَشْرَكَ»، والترمذي (١٥٣٥) بلفظ: «كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»، وأصل الحديث في البخاري (٣٨٣٦، ٦١٠٨، ٦٦٤٦، ٦٦٤٨، ٧٤٠١)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ)، قال رجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشِئْتُ، قال: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا، قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١)، فهو جمع بين الله وبين المخلوق بالواو، والواو للتشريك والتسوية، والواجب أن يقول: لولا الله ثم كذا وكذا؛ تأتي بـ«ثم»، لا تأتي بالواو؛ لأن «ثم» تقتضي الترتيب، وأما الواو، فهي تقتضي التشريك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فتنبه لهذه الأمور فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه، والتغليظ فيه لكونه من أكبر الكبائر)، الشرك أكبر من الكبائر.



(١) أخرجه بنحوه أحمد (٣/٣٣٩، ٤٣١، ٤/٣٤١، ٥/٢٩٧)، والنسائي في الكبرى (٩/٣٦٢)، وابن ماجه (٢١١٧)، والطبراني في الكبير (١٢/٢٤٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ^(١).

ش: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ». يحتمل أن يكون شكاً من الراوي، ويحتمل أن تكون (أو) بمعنى الواو، فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كما هو من الشرك الأصغر. وورد مثل هذا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا اللفظ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»)، الحلف: هو تأكيد الشيء بذكر معظم^(٢). ولا يجوز الحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الذي يستحق التعظيم على الجميع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»، شك الراوي هل قال: كفر، أو قال: أشرك. وكلا الأمرين خطير: الكفر والشرك، لكنه كفرٌ أصغر وشركٌ أصغر، لا يخرج من الملة. فلا يقال لمن حلف بغير الله: إنك قد كفرت وخرجت من الملة، أو أشركت. وإنما هذا شركٌ أصغر، أو كفرٌ أصغر، ولكنه خطير لا تساهل فيه؛ فالشرك الأصغر يجر إلى الشرك الأكبر إذا تساهل الإنسان فيه وتهاون به.

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٠/٢٤٩)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، والحاكم في المستدرک (٣٣٠/٤) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: المطالع على ألفاظ المقنع (ص ٤٧٠)، والمبدع في شرح المقنع (٥٧/٨)، والدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى (٣/٧٩٦)، والإقناع في فقه الإمام أحمد (٤/٣٢٩).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ أَخْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»^(١).

ش: ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر - كما تقدم بيان ذلك.

فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟ كدعوة غير الله والاستغاثة به، والرغبة إليه، وإنزال حوائجه به؛ كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها من تعظيم القبور، واتخاذها أوثانًا، والبناء عليها، واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ أَخْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»)، ابن مسعود الهذلي صحابي جليل من أكابر صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «لَأَنْ أَخْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»؛ لأن الكذب وإن كان محرماً فهو أخف من الشرك وأخف من الكفر، فكونه يرتكب الأخف ولا يدخل في الحرام أحب إليه من أن يحلف بغير الله؛ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»^(٢).

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٧٩)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦٧).

(٢) سبق تخريجه (ص ٧٤).

من حلف بغير الله صادقاً، فقد كفر أو أشرك؛ كما في الحديث، وإن كان صادقاً؛ لأنه لا يجوز أن يحلف إلا بالله؛ «مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ بِيَضْمَتِ»^(١)، هكذا قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر كما تقدم بيان ذلك)، فلا يتساهل بالحلف بغير الله، ويقال: إنه كفرٌ أصغر أو شركٌ أصغر؛ فالشرك والكفر وإن كان أصغر فإنه خطير جداً، فكيف بالكفر الأكبر -والعياذ بالله؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟!)، إذا كان الشرك الأصغر، وهو الحلف بغير الله كفراً أو شركاً مع أنه أصغر، فكيف بالشرك الأكبر -والعياذ بالله؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟!)، المشرك بالله الشرك الأكبر مخلد في النار، إذا مات عليه ولم يتب، فإنه يخلد في النار، ولا مطمع له في دخول الجنة، فلا يتساهل في هذا الأمر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كدعوة غير الله)، يعني: صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، هذا هو الشرك الأكبر؛ كأن ينذر لغير الله، ينذر للقبور والأضرحة، فهذا شرك أكبر محرم أشد التحريم. فعلى المسلم أن يتذكر هذا، وأن يمنع لسانه وقلبه من أن يتهاون بهذا الأمر.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩، ٣٨٣٦، ٦١٠٨، ٦٦٤٦، ٧٤٠١)، ومسلم (١٦٤٦) من

حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (كدعوة غير الله والاستغاثة به، والرغبة إليه)، الشرك الأكبر: كدعاء غير الله؛ أن يدعو غير الله - من الأضرحة، أو من الأولياء والصالحين، أو من الأصنام والأحجار والأشجار-، هذا شرك أكبر؛ دعاء، إذا دعا غير الله، فقد أشرك الشرك الأكبر، أو نذر لغير الله، أو ذبح لغير الله، أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، فقد أشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإذا مات عليه ولم يمت، فهو خالد مخلد في النار.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والاستغاثة به)، الاستغاثة بغير الله: طلب الغوث من غير الله؛ لأنه لا يغيث من الشدائد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢]، هذه الأمور لا تكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والاستغاثة به)، الاستغاثة: طلب الغوث، والاستغاثة أعظم من الاستعانة؛ الاستعانة: يجوز للمخلوق أن يستعين بغير الله، أن يستعين بالمخلوق، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، يستعين بالمخلوق فيما يقدر عليه ذلك المخلوق، لا بأس؛ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، وأما الاستغاثة، فهي طلب الغوث من الله، أكبر من الاستعانة، الاستغاثة أكبر من الاستعانة، فلا تجوز إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، ولا ينجي من الشدائد والكربات إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والرغبة إليه)، الرغبة إليه، يعني: الطمع فيما عنده.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وإنزال حوائجه به)، إنزال حوائجه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ بأن يطلبها من الله جَلَّ وَعَلَا وحده لا شريك له، ولا يطلبها من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها من تعظيم القبور)، كحال الأكثر من هذه الأمة: هذا في وقت المؤلف الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحْمَةُ اللَّهِ، وكلما تأخر الزمان، يشتد الأمر ويكثر الجهل.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (من تعظيم القبور، واتخاذها أوثاناً)، تعظيم قبور الموتى، الاستغاثة بالموتى والاستعانة بالموتى أصحاب القبور؛ كما عليه حال كثير من المشركين من هذه الأمة الذين يبنون الأضرحة على القبور، ويعكفون عندها ويدعونها، وهم يدعون الإسلام، صرفوا أنواعاً من العبادة لغير الله، وهي القبور أو الموتى، هذا شرك أكبر يخرج من الملة.

يقولون: هؤلاء رجال صالحون، ونحن مذبنون، ونرجو منهم أن يتوسطوا لنا عند الله. هكذا يقولون.

الله جَلَّ وَعَلَا أمر بدعائه وحده، وأن من وقع في الشدة أو في الكربة فإنه يتوجه إلى الله بدعائه واستعانتة واستغاثته، ولا ينصرف إلى الأضرحة والقبور؛ كما عليه كثير ممن يدعون الإسلام؛ يبنون الأضرحة على القبور، ويجعلون لها سدنة، وينذرون لها النذور بحجة أنهم يريدون أنها تشفع لهم عند الله سبحانه؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ

وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿[يونس: ١٨]، يقولون: نعرف أنهم عاجزون لا يقدرّون على كشف الكربة وكشف الغم، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله أن يكشف كربتنا، ويقضي حاجتنا. لماذا لا تتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مباشرة وتدعو الله؟!

الله ﴿يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، هو الذي بيده الأمر، ولم يأمرنا أن نتخذ بيننا وبينه وسائط، بل أمرنا بدعائه مباشرة، والرغبة إليه مباشرة، وهو قريب مجيب يسمع ويرى ويقدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

توجه إلى ربك، ولا تتوجه إلى مخلوق ضعيف ميت، هو ميت وأنت حي، أنت أقدر منه، فكيف انطمست القلوب إلى هذا الحد، وبُنِيَتْ الأضرحة على القبور، وصُرفَتْ لها الأموال التي يأكلها المشركون؟! الأموال هذه من الذي يأكلها؟ يأكلها المشركون والسدنة عند القبور والذين بنوا هذه الأضرحة - نسأل الله العافية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (من تعظيم القبور، واتخاذها أوثاناً، والبناء عليها)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»^(١)، دعا ربه سبحانه ألا يجعل قبره - قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وثناً يعبد؛ كما حصل في الأمم السابقة.

(١) أخرجه الإمام مالك مرسلًا في الموطأ (٨٥) (١/١٧٢) من حديث عطاء بن يسار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدْرَانِ^(١)

على قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقبره بين جدران في غرفة -في حجرة-، وهذه الجدران على شكل مثلث من الجهة الشمالية، فإذا وقف الواقف شمالي القبر، فإنه يكون أمامه الجدار، وليس أمامه قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله أحاطه بثلاثة الجدران؛ كما قال ابن القيم.

فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدْرَانِ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال)، يعكفون عندها، وينذرون لها، ويذبحون لها بحجة أنها تشفع لهم عند الله. ولماذا لا تدعون الله، وتندرون الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وتتوجهون إليه، تدعون الله؟! الله قريب مجيب؛ يسمع ويرى سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس بحاجة إلى من يبلغه حوائج عباده كما تقولون؛ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، أمرنا أن ندعوه مباشرة، ولا نتجه إلى غيره بدعائنا، أو أن ننذر لغيره؛ من أجل أن يشفع لنا عند الله، أو ما أشبه ذلك.

هذه الأضرحة التي أهلكت كثيرًا من الأمة بسبب الجهل، وبسبب الدعوات المضللة. فالذي يصرف للبدوي في مصر، والذين يدعون عنده ويقىمون الأيام والليالي عاكفين عنده لا يحصون عددًا -والعياذ بالله-، قبر البدوي، ومن هو البدوي؟ البدوي رجل من أهل مكة ذهب إلى مصر،

(١) انظر: التوبة مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٥٢).

ويقولون أو يروون عنه: أنه بَالٌ في المسجد، ولم ينله مكروه ولا سوء بسبب ما فعل، قالوا: هذا دليل على أنه ولي من أولياء الله. كيف يبول في المسجد، ولا يصاب؟! هذا ولي من أولياء الله، يفعل ما يشاء؛ لأنه خرج من العهدة، صار ولياً من أولياء الله - تعالى الله عما يقولون - يفعل ما يشاء، وليس عليه حلال، وليس عليه حرام - هكذا يقولون -؛ لأنه ولي من أولياء الله - تعالى الله عما يقولون!

الله يقول: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ﴾، يعني: (إن) هذه نافية، يعني: ما أولياء الله ﴿إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾، ﴿إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾: الذين يفعلون ما أمر الله به، ويتركون ما نهى الله عنه، ويدعون الله على بصيرة، هؤلاء هم المتقون، ليس بأوليائه الفسقة والذين يبولون في المسجد وما أشبه ذلك من الطوام التي يفعلونها؛ يقولون: لم يأت خلاف، هذا دليل على أنه ولي - تعالى الله عما يقولون! الله يمهل ولا يهمل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يستدرج الناس، هذا من الاستدراج أنه بَالٌ في المسجد، ولم يصبه شيء - نسأل الله العافية.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].



ش: وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ^٤ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُفْبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاٰفِرِينَ ﴿[الأعراف: ٣٧]، كفرهم الله تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه من دونه في دار الدنيا. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿[الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿[الجن: ٢٠، ٢١].

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله)، يقول الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ: وقد عظمت البلوى -يعني: في زمانه- بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿[النساء: ٤٨]، الشرك الأكبر لا يغفر إلا بالتوبة، ومن مات عليه، فهو خالد مخلد في النار، كيف يقال: إنه ولي؟!!

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه)، تركوا ما دل عليه القرآن من النهي عن الشرك

وعن الكفر، وعن وسائل الشرك ووسائل الكفر، وذهبوا إلى الحكايات التي تُحكى من الجهالة؛ أن فلانًا له كرامات، وأن فلانًا يفعل كذا وكذا من الأموات، وأنه.... وأنه....، أضلوا الناس بهذا، واضطروهم أن يأتوا بالنذور والصدقات إلى هذا الضريح، ويسلمونها للسادن والسدنة. وهؤلاء السدنة يأكلونها، يستغلون هذه القبور، اعتبروها مصائد ومحلات للارتزاق بها -والعياذ بالله-، نعوذ بالله منهم ومن أفعالهم، ونعوذ بالله من كسبهم وما يأكلون -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الأعراف: ٣٧])، لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا، كذب على الله، فهؤلاء الذين يقولون: هؤلاء من أولياء الله، فنجعلهم وسائط بيننا وبين الله، نحن مذبنون، وهؤلاء أولياء يشفعون لنا عند الله.

الله أمرك أن تستغفره، وأن تتوب إليه مباشرة، وأن ترفع يديك إليه؛ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا﴾ [الشورى: ٢٥]، لا تنتقل عن الله، وتتجه إلى مخلوق مثلك أو أقل منك؛ بحجة إنه ولي! الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُنَاقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، كيف يكون وليًا هذا، وهو يرضى بهذا الشيء، هذا ليس بولي، هذا من أولياء الشيطان، وسدنته من أولياء الشيطان -نسأل الله العافية!

هكذا أضلوا الناس بهذه الدعايات الكاذبة، وأكلوا أموال الناس بالباطل، وصرفوهم عن دعاء الله وعبادة الله إلى عبادة هؤلاء الأموات؛ بحجة أنهم رجال صالحون، وأنهم يشفعون لهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]، الله جَلَّ وَعَلَا يعلم كل شيء، ويقدر على كل شيء، ويجب المضطر إذا دعا، وعنده حوائج العباد كلهم؛ كما في الحديث القدسي: «لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمُ وَجِئْتُكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»^(١)، هذا الرب الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي يجب أن تتجه إليه وتدعوه، وتستغفره وتتوب إليه، تعبد به حق عبادته، ولا تلتفت إلى هذه المخاريق الباطلة وهذه الحكايات الفاسدة تجعلها حججاً، ترك القرآن، ترك السنة، تحتج بهذه الروايات الكاذبة؛ فلان فعل كذا، وحصل له كذا، فلان دعا عند القبر، وحصل له كذا. هذا كله من الباطل، كله من الباطل والبهتان -والعياذ بالله!

هذه البلاد كانت كذلك، كانت فيها قبور، وفيها أشجار وأحجار تعبد من دون الله، حتى جاء الله بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فمنَّ الله عليه بالعلم الغزير النافع، فدعا إلى الله على بصيرة، وهدم ما كان في بلاد نجد من الأضرحة، لم يهدمها هو بنفسه، هدمها بواسطة الحكام الذين ناصروه وأيدوه، فطهر الله هذه البلاد -ولله الحمد-، وإلا كانت مثل غيرها من البلاد الأخرى لولا أن الله بعث هذا الداعي المخلص فيها، فنفع الله بدعوته، وأيده ولاية الأمور، ناصرته من آل سعود -حفظهم الله-، حتى استنارت هذه

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

البلاد، ولا تجد فيها ضريحاً يُعبد من دون الله، لا تجد فيها قبراً، لا تجد فيها سدة، طهرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِذِهِ الدَّعْوَةُ الْمُبَارَكَةُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الأعراف: ٣٧])، ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: يقول: إن الله يقول كذا، ويأمر بكذا؛ حكايات باطلة.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: القرآنية، وآياته الكونية التي تدل على وحدانيته، وتنتهي عن الشرك، انصرف عن آيات الله إلى الحكايات والمخاريق الباطلة الشيطانية، واتخذها حججاً بدل القرآن - والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿حَقَّ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾)، ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾، يعني: غابوا عنا. هم لم يعلموا عن عبادتكم لهم، ولم يعلموا عن دعائكم لهم، لم يدروا عن هذا، أموات، ﴿أَمُوتَ غَيْرَ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾)، العاقبة أنهم يشهدون؛ يقولون: الله نحن ضللنا الطريق، لكن لا ينفعهم حينذاك، إذا عرفوا أنهم أخطؤوا وأنهم ضلوا الطريق لا ينفعهم هذا، بل يصيبهم حسرة. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨])، ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾، المساجد: بيوت الله عَزَّجَلَّ، وقيل: المراد بالمساجد: الأعضاء السبعة التي يسجد عليها الإنسان حال سجوده. ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ كائنًا من كان.

﴿أَحَدًا﴾: نكرة في سياق النهي تعم كل أحد؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا صالح من الصالحين، أي أحد لا يدعى مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠])، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾، لما ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى الله وسبوه، ورموه بالحجارة، وأدموا عقبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء راجعًا إلى مكة، أدركته الصلاة في وادي نخلة بين مكة والطائف، فصلى في وادي نخلة، وتلا القرآن، فلما سمعت الجن القرآن الذي يتلوه، التفوا عليه، لاحظ! لما أن الإنس نبذوه، جاء الله بالجن، فالتفوا عليه، وسمعوا قراءته؛ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ١-٤]، إلى آخر السورة، سورة: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، هذه نزلت عليه في وادي نخلة بين مكة والطائف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢٠، ٢١])، يقول: ﴿قُلْ إِنِّي﴾، قُلْ لهم؛ لجميع الخلق: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، وإنما يملك أن يدعوهم إلى الله سبحانه الذي يملك الضر، ويملك الرشد، هذا الذي جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



[ش:] وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر؛ فخالفوا ما بلغ به الأمة وأخبر به عن نفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعاملوه بما نهاهم عنه من الشرك بالله، والتعلق على غير الله؛ حتى قال قائلهم^(١):

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ	سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي	فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا	وَمِنْ غُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوْحِ وَالْقَلَمِ

فانظر إلى هذا الجهل العظيم؛ حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعباده ولياذه بغير الله. وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لَا تُطَرُّونِي، كَمَا أَطَرَّتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ». رواه مالك وغيره^(٢).

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة والمحادة لله ورسوله، وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير، خصوصاً ممن يدعون العلم والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها، لذلك تعظيمها من القربات عندهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

(١) انظر: ديوان البوصيري (ص ٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر، فخالفوا ما بلغ به الأمة)، عكسوا الأمر، فخالفوا ما بلغ به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي أَخْذًا بِيَدِي * فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ) هذا البوصيري في البردة، هذه يقرؤونها الآن في الموالد، ويعتنون بها أكثر مما يعتنون بالقرآن، البردة -والعياذ بالله-، وهي فيها الشرك الأكبر، ودعاء غير الله عَزَّجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ)، لاحظ! فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا: الدنيا والآخرة كلها بيد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل بعد هذا الغلو غلو؟! نسأل الله العافية!

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ: من علومه، بعض علومه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، هذا بعض علم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لاحظ الغلو -والعياذ بالله- إلى أين ذهب بهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فانظر إلى هذا الجهل العظيم؛ حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياده ولياذه بغير الله)، وهذه البردة يرددونها الآن، يعتنون بها، يطبعونها الطباعة الفاخرة، وهي شرك أكبر، كفر أكبر -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لَا تُطَرُّونِي، كَمَا أَطَرَّتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»)، والإطراء: هو المبالغة في المدح، بالغوا في المدح، حتى جعلوا الدنيا والآخرة من بعض ما يملكه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا ماذا بقي لله عَزَّجَلَّ تعالى الله!

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠])، أمره الله جَلَّوَعَلَا أن يصرح لأُمَّته بهذا التصريح.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾)، ﴿قُلْ﴾ لقومك: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ التي منها ينفق على عباده، ويرزقهم ويعطيهم، هذه ليست عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه بيد الله.

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: الرسول لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦، ٢٧]: يطلعه على ما شاء الله من الغيب لأجل الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾)، يعني: من الملائكة، هو ليس من الملائكة، إنما هو من بني آدم.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة والمحادة لله ورسوله)، يعني: في قوله:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ

هل بعد هذا الغلو غلو - والعياذ بالله -؟!

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وهذا الذي يقوله هذا الشاعر)، وهذا الذي يقوله هذا الشاعر، يعني: البوصيري.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير خصوصاً ممن يدعون العلم والمعرفة)، من علماء الضلال، ممن يدعي العلم والمعرفة وهو من علماء الضلال.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ورأوا قراءة هذه المنظومة)، البردة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القربات)، يتقربون بقراءتها إلى الله، وفيها الشرك الأكبر -والعياذ بالله-، يتقربون إلى الله بالشرك الأكبر، وهو دعاء غير الله، وادعاء أن الرسول يملك الدنيا والآخرة.

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا: يعني: الآخرة.

وَمِنْ عُلُومِكَ: يعني: من بعض علمك.

عِلْمُ اللُّوْحِ وَالْقَلَمِ: نسأل الله العافية! اللوح المحفوظ والقلم الذي كتب الله به مقادير الأشياء، هل بعد هذا الغلو غلو -والعياذ بالله؟!



(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/٢٩٩، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٩٦)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٩/٣٦١)، وابن ماجه (٢١١٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٣٤٠)، والبيهقي في الكبرى (٣/٣٠٦).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً)، يعني: العطف بالواو.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى عنهم في الدار الآخرة: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الشعراء: ٩٧، ٩٨]﴾، إذا اجتمع أهل النار مع من كانوا يعبدونهم من دون الله ومع الأحجار والأصنام؛ لأن الأحجار والأصنام التي يعبدونها تكون معهم في النار؛ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، لما سمع المعارضون والكفار هذه الآية، قالوا: إذا نحن نعبد المسيح عيسى بن مريم، إذا هو يصير معنا في النار؟ فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢) لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

هؤلاء الذين لم يرضوا أن يدعوا من دون الله، بل نهوا عن ذلك، ولكن لما ماتوا دعواهم من دون الله؛ كما فعلوا مع المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهم يتبرؤون منهم يوم القيامة.

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾، يقولون: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [سبأ: ٤١]، يعني: الشياطين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بخلاف المعطوف بـ«ثم»)، هما كلاهما عاطف، «ثم» والواو، لكن الواو تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه والمساواة، أما «ثم» فتقتضي الترتيب. العبد له مشيئة، والله له مشيئة، ولكن لا تقل: ما شاء الله وشئت، فتجعل مشيئة العبد مساوية لمشيئة الله، بل تقول: ما شاء الله ثم شئت. لما قال رجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، قَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدَاءً؟ قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخُذْهُ»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بخلاف المعطوف بـ«ثم»؛ فإن المعطوف بها يكون مترافياً عن المعطوف عليه بمهلة. فلا محذور لكونه صار تابِعاً)، المعطوف بـ«ثم» يكون تابِعاً للمعطوف عليه، وأما المعطوف بالواو، فيكون المعطوف شريكاً للمعطوف عليه.



وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ: تَوَلَّى اللَّهُ ثُمَّ فَلَانٌ، وَلَا يَقُولُ: تَوَلَّى اللَّهُ وَفُلَانٌ»^(١).

ش: قد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك. وهذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك. وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضرر، ولا يقال في حقهم شيء من ذلك، فلا يجوز التعلق عليه بشيء ما بوجه من الوجوه.

والقرآن يبين ذلك، وينادي بأنه يجعلهم آلهة إذا سئلوا شيئاً من ذلك، أو رغب إليهم أحدٌ بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر، فمن تدبر القرآن ورُزِقَ فهمه، صار على بصيرة من دينه، وبالله التوفيق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن تدبر القرآن ورُزِقَ فهمه صار على بصيرة من دينه وبالله التوفيق)، من تدبر القرآن، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [عمد: ٢٤].

يقول ابن القيم^(٢):

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمِتَ الْمُهْدَى فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

(١) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في مصنفه (٢٧/١١)، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٧/١١)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص ١٩٣).
(٢) انظر: التوبة مع شرحها لابن عيسى (٣١٥/١).

[ش:] والعلم لا يؤخذ قسراً، وإنما يؤخذ بأسباب ذكر بعضها في قوله ^(١):

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَبَيَانٍ
ذِكَاءً وَحِرْصَ وَاجْتِهَادَ وَبُلْغَةً وَإِشَادَ أُسْتَاذٍ وَطُولَ زَمَانٍ

وأعظم من هذه الستة من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله، فهو الموفق لمن شاء من عباده؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ من حيث قال ^(٢):

وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ أَمْرَانِ فِي التَّرَكِيبِ مُتَّفَقَانِ
نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةٍ وَطَبِيبٌ ذَاكَ الْعَالَمِ الرَّيَّانِي
وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا مِنْ رَابِعٍ وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانٍ
عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي
وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
وَاللَّهُ مَا قَالَ أَمْرٌ مُتَحَدِّقٌ بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنَ الْهَدْيَانِ

(١) من كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: ديوان الشافعي (ص ١٦٤).

(٢) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٨٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ ... وَإِزْشَادٌ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ)، لا ينال العلم إلا بهذه الأمور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأعظم من هذه الستة من رزقه الله - تعالى - الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله)، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، يسره الله جَلَّ وَعَلَا لمن يريد الحق سيجده في القرآن والسنة واضحا؛ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، هذا حث على التذكر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣])، يقول الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾: لم يكن الرسول يعلم هذه إلا من الله جَلَّ وَعَلَا لما علمه الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاللَّهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مُتَحَدِّقٌ ... بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنَ الْهَذْيَانِ)، من ترك القرآن والسنة، وذهب إلى الحكايات وأقوال الناس ليس عنده إلا هذيان، ليس عنده علم. العلم في الكتاب والسنة، في الوحي المنزل من الله جَلَّ وَعَلَا، هذا هو العلم.

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَى فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

ليس هناك طريق غير هذا.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْأَنْدَادِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ؛ أَنَّهَا تَعُمُّ الْأَصْغَرَ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَلْفَ بِغَيْرِ اللَّهِ شُرْكٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ صَادِقًا، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْيَمِينِ الْغُمُوسِ.

الخَامِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَائِ وَ«ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْأَنْدَادِ)، وهي: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿أَنْدَادًا﴾، أي: شركاء؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يعبدون الله جَلَّ وَعَلَا، ويعبدون معه آلهة أخرى من الأصنام وغيرها، فنهاهم الله عن ذلك.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه لا ند له ولا شبيه له، يؤمنون بتوحيد الربوبية أن الله لا شبيه له، ولا ند له، ولا مثل له، يؤمنون بهذا، ومع هذا يدعون معه غيره، يعبدون معه غيره، وهذا تناقضهم في توحيد الألوهية.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، أي: أشباهًا ونظائر تدعونهم معه من الأشجار والأحجار والأولياء والصالحين، هذا في الجاهلية. ثم كان بعد القرون المفضلة، وبعدما طغت الجاهلية في القرون المتأخرة عاد الشرك في توحيد الألوهية بعبادة القبور والأضرحة، وبنوا عليها المشاهد، ووضعوا

لها السدنة، عادت الجاهلية. ولكن من فضل الله أن هناك دعاة إلى الحق من أهل العلم ينكرون هذه الجاهلية، ويأمرون بإفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة، ومنهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ؛ فإنه قام في هذه البلاد بإنكار ما عليه أهل زمانه أو غالبهم، فدعا إلى الله وبين، وألف كتاب التوحيد، هذا الكتاب الفذ الذي ألفه في توحيد الألوهية وإفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة، وجعله على أبواب، وانتفع الناس به، واستفادوا منه في هذه البلاد وفي غيرها ممن على الله عليهم بقبول الحق ومعرفته، فكان في كل بلد -ولله الحمد- من تقوم بهم الحجة على غيرهم ممن يبينون التوحيد وينكرون الشرك في الألوهية، وينكرون تعظيم القبور، إلى حد أن يوضع عليها قباب ويستغاث بها، ويستعان بها عند الشدائد، فنفع الله بدعوته، ولا تزال -ولله الحمد-، لا سيما أنه انضم إليه الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ اللهُ، بايعه على النصر، فتمت البيعة بين الشيخ وبين محمد بن سعود؛ هذا في العلم، وهذا في السلطة، توحدت السلطة مع دعوة التوحيد، وظهرت -ولله الحمد- واستبان، ونفع الله بها هذه البلاد وغيرها من البلاد التي قبلت الحق، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وهذا مصداق لقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ قَرْنٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١)، «يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ قَرْنٍ -يعني: مائة سنة- مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، هذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٣٢٣/٦)، والحاكم في المستدرک (٤/٥٦٧، ٥٦٨)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٢٠٨/١) من حديث أبي هريرة

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْأَنْدَادِ)، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، يعني: شركاء في العبادة، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه لا شريك له، لا شريك له في الربوبية، ولا شريك له في الألوهية، فهو - سبحانه - المستحق وحده للعبادة دون ما سواه، هذا ما دعت إليه الرسل؛ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، تقوم الحجة - والله الحمد -، يقيض الله لهذا الدين من ينصره ويبينه للناس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَّةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ؛ أَنَّهَا تَعُمُّ الْأَصْغَرَ)، فالآية النازلة في الشرك الأكبر تعم الشرك الأصغر -أيضًا-، فالشرك بجميع أنواعه - الأكبر والأصغر - كله بينه الله في كتابه ونهى عنه، وحذر منه غاية التحذير، ولهذا يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن القرآن كله توحيد، القرآن كله توحيد، وبين هذا كيف كان، القرآن كله توحيد^(١).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين (٣ / ٤١٧): (إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعٌ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَالْإِزَامُ بِطَاعَتِهِ فِي تَهْنِئَةٍ وَأَمْرِهِ، فَهِيَ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمُكَمَّلَاتُهُ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنِ كَرَامَةِ اللَّهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشُّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقُوبِ مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ خَبَرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَلْفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ)، لأن الحلف تعظيم للمحلوف به، وهذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ»^(١)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْيَمِينِ الْعَمُوسِ)، إذا حلف بالله صادقًا، هو لم يكذب فهي أشد من اليمين الغموس التي تغمس صاحبها بالإثم ثم في النار؛ لأن الشرك هو أعظم الذنوب، وإن كان أصغر، فهو أعظم الذنوب.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الخَامِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَاوِ وَ«ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ)، الفرق بين الواو و«ثم»، العطف بالواو والعطف ب«ثم».

فلا تقل: لولا الله وفلان، ولكن تقول: لولا الله ثم فلان، تأتي ب«ثم». «ما شاء الله وشاء فلان»: هذا شرك، والتوحيد أن تقول: «ما شاء الله ثم شاء فلان»، تأتي ب«ثم»، فتكون مشيئة العبد متأخرة عن مشيئة الله، وليست مشاركة لها.



(١) سبق تخريجه (ص ٧٨).

(٢) سبق تخريجه (ص ٧٤).

٤٢ - بَابُ مَا جَاءَ فِيهِمْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ^(١).

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِيهِمْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

قوله: «لَا تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ»، تقدم النهي عن الحلف بغير الله عموماً.

وقوله: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ»، هذا مما أوجبه الله على عباده، وحضهم عليه في كتابه؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [النوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [عمد: ٢١]، وهو حال أهل البر؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْآلِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٠١)، والبيهقي في الكبرى (٣٠٥ / ١٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ)، ما جاء من الوعيد في حق من لم يقنع بالحلف بالله؛ «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ»)، فَلْيَرْضَ: هذا هو التوحيد.

«مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ»، ولا يحلف بالله كاذباً؛ يعظم اليمين، وهذا من تعظيم الله سبحانه، من تعظيم المحلوف به، «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ)، تبرأ الله منه -والعياذ بالله- من لم يرض بالحلف بالله، بماذا يرضى؟ ما الذي يرضى به؟ يرضى بالحلف بالله، «وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ»: تبرأ الله منه -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ»، هذا مما أوجبه الله على عباده، وحضهم عليه في كتابه)، «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ»، هذا الذي جاء عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩])، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتخذوا وقاية تقيكم من عذابه وغضبه بطاعته سبحانه. الوقاية: هي طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه الوقاية التي تقي من عذاب الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥])، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾، إلى قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١])، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ في الجهاد، وكان لابد من الجهاد.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾، وجاهدوا في سبيله لنصرة دينه، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾، وإن كان قد ينالهم شيء مما يكرهون، فهو مكتوب لهم عند الله في صحائف أعمالهم الصالحة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو حال أهل البر؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّالِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧])، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾، يعني: وقت القتال يكونون صادقين مع الله، نأوين بذلك نصره الدين وطاعة الله ورسوله.

ش: وقوله: «وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ»، أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه، فلا ريب أنه يجب عليه الرضا، وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك، فهذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حلف له معذراً أو متبرئاً من تهمة. ومن حقه عليه: أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه؛ كما في الأثر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَا تَظَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ شَرًّا، وَأَنْتَ تَجِدُهَا مِنَ الْخَيْرِ مُحْمَلًا»^(١).

وفيه: من التواضع والألفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم، وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله، ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد؛ كما في الحديث^(٢)، وهو من مكارم الأخلاق.

فتأمل -أيها الناصح لنفسه- ما يصلحك مع الله تعالى؛ من القيام بحقوقه وحقوق عباده، وإدخال السرور على المسلمين، وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم؛ فإن فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٩/٤٤)، وأحمد في الزهد كما في الدر المشور (٥٦٥/٧). وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٣٠٩/٢)، وتفسير ابن كثير (٣٧٧/٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥٣٧، ٥٣٥/٤٥)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وابن حبان (٥٠٧، ٥٠٦/١٢، ٢٣٠/٢).

وبسط هذه الأمور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الأدب وغيرها.
فمن رُزِقَ ذلك والعمل بما ينبغي العمل به منه، وترك ما يجب تركه من ذلك،
دل على وفور دينه، وكمال عقله. والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين.
والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وقوله: «وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلَيرْضُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ،
فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ»)، «وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلَيرْضُ»، ولو كان الحالف كاذبًا، لكن
المحلف له يرضى بالله عَزَّوَجَلَّ. «وَمَنْ لَمْ يَرْضَ» بالحلف «بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ
اللَّهِ»، تبرأ الله منه - والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين
فأحلفه فلا ريب أنه يجب عليه الرضا)، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبَيِّنَةُ عَلَى
الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»^(١)، فإذا حَلَفَ القاضي المنكر، فإنه يجب على
المدعي أن يرضى بذلك؛ تعظيماً لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات
من بعضهم لبعض ونحو ذلك، فهذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل
منه إذا حلف له معتذرًا أو متبرئًا من تهمة)، في الخصومات هذا معروف،
وكذلك فيما يجري بين الناس من الاختلافات، فإنه إذا حلف أحد الاثنين،
حلف المدعي عليه، فإنه يجب على المدعي أن يقنع، فإن كان الحالف صادقًا،

(١) أخرجه الترمذي بنحوه (١٣٤١)، وابن المقرئ بلفظه في معجمه (١/١٩٨)، والدارقطني
في سننه (٤/١١٤، ٥/٢٧٦، ٣٨٩، ٣٩٠) من حديث ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فهذا هو الحق، وإن لم يك صادقاً، فالإثم عليه، ولكن المحلوف له يرضى بالحلف بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومن حقه عليه: أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه)، من حق المحلوف له: أن يحسن الظن بالحالف، وأنه صادق في يمينه، ما لم يتبين له خلاف ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومن حقه عليه: أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه، كما في الأثر عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَلَا تَظَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ شَرًّا، وَأَنْتَ تَجِدُهَا مِنَ الْخَيْرِ مُحْمَلًا»)، لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً، احمله على المحمل الطيب. وهذا تصلح به أمور الدين وأموال الدنيا، إذا تعامل الناس بذلك على تعظيم اليمين بالله، واقتنع المحلوف له بالله، فهذا هو الإيثار، وهذا هو المؤاخاة في دين الله عَزَّوَجَلَّ، ومن لم يرض باليمين، فليس من الله؛ كما في الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وفيه: من التواضع والألفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم)، إذا ساد الصدق بين المؤمنين في معاملاتهم وفي أقوالهم وأفعالهم، ووُجِدَ حسن النية من بعضهم في البعض الآخر، صلحت الأحوال، واستقامت الأمور. وأما إذا حدث التشكك في الناس وسوء الظن بالناس -بالمسلمين-، فإن العواقب وخيمة؛ لا يثق أحد بأحد، ولا يرضى أحد بأحد.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله)، أن يصدق بعضهم بعضاً إذا حلف له، وأن ذلك من أسباب اجتماع القلوب

وتآلفها بين المسلمين، وهذا هو المطلوب من المسلمين أن يكونوا إخوة متحابين، إخوة متعاونين؛ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد، كما في الحديث)، ثم إن الثقة بالمسلم تدخل في حسن الخلق الذي هو أعظم ما يوضع في ديوان المسلم: حسن الخلق؛ إنكم لا تسعون الناس بأرزاقكم، ولكن تسعونهم بأخلاقكم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فتأمل -أيها الناصح لنفسه- ما يصلحك مع الله -تعالى-؛ من القيام بحقوقه وحقوق عباده)، هذا الذي يصلحك مع الله: أن تقوم بحقوق الله عليك، وأن تقوم بحقوق العباد الواجبة عليك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإدخال السرور على المسلمين)، حسن الخلق مع المسلمين والملاطفة هذا من مكارم الأخلاق ومن خصال الدين، وأما التنافر والتباغض وسوء الظن بأخيك المسلم، فهذا من صفات أهل النفاق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم؛ فإن فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال)، لا تترفع على إخوانك المسلمين، بل اعتبرك واحداً منهم، وتفرح لفرح أخيك، وتتأثر من تأثر أخيك؛ «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَأَنْبِيَّانٍ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

(١) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وبسط هذه الأمور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الأدب وغيرها)، في كتب الأدب الشرعي، الآداب الشرعية فيها مؤلفات، دُونت فيها الآداب الشرعية التي يجب أن تسود بين المسلمين.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فمن رُزِقَ ذلك والعمل بما ينبغي العمل به منه، وترك ما يجب تركه من ذلك)، وهذا واجب على كل مسلم أن يعمل بما يجب العمل به، وأن يترك ما يجب تركه، هذا هو دين الإسلام، وهو الخلق الذي يجب أن يسود بين المسلمين، واقرؤوا سورة الحجرات وما فيها من التوجيهات الربانية العظيمة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين)، هذا لا يتم إلا بإعانة الله عَزَّوَجَلَّ، والاعتماد على الله بأن يرزقك هذه الأخلاق الطيبة السامية؛ اطلب من الله: «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»^(١).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين، والله أعلم)، ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فكل مخلوق فهو مفتقر إلى الله جَلَّوَعَلَا، ولولا أن الله يعينه ويمده ويرزقه، ما استطاع أن يعيش على هذه الأرض.



(١) أخرجه بنحوه أحمد في مسنده (٣٧٣/٦)، وابن حبان (٢٣٩/٣)، والطبراني بلفظه في الدعاء (١/١٤٥، ٤١٥) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ؛

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الْحَلْفِ بِالْأَبَاءِ.

الثَّانِيَّةُ: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْضَى.

الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، يعني: في هذا الباب مسائل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الْحَلْفِ بِالْأَبَاءِ)، النهي عن الحلف بالآباء؛ «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»، كانوا في الجاهلية يحلفون بآبائهم، «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَّةُ: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْضَى)، يقتنع، «وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ»، هذا الحديث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ)، «فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ»، هذا الوعيد: أنه ليس من الله؛ تبرأ الله منه.



٤٣ - بَابُ قَوْلٍ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

عَنْ قَتِيلَةَ: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ! وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ! فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ^(١).

[ش:] قوله: (بَابُ قَوْلٍ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ).

عَنْ قَتِيلَةَ: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

قوله: عن قَتِيلَةَ -بمثناة مصغرة- بنت صيفي الأنصارية صحابية مهاجرة، لها حديث في سنن النسائي، وهو المذكور في الباب^(٢)، ورواه عنها عبد الله بن يسار الجعفي.

وفيه: قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٤/٤٣٦، ٩/٣٦٢)، وفي المجتبى (٣٧٧٣). وأخرجه -أيضاً-: أحمد في مسنده (٤٥/٤٣)، والحاكم في المستدرک وصححه (٤/٣٣١).

(٢) هي: قَتِيلَةُ بنت صيفي الجهنية، قال ابن حجر في الإصابة (٨/٢٨٤): (ويقال: الأنصارية، قال أبو عمر: كانت من المهاجرات الأول... ولم أر من نسبها أنصارية، وقوله: من المهاجرات، يأبى ذلك). انظر في ترجمتها: الطبقات الكبرى (٨/٢٣٨)، وأسد الغابة (٧/٢٣٣)، وتهذيب الكمال (٣٥/٢٧٠)، والوافي بالوفيات (٢٤/١٤٩).

وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة.

وهذا يبين أن النهي عن الشرك بالله عام لا يصلح منه شيء، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه. وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله، ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع، وإنما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها، وجعلها للأمة قبلة، فالطواف بها مشروع، والحلف بها ودعاؤها ممنوع.

فميز -أيها المكلف- بين ما يشرع وما يمتنع، وإن خالفك من خالفك من جهة الناس الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ قَوْلٍ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ)، أن ذلك لا يجوز؛ لأن الواو تقتضي المشاركة بين الطرفين: المعطوف والمعطوف عليه، والله جَلَّ وَعَلَا لا شريك له. وأن الصواب الذي أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقال: ما شاء الله ثم شئت؛ تأتي بـ«ثم»؛ لأن «ثم» للترتيب مع التراخي، وأما الواو فهي للجمع، فتجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله بـ«ثم» ومرتبة عليها، وهذا هو الصواب، هذا من مكملات التوحيد، من مكملات التوحيد أن تقول: ما شاء الله ثم شئت، ولا تقل: «ما شاء الله وشئت»، فلا يجوز، الجمع بين الله وبين المخلوق بالواو؛ لأن الواو تقتضي المشاركة والمساواة، فماذا تعمل؟ تأتي بـ«ثم»: «لولا الله ثم أنت»، فتجعل المخلوق مرتباً مع الله

ب«ثم»، و«ثم» للتراخي، والواو للجمع. «ثم» للترتيب والتراخي؛ فتجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله؛ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وكذلك: لولا الله ثم أنت ما حصل كذا بي، لولا الله ثم، لا تقل: لولا الله وأنت. وقد قال رجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ»، قَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ - يعني: شريكًا - قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ قَتِيلَةَ)، قَتِيلَةَ: هي قتيلة بنت الحارث الهلالية صحابية جليلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ قَتِيلَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ! وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ!)، لاحظ! اليهود لأن لهم هوى أدركوا هذا الخطأ؛ لأن لهم هوى، وهم يريدون أن يعيبوا على المسلمين؛ يتصيدون عليهم الأخطاء، فهذا اليهودي جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو من يهود المدينة-، وقال: يا محمد، إنكم تشركون؛ كيف؟ تقولون: ما شاء الله وشئت. أدرك هذا اليهودي هذا الخطأ، وإن كان يسيرًا على المسلمين؛ لأن له هوى، وينسى ما عند اليهود من الطوام والشركيات، ينسى ذلك. ولكن لم يمنع هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأخذ بالصواب، ولو جاء به عدو، فالحق ولو جاء به العدو تقبله، تقبل الحق ممن جاء به، ولو كان عدوًّا. «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ! ولكن قولوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ».

لأن «ثم» تجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله ومرتبة عليها، وهذا هو التوحيد، وهذا فيه نجاة من الشرك اللفظي، شرك لفظي ولكن يتجنب، ولو كان لفظيًا.

فانظر! العدو يتصيد الأخطاء على المسلمين، فهذا يهودي، يهودي على دين اليهود جاء للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ! مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ! فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ». أن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت، ونهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد. فهذا فيه - كما يقول الشيخ - فهم الإنسان إذا كان له هوى، اليهودي له هوى، ليس قصده الحق، لكن له هوى بتنقص المسلمين، فوجد هذه الغلطة؛ يقولون: ما شاء الله وشاء محمد، وهذا شرك؛ لأن الواو تقتضي التشريك والمساواة. النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعنف عليه مع أنه عدو، لم يعنف عليه؛ لأن هذا حق، والحق يقبل ممن جاء به ولو كان عدوًا، قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر، ونبه عليه، فكان ذلك سبب خير للمسلمين، محيى هذا اليهودي صار سبب خير للمسلمين؛ حيث إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجههم إلى الطريق الصحيح بسبب محيى هذا اليهودي الذي لم يأت ناصحًا، وإنما جاء معيرًا، ولكن المسلم يقبل الحق ممن جاء به ولو كان عدوًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةُ!)، تحلفون بالكعبة، والكعبة مشرفة، ولها مكانة عظيمة في الإسلام وعند المسلمين وعند الله قبل ذلك؛ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، هذه الكعبة المشرفة، ومع هذا لا يجمع بينها وبين المخلوق في الحلف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ)، أرشدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصواب، وأخذ بقول اليهودي لما جاء بالحق، فالحق يُقبل ممن جاء به، فأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعديل العبارة بدل: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ»، تقول: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ. العبد له مشيئة بلا شك، والله له مشيئة؛ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، لكن تُجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله، ويفصل بينهما بـ«ثم»، لا بالواو، والحديث وإن كان ضعيفاً فإنه يُعمل به في مجال الأمر والنهي احتياطاً.

فلا يجوز الحلف بالمخلوق، ولو كان هذا المخلوق فاضلاً معظماً مثل الكعبة لا يحلف بها، لا يقال: والكعبة، وإنما يقال: ورب الكعبة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان)، يعني: ولو كان عدواً، ولو كان هو عنده أخطاء أكبر من ذلك، فإننا نقبل الحق. فلو كان عدواً، إذا جاءك العدو بالحق، فإنك تقبله، وتعمل به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة)، الكعبة معظمة، وهي بيت الله، هي بيت الله العتيق، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. هي بيت الله العتيق، ومع هذا لا يجوز الحلف بها، فلا تقل: والكعبة، لكن تحلف برب الكعبة؛ لأن الله رب كل شيء ومليك، فلا يحلف إلا بالله؛ «لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفاً

فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١)؛ لأن الحلف بالشيء تعظيم له، التعظيم حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة)، الكعبة وإن كانت عظيمة معظمة ومشرفة، ولكنها مخلوقة، لا يحلف بها، ويتوجه إليها المسلمون في صلواتهم وفي دعواتهم في أي مكان، هي بيت الله العتيق، بيت الله المحرم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا يبين أن النهي عن الشرك بالله عام)، النهي عن الشرك عام في الشرك الأصغر والشرك الأكبر، لا يتساهل في الشرك الأصغر؛ لأنه يقود إلى الشرك الأكبر، وهو وسيلة إليه. فالنهي عن الشرك عام، سواء صدر من كافر أو من مسلم ينهى عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يصلح منه شيء، لا للملك مقرب، ولا لنبي مرسل)، لا للملك مقرب كجبريل عَلَيْهِ السَّلَام، ولا لنبي مرسل وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه)، ولا بالكعبة مع أنها بيت الله العتيق، ومكانتها في الإسلام عظيمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه)، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، ومقام إبراهيم هو الصخرة التي كان يقف عليها حين يبني الكعبة، ترتفع به وتنخفض بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فجعل الله لها

(١) سبق تحريجه (ص ٧٨).

مكانة وشرفاً، وفيها آثار قدمي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيها آثار قدمي إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم)، انتبهوا! ينهكم الشيخ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله)، من الجهال من يسأل الكعبة، ويتعلق بها، ويشتد عندها، هي بيت الله بلا شك، بيت الله العتيق، ولكنها محل عبادة ودعاء، وليست محل استنجاد بها، أو طلب شيء منها، فهم يحلفون بالكعبة، ويشركون بالكعبة، فلا يجوز هذا، لا يجوز شيء من الشرك، ولو كان شركاً أصغر؛ لأن التهاون به يجر إلى الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع)، هي بيت الله جَلَّ وَعَلَا، بيت الله العتيق التي يحج إليها ويعتمر إليها، ويصلى إليها في جميع أقطار الأرض؛ يتجهون إليها في صلاتهم؛ ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، يعني: نحوه وجهته.

فالكعبة لا تضر ولا تنفع، هي حجارة وبنيان، لكنها مشعر من شعائر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أي: علامات العبادة التي وضعها الله لعباده، فهي مشعر؛ يعبد الله عندها، ويطاف بها، ويحج ويعتمر إليها، ويصلى إليها، المسلمون في أقطار الأرض في مشارق الأرض ومغاربها يتوجهون في صلاتهم ودعائهم إلى الكعبة بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها)،
﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، أمر الله بالطواف بها تطوعاً أو
واجباً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجعلها للأمة قبلة)، جعل الله الكعبة للأمة قبلة؛
﴿قَدْ زَرَى تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]؛ لأن القبلة كانت في
أول الإسلام إلى بيت المقدس، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب أن يستقبل
الكعبة، علم الله ذلك منه؛ ﴿قَدْ زَرَى تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، كان
ينظر إلى السماء يتحرى أن ينزل الأمر بالتوجه إلى الكعبة. ﴿فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً
تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]؛ فالذي يرى الكعبة لابد أن يتوجه إليها، إلى عينها، لابد
أن يتوجه إلى عينها، وأما الذي لا يرى الكعبة، فإنه يتوجه إلى الجهة التي
فيها الكعبة؛ ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]،
وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل المدينة: «مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ»^(١)، فكلما
ابتعد الإنسان عن الكعبة، اتسع الاتجاه إليها، كل أهل الأرض من المسلمين
يتوجهون إلى الكعبة في أي مكان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالطواف بها مشروع، والحلف بها ودعاؤها ممنوع)،
الطواف بالكعبة مشروع، والحلف بها ممنوع؛ الحلف لا يكون إلا بالله، أو
بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه.

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٢، ٣٤٤)، وابن ماجه (١٠١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فميز - أيها المكلف - بين ما يشرع وما يمنع)؛ في حق الكعبة وغيرها. لا تنظر إلى الناس وأفعالهم، وإنما تنظر إلى ما جاء به جبريل إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما بلغه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمته، خذ هذا، ولا تحد عنه، وإن خالفك الناس، ولو آذوك وازدروك، لا تلتفت إليهم، كن مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من كان مع الله، كان الله معه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وإن خالفك من خالفك من جهة الناس الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً)، لا تنظر إلى الناس، انظر إلى الشرع المطهر وما جاء به، لا تنظر إلى العادات والتقاليد التي ما أنزل الله بها من سلطان، انظر إلى الشرع المطهر، وهو ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاعمل به، واثبت عليه، وادع إليه.



ش: قوله: «وَأِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ»، والعبد وإن كان له مشيئة، فمشيئته تابعة لمشيئة الله، ولا قدرة له على أن يشاء شيئاً إلا إذا كان الله قد شاء؛ كما قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠]، وفي هذه الآيات والأحاديث الرد على القدرية والمعتزلة - نفاة القدر - الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أَرَادَهُ الله تعالى من العبد وشاءه، وسيأتي ما يبطل قولهم في: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكَرِي الْقَدْرِ) إن شاء الله، وأنهم مجوس هذه الأمة.

وأما أهل السنة والجماعة، فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى في كل شيء مما يوافق ما شرعه الله وما يخالفه من أفعال العباد وأقوالهم، فالكل بمشيئة الله وإرادته، فما وافق ما شرعه، رضي به وأحبه، وما خالفه، كرهه من العبد؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّيْ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] الآية.

وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر اليهودي على قوله: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَأِنْكُمْ تُشْرِكُونَ»)، يعني قول اليهودي، الإنسان إذا صار له هوى، التمس الزلات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَأِنْكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ»)، قبله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قبل هذا، ولم يقل: وأنتم اليهودي عندكم كذا وكذا من الطوام، بل قبل هذا التنبيه، ولو كان من عدو.

أقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن هذا شرك، أقره على هذا؛ لأنه شرك، لأنه جمع بين الله وبين العبد بالواو، والواو تقتضي المشاركة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والعبد وإن كان له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله)، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فالعبد له مشيئة، والله له مشيئة، فلا تجمع بينهما بالواو، ولكن رتب مشيئة العبد على مشيئة الله؛ ما شاء الله ثم شئت.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا قدرة له على أن يشاء شيئاً إلا إذا كان الله قد شاءه)، بلا شك؛ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ٣٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، فأثبت له سبحانه مشيئة، وأثبت للعبد مشيئة، وجعلها مترتبة على مشيئة الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، أثبت الله لنفسه - سبحانه - مشيئة، وأثبت لعبده مشيئة، ولكن لا يُجمع بينهما بالواو، فيقال: ما شاء الله وشئت، بل يقال: ما شاء الله ثم شئت؛ تكون مشيئة العبد بعد مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٢٩) القرآن تذكرة، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [المذثر: ٥٥]، يعني: قرأه وعمل به، ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾: بمشيئته، فالعبد يعمل بمشيئته، وأثبت الله له مشيئة. إذا فالحديث وإن كان فيه ضعف فإن الآية تؤيده، الآية تؤيده، وتثبت للعبد مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله، هذا هو التوحيد.

والشاهد منها: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ فأثبت للعبد مشيئة، وأثبت لنفسه مشيئة، وجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. أثبت للعبد مشيئة، ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾، يعني: منكم، من شاء منكم أيها المخاطبون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذه الآيات والأحاديث الرد على القدرية والمعتزلة - نفاة القدر - الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أَرَادَهُ اللهُ - تعالى - من العبد وشاءه)، الجهمية والمعتزلة و فرق الضلال يثبتون للعبد مشيئة، لكن يغفلون فيها، يغفلون في مشيئة العبد، ويخرجونها عن مدارها الصحيح ويعظمونها. أما أهل الإيمان، فهم يوافقون الكتاب والسنة؛ فيجعلون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

جاء رجل إلى أحد المعتزلة، وقال له: إِنَّ نَاقَتِي سُرِقَتْ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرَدَّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ نَاقَةَ هَذَا الْفَقِيرِ سُرِقَتْ، وَلَمْ تُرَدْ سَرِقَتَهَا، اللَّهُمَّ ارْزُدْهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا شَيْخُ، الْآنَ ذَهَبَتْ نَاقَتِي وَأَيْسْتُ مِنْهَا، قَالَ: وَكَيْفَ؟

قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرَقَ فَسُرِقَتْ، لَمْ آمَنْ أَنْ يُرِيدَ رُجُوعَهَا، فَلَا تَرْجِعْ، وَتَهْضَمِنْ مِنْ عِنْدِهِ مُنْصَرِفًا. إِذَا كَانَ اللَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنْ تُسْرَقَ وَسُرِقَتْ، فَإِنِّي أَخْشَى -يعني: باعتقادك-، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَدَّهَا، فَلَا تَرُدْ، أَعْرَابِي أَدْرِكُ هَذَا، وَأَنْكَرُ عَلَى الْمُعْتَزِلِيِّ (١).

فهذا فيه ردُّ على الجهمية والمعتزلة الذين لا يثبتون لله مشيئة، المعتزلة لا يثبتون لله مشيئة، وكذلك أشياخهم الجهمية -نسأل الله العافية-، فينفون صفة عظيمة من صفات الله عَزَّجَلَّ.

فالقدرية نفاة القدر؛ الذين يقولون عن الأمر: آتٍ، وليس هناك قدرٌ سابق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسَيَأْتِي مَا يَبْطُلُ قَوْلُهُمْ فِي: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكَرِي الْقَدْرِ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَنْهُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ)، هذا الكتاب -كتاب التوحيد- كتاب عظيم، والله إنه عظيم؛ فيه تحقيق التوحيد الخالص لله عَزَّجَلَّ، وفيه نفي عقائد أهل الجاهلية وأهل الشرك والفرق الضالة؛ لأنهم ينكرون القدر، الجهمية والمعتزلة ينكرون القدر، والله جَلَّ وَعَلَا قدر كل شيء؛ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ، نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، فهم ينفون القدر، وينفون سائر الصفات، ولذلك سُمُوا بالمعطلة؛ لأنهم عطلوا الله جَلَّ وَعَلَا من أسائه وصفاته -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!

(١) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ٢٨٠)، واعتقاد أهل السنة لالكاظمي (٤/ ٨٥٦)، والأذكياء لابن الجوزي (ص ٩١).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وأنهم مجوس هذه الأمة)، المعتزلة مجوس هذه الأمة، لماذا؟ المجوس جعلوا إلهين اثنين: خالق للخير وخالق للشر، خالق للنور وخالق للظلمة، المجوس جعلوا إلهين اثنين، ولذلك يسمون الثنوية؛ لأنهم جعلوا إلهين اثنين -نسأل الله العافية-، فالذي يشبههم من هذه الأمة هم المعتزلة؛ لأن المعتزلة أثبتوا خالقين: أن العبد له مشيئة خارجة عن مشيئة الله، فجعلوه شريكاً لله.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله -تعالى- في كل شيء)، أهل السنة والجماعة تمسكوا بما جاء في الكتاب والسنة، فأثبتوا ما أثبتته الكتاب والسنة، وقد أثبت الكتاب والسنة المشيئة للعبد، أثبتوها للعبد، ولكن جعلوها مترتبة وتابعة لمشيئة الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا هو الحق البين الواضح؛ فالله قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ومترتبة عليها، مشيئة العبد تكون صحيحة، وتكون باطلة، إذا شاء الباطل وشاء الانحراف، فإنه مشيئته باطلة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فما وافق ما شرعه رضيهِ وأحبه، وما خالفه كرهه من العبد)، كرهه ونهى عنه، فليس من لازم المشيئة: المحبة؛ فقد يشاء الله شيئاً ولا يحبه؛ مثل كفر الكافر، ضلال الضال؛ شاءه الله، لكن لا يحبه، وإنما شاءه لحكمة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما الإرادة، فهي قسمان: الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية.

الإرادة الشرعية من لازمها المحبة، وأما الإرادة الكونية، فليس من لازمها المحبة؛ قد يريد الله كوناً، وهو لا يحبه شرعاً؛ من باب الابتلاء والامتحان والحكم التي لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧: الآية])، لو كفر أهل الأرض كلهم، ما نقص ذلك من ملك الله شيئاً، ولكن كفرهم يعود ضرره عليهم، وأما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لا تضره معصية العاصي، ولا تنفعه طاعة المطيع، وإنما النفع والضرر يرجعان إلى المخلوق، إلى صاحب المشيئة، صاحب الإرادة.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾: دل على أن العبد يكفر بإرادته، وليس مجبراً - كما تقوله الجبرية -، يكفر بإرادته، ويطيع بإرادته، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك)؛ لأن الكعبة مخلوق، ولا يجوز الحلف بالمخلوق، بل هو من الشرك بالله؛ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(١)، فلا يجوز الحلف بمخلوق؛ لا الكعبة، ولا غير الكعبة؛ «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٢)، وهذا سيأتي له بابٌ مستقل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر اليهودي على قوله: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ»)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أقر اليهودي على قوله: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ»، ولم يرد عليه ذلك؛ لأنه حق، والحق يقبل ممن جاء به.

(١) سبق تخريجه (ص ٧٤).

(٢) سبق تخريجه (ص ٧٨).

وَلَهُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، قَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١).

ش: هذا يقرر ما تقدم من أن هذا شرك؛ لوجود التسوية في العطف بالواو.

وقوله: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا»، فيه بيان أن من سوى العبد بالله، ولو في الشرك الأصغر، فقد جعله ندًّا لله، شاء أم أبى - خلافا لما يقوله الجاهلون -، بما يختص بالله من عبادته، وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَهُ أَيْضًا)، وله: الذي روى الحديث الأول النسائي، فسنن النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ من أحق وأطيب كتب السنن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، قَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»)، رجلٌ قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ»، بالواو. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منكرًا عليه، «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟»، يعني: شريكًا؛ حيث شركت بيني وبينه في المشيئة.

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٣/٣٣٩، ٤٣١، ٤/٣٤١، ٥/٢٩٧)، والنسائي في الكبرى (٩/٣٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٣/٢١٧)، وفيه: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا...». وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٧٤)، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٩٩) وفيه: «جَعَلْتُ لِلَّهِ نِدًّا...».

«قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»، فأرشدته إلى الصواب وإلى التوحيد، وإلى ما يبرئ الذمة، وهذا من نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإرشاده لواحد من الأمة إرشاد لجميع الأمة، وأمره لواحد أمر لجميع الأمة، إلا إذا دل دليل على خصوصية هذا الشخص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الشارح)، الشارح: الذي هو سليمان بن محمد بن عبد الوهاب الذي قتله إبراهيم باشا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا يقرر ما تقدم من أن هذا شرك، لوجود التسوية في العطف بالواو)، العطف بالواو، أما لو كان بـ«ثم»، فإنه صحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا»، فيه بيان أن من سوى العبد بالله، ولو في الشرك الأصغر، فقد جعله ندًّا لله، شاء أم أبى)، ندًّا: أي مساويًا لله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقد جعله ندًّا لله، شاء أم أبى)، ولو قال: أنا لم أقصد، العبرة ليست بالقصد، العبرة باللفظ، العبرة باللفظ المنهي عنه، لا تأت به، ولو أنك لم تقصد، أما لو قصد، فيكون هذا الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه)، الأكبر والأصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)، هذا حديث، هذا حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»^(١)، فمن وفقه الله للفقه في الدين، فهذا دليل على أن الله أراد به خيرًا، ومن حرمه الفقه في الدين، فهذا دليل على أن الله أراد به غير ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا بَنٍ مَّاجِهِ عَنِ الطُّفِيلِ - أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا - قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَضْرٍ مِنَ الْيَهُودِ. قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ؛ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ! قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ؛ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ! ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَضْرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ؛ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ! قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ؛ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ! فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا؛ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١).

[ش:] قوله: (عَنِ الطُّفِيلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا) هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة، أخو عائشة لأُمِّهَا، صحابي له حديث عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنف في الباب^(٢).

وهذه الرؤيا حق، أقرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمل بمقتضاها، فنهاهم أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ»، وأمرهم أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ».

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨) بغير هذا اللفظ، وأخرجه أحمد في المسند (٢٩٦/٣٤) بنحوه.

(٢) انظر في ترجمة الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معجم الصحابة للبغوي (٤٣٠/٣)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١٥٦٥/٣)، والاستيعاب (٧٥٦/٢)، والإصابة (٤٢١/٣).

وهذا الحديث والذي قبله أمرهم فيه أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَدَهُ»، ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه، فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص.

قوله: «كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمُ عَنْهَا». ورد في بعض الطرق: «أنه كان يمنعه الحياء منهم»^(١)، وبعد هذا الحديث الذي حدثه به الطفيل عن رؤياه خطبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنهى عن ذلك نهياً بليغاً، فما زال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبلغهم حتى أكمل الله له الدين، وأتم له به النعمة، وبلغ البلاغ المبين - صلوات الله وسلامهم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفيه معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»^(٢).

قلت: وإن كانت رؤيا منام، فهي وحي يثبت بها ما ثبت بالوحي أمراً ونهياً - والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ الطُّفَيْلِ - أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا)، أم عائشة: أم رومان، وهي والدته - أيضاً - للطفيل.

(١) هي رواية أحمد في المسند (٢٩٦ / ٣٤)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢١٣ / ٥)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٨٦١ / ٢)، والطبراني في الكبير (٣٢٤ / ٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٩) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (٦٩٨٨)، ومسلم (٨، ٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ)، رأيت: يعني: هذا في الرؤيا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ؛ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: عَزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ!)، هذه مقالة اليهود: عَزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ.

عَزَيْرٌ: هو عزرا، هو يسمونه عزرا بلسان اليهود، وهو عَزَيْرٌ، عَزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ - تعالى الله عما يقولون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ)، بهذه الرؤيا.
قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا)، كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا، يعني: الحياء، كان يمنع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن ينبه عليها الحياء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الرؤيا حق، أقرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمل بمقتضاها)، الرؤيا لا يشرع بها أحكام إلا إذا أقرها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أقرها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يشرع بها أحكام، أما مجرد الرؤيا من غير أن يقرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يشرع بها أحكام، ولكن يُعْمَلُ بها في الخير، ويُتْرَكُ الشر الذي نهت عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا الحديث والذي قبله أمرهم فيه أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»، ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك)، هذا من تكميل التوحيد، أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص)، يتجنب الألفاظ التي فيها محذور، ويلتزم بالألفاظ السليمة، ويقوم مقاله حتى يسلم من الوقوع في الخطأ أو الشرك أو الذم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وبعد هذا الحديث الذي حدثه به الطفيل عن رؤياه خطبهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنهى عن ذلك نهياً بليغاً، فما زال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبلغهم حتى أكمل الله له الدين، وأتم له به النعمة، وبلغ البلاغ المبين - صلوات الله وسلامهم عليه وعلى آله وصبحه أجمعين)، لم يترك شيئاً يُقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا إلا وبينه لأتمته، ولم يترك شيئاً يُبعد عن الله إلا وبينه لأتمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، وأمرنا بالاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وفيه معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»)، الرؤيا الصالحة، ليس كل رؤيا، لكن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما بُدئ به قبل بعثته في الرؤيا؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح^(١).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قلت: وإن كانت رؤيا منام، فهي وحي يثبت بها ما ثبت بالوحي أمراً ونهياً - والله أعلم)؛ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرها، ولم يقرها إلا بالوحي.

(١) أخرجه البخاري (٣، ٤٩٥٣، ٤٩٥٥، ٤٩٥٦، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَمَّا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ».

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالشَّرِكِ الْأَصْغَرِ.

الثَّانِيَّةُ : فَهْمُ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى.

الثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ »^(١) ، فَكَيْفَ بَمَنْ

قَالَ : (مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ) . وَالْبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ؟

الرَّابِعَةُ : أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

«يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا» .

الخَامِسَةُ : أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ .

السَّادِسَةُ : أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : (الأُولَى : مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالشَّرِكِ الْأَصْغَرِ) ؛ لِأَنَّهُمْ هَوًى ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى ، فَإِنَّهُ يَعْرِفُ حَتَّى الصَّغَائِرَ مِنَ الذُّنُوبِ ؛ لِيَعْرِفَ بِهَا غَيْرَهُ .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : (الثَّانِيَّةُ : فَهْمُ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى) ، فَهَذَا الْيَهُودِي لَمَّا كَانَ هَوًى عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَهَمَّ الْخَطَأَ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَبَهُ عَلَيْهِ .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : (الثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ ») فَكَيْفَ بَمَنْ قَالَ : (مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ) . وَالْبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ؟! ، صَاحِبُ الْبُرْدَةِ الْبُوصِيرِي ، يَقُولُ الْبُوصِيرِي فِي بُرْدَتِهِ - قَصِيدَةُ تَسْمَى الْبُرْدَةُ - :

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ، يعني: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أَكْرَمُ الْخَلْقِ بلا شك.
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي أَخِيذًا بِيَدِي فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا، لاحظ! -والعياذ بالله- الشرك.

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا، يعني: الآخرة، الدنيا والآخرة من جود
الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس لله فيها شيء -تعالى الله عما يقول!
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

وهذا أشد -والعياذ بالله-، جعل ما كُتِبَ في اللوح بعض علم الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الغلو -والعياذ بالله- والشرك فظيع، ومع هذا يقرؤونها،
يقرؤونها الآن في الموالد ويرددونها، يفرحون بها؛ البردة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا الْيَسَّ مِنَ الشَّرِّ الْأَكْبَرِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا»)، ولو كان من الأكبر، لما منعه الحياء أن ينكره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ)، جزء من
النبوة، كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما بُدِئَ به الرؤيا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ)،
الرؤيا تكون سببًا لشرع بعض الأحكام إذا كان هذا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فإنه نهى عن هذا القول، وسبب هذا الرؤيا التي رُئِيت.



٤٤ - بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

[ش:] قوله: (بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ)، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

قال العماد ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]، أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقولوه الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البدأة والرجعة.

وتقول الفلاسفة الدهرية الدورية، المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، أي: يتوهمون ويتخيلون^(١).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٨ - ٢٦٩).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ)، من سب الدهر، فقد آذى الله، وفي رواية: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١)، فإذا سب الدهر، سب من خلقه، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدهر إنما هو وقت للأعمال لا يسب.

قول المصنف: (مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ)، هذا أخذ من الحديث: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»، وليس الدهر من أسماء الله، وإنما بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معنى آذى الله في أن الدهر إنما هو زمان ووقت للأعمال من خير أو شر، فهو لا يُسب، وإنما يُسب فعل العصاة والمذنبين الذين يستغلون الدهر لغير ما خُلق له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ)، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتأذى، ولكنه لا يتضرر، يتأذى بأفعال الناس والخلق التي لا تليق، وهو لا يتضرر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤])، هؤلاء الكفار الذين ينسبون الحوادث إلى الدهر، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

الدهر إنما هو وقت للأعمال، ولا ينسب إليه شيء من أفعال بني آدم، إنما أفعالهم تعود عليهم، والدهر برئ منها، وليس الدهر من أسماء الله سبحانه؛

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦، ٦١٨١، ٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة

لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين، قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله عَزَّ وَجَلَّ: «وَأَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، فالذي يقلب الليل والنهار هو الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: لا يؤمنون بالآخرة.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ﴾، أي: الكفار، ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾.

ثم نسبوا ذلك، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، ولم ينسبوا ذلك إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الذي يحيي ويميت، والذي بيده الأمر، والذي خلق الدهر، خلق الليل والنهار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾، ما لهم بهذا الكلام من علم، إنما هو من عند أنفسهم؛ لأنهم لم يتلقوا العلم عن أهله المعروفين به، فصاروا يتخرصون ويتخبطون، ويقولون ما لا يليق في جناب الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العماد ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الباقية: ٢٤]، أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة)، هذا إنكار للبعث.

﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، يعني: ينكرون الآخرة والبعث.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]،

هكذا يقولون. وهذا كفر بالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، كفرٌ بها جاءت به الرسل من

الإخبار عن البعث والنشور والجزاء والحساب، وأن هناك يومًا بعد الدنيا، وهو اليوم الآخر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقولوه الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البدأة والرجعة)، هو كفرٌ موروث عن السابقين من كفار الأمم الذين ينكرون البعث والنشور، ويقولون: ما هي إلا هذه الدنيا فقط، وليس هناك بعث، ولا يوم آخر ولا حساب ولا جزاء، هكذا يقولون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية، المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه)، كلها أقوال باطلة وأقوال تخمينية؛ لأنهم أعرضوا عن الرسل وعما جاءوا به من الإخبار عن البعث والنشور، وعن الجزاء والحساب، وأن هناك يوما ينتظرهم، وهو اليوم الآخر الذي لا بد لكل الخلق من ملاقاته، لا سيما البشرية.

الله جَلَّ وَعَلَا خلق الدنيا وجعلها مزرعة للآخرة، فالسعادة في الآخرة مبنية على العمل الصالح، والعمل الصالح إنما هو في الدنيا، فالدنيا مزرعة للآخرة، فمن حفظ دينه، حفظ آخرته، ومن ضيع دينه، ضيع آخرته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول)، الفلاسفة الذين يدعون الحكمة ويسمون بالحكماء، فهذا اعتقادهم في حياتهم وفي معادهم؛ لأنهم لم يتبعوا الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

الذين جاءوا بالبيان التام، وبينوا أن الله خلق الدنيا وخلق الآخرة، فالدنيا مزرعة الآخرة؛ فمن حفظ دينه بالخير والعمل الصالح، حفظ آخرته، وسعد فيها، ومن ضيع دينه وعاش عيشة البهائم في هذه الدنيا، فإنه يكون خاسرًا في اليوم الآخر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا إِلَهُكُمْ﴾ [الجن: ٢٤])، ينسبون الموت للدهر، وينسون الله جَلَّ وَعَلَا الذي يحيي ويميت، والذي بيده الأمر في الأول والآخر، فهذا خسران -والعياذ بالله- كما أنهم يدعون الحكمة، ويدعون المعرفة، لكن كل معرفة وكل قول لا يكون له دليل مما جاءت به الرسل، فإنه قول ضائع وقول باطل.



فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ»، فالله يتأذى، ولكنه لا يتضرر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يؤذيه ابن آدم.

«يَسُبُّ الدَّهْرَ»: يقول: ما يهلكنا إلا الدهر، والذي يحيي ويميت هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدهر ليس له دخل إلا أنه وقت للعمل، وقت للعمل من خير أو شر، وهذا العمل يحصى ويسجل، ثم يوم القيامة يلقاه صاحبه؛ ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾^(١٣) أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^(١٤) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿[الإسراء: ١٣-١٥]

الله جَلَّ وَعَلَا أقام الحجة على عباده ببعثة الرسل، وإنزال الكتب، فلم يبق لأحد حجة على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢) (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥) (٢٢٤٦).

[ش:] فأما الحديث الذي أخرجه صاحب الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

وفي رواية: «لَا يَقُلْ ابْنُ آدَمَ يَا خَبِيبَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُرْسِلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي رواية: «لَا يَقُلْ ابْنُ آدَمَ يَا خَبِيبَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُرْسِلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»)، هذا يوضح أن قول الله جَلَّ وَعَلَا: «وَأَنَا الدَّهْرُ» ليس الدهر من أسماء الله، الله جَلَّ وَعَلَا وضح ذلك بقوله سبحانه: «أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، فالذي يتصرف في الدهر هو الله جَلَّ وَعَلَا، وليس الدهر هو الذي يتصرف، وإنما الدهر وقت للعمل من خير أو شر.



(١) أخرجه مسلم (٣) (٢٢٤٦)، والبخاري (٦١٨٢) مختصراً.

ش: قال في شرح السنة: حديث متفق على صحته، أخرجاه من طريق معمر، من أوجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال: ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد، سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمر التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر. اهـ. باختصار^(١).

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جداً بهذا الطريق، قال: (كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله تعالى في كتابه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا اللَّهُ﴾ [الجن: ٢٤] ويسبون الدهر. فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(٢).

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عينة مثله، ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) انظر: شرح السنة للبخاري (١٢/٣٥٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/٩٧).

يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»^(١)، وأخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به^(٢).

وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي، وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ: وَادَّهَرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ»^(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ مِنْ شَأْنِهَا ذِمَّ الدَّهْرِ وَسَبَّهُ عِنْدَ النَّوَازِلِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ مَا يَصِيبُهُمْ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْمَكَارِهِ، فَيَقُولُونَ: أَصَابَتْهُمْ قَوَارِعُ الدَّهْرِ، وَأَبَادَهُمُ الدَّهْرُ)، هَذَا شَأْنُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَ مَا يَصِيبُهُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ إِلَى الدَّهْرِ، وَلَا يَقْرُونَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ؛ حَتَّى يَحْضَرَهُمْ هَذَا عَلَى التَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الْعَمَلِ، يَنْسُونَ هَذَا، وَيَنْسُبُونَ كُلَّ مَا يَصِيبُهُمْ إِلَى الدَّهْرِ؛ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَاتَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي أَصَابَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا، هَذِهِ عَقِيدَةٌ جَاهِلِيَّةٌ مُخَالَفَةٌ لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ؛ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا وَخَلَقَ الْآخِرَةَ، وَجَعَلَ الدُّنْيَا مَزْرَعَةً لِلْآخِرَةِ، فَمَنْ صَلَحَتْ دُنْيَاهُ، صَلَحَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنْ سَاءَتْ دُنْيَاهُ، سَاءَتْ آخِرَتُهُ، وَلَا يَظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣٢٩١).

(٢) أخرجه من هذا الطريق: البخاري (٦١٨١)، والنسائي في الكبرى (١٠/٢٥٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٣/٣٦٨، ١٦/٣٤٠)، والطبري في تفسيره (٢١/٩٧)، وأبو يعلى في مسنده (١١/٣٥٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/١١٣)، والحاكم في المستدرک (٢/٤٩٢، ٥٣٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلمها، فكان مرجع سبها إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمر التي يصفونها، فنها عن سب الدهر)؛ لأن الدهر إنما هو وقت للعمل، سواء كان عملاً طيباً أو عملاً سيئاً، وقت للعمل فقط، وليس الدهر هو الذي يحدث، إنما هذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقال الله عَزَّوَجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»)، هذا فيه إبطال لما يعتقدُه أهل الجاهلية من أن ما يصيبهم إنما هو من الدهر، ومن طول الحياة، ومما يقع فيها، وينسون الله - سبحانه - المدبر الخالق المحيي المميت، ينسون الله جَلَّ وَعَلَا.

ومعنى قوله: (وَأَنَا الدَّهْرُ): ليس الدهر من أساء الله؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين ذلك بقوله: «وَأَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، هذا معنى قول الله: «وَأَنَا الدَّهْرُ»، أي: أن الله هو الذي يقلب الدهر، يقلب الليل والنهار، بيده الأمر، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي، وَسَبَّني عَبْدِي، يَقُولُ: وَادَّهَرَا، وَأَنَا الدَّهْرُ»)، الأحاديث بمعنى واحد؛ أن الدهر ليس له تصرف، وإنما الدهر وقت للعمل من خير أو شر، وأن الأمور كلها بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالله جَلَّ وَعَلَا بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأما الشر، فلا يُنسب إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وإنما ينسب إلى فعل العبد؛ هو الذي اكتسب هذا العمل السيء،

وهو الذي نسي الآخرة والبعث والنشور، وأطلق لنفسه العنان، ولم يكن في حسبانهِ أن هناك بعثًا ونشورًا وحسابًا وجزاء، بل أكثرهم لا يؤمن بالآخرة، وإنما يقول: إنما هي حياتنا الدنيا، وما يهلكنا إلا الدهر.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (إِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ -تعالى-: «اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي، وَسَبَّني عَبْدِي، يَقُولُ: وَادَّهَرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ»، في هذا الحديث يقول الله: «اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي»، بمعنى: أن الله أمر عبده أن يتصدق، وأن يعمل الأعمال الصالحة من ماله، فبخل بذلك، وأمسك المال، وضيع آخرته، لم يقدم لها شيئًا.

الله أعطاه هذا المال من أجل أن يعمل به عملاً صالحًا يجده في آخرته، ولم يعطه هذا المال ليعبث به، أو ليتكبر به على الناس، وإنما أعطاه هذا المال ليتمكن به من العمل الصالح ومن الصدقات، وإيتاء الزكاة، والنفقة على أهله ومن تلزمه نفقته، بل إنه أساء التصرف في هذا المال الذي أقرضه الله إياه.

«اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي»: الله جَلَّوَعَلَا أمر بالصدقات، وأمر بإخراج الزكاة، وأمر بالإِنفاق في وجوه الخير، كل هذا قرض أقرضه ربه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَيْرُ الرَّاظِقِينَ.

فالله جَلَّوَعَلَا ليس بحاجة إلى أعمال العباد، وإنما هم المحتاجون إليها، لكن برحمته أنه يتقبلها منهم، ويشيهم عليها، ويضاعفها لهم، فهذا من فضله وإحسانه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ: وَادْهَرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ»)، يقول: «وَادْهَرَاهُ»: يشكو دهره، والله هو الدهر وقد بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا، قال: «بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، هذا معنى: «وَأَنَا الدَّهْرُ»، وليس الدهر من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



ش: قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»: كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ مَلَامَةٌ، قَالُوا: يَا خَبِيبَةَ الدَّهْرِ، فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسُبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللَّهُ، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللَّهَ - سَبَّحَانَهُ -؛ لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، فَلِهَذَا نَهَى عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ، وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ. هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِّهِمُ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى؛ أَخْذًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ... اهـ^(١).
وقد تبين معناه في الحديث بقوله: «أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ»، ونقليه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.
وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي قوله: «بِيَدِي الْأَمْرِ»^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ مَلَامَةٌ، قَالُوا: يَا خَبِيبَةَ الدَّهْرِ، فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسُبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٩-٢٧٠).

(٢) هذه الزيادة وردت عند البخاري (٤٨٢٦، ٧٤٩١)، وأبي داود (٥٢٧٤)، والطبري (٩٧/٢١).

هُوَ اللَّهُ، فَكَاتَمَهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللَّهَ - سبحانه؛ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، إِذَا سَبُّوا الدهر، سَبُّوا الربَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْأَمْرُ وَالتَّدْبِيرُ، وَالْخَلْقُ وَالْإِبْدَادُ، وَأَمَّا الدهرُ فَإِنَّمَا هُوَ وَقْتُ لِلْعَمَلِ فَقَطْ، مِنْ حِفْظِهِ وَعَمَلٍ فِيهِ عَمَلًا صَالِحًا، وَجَدَهُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمِنْ ضَيْعِهِ، فَإِنَّهُ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ؛ كَمَا فِي الْقُرْآنِ: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِّهِمُ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، أَخَذًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ)، ابْنُ حَزْمٍ وَالظَّاهِرِيَّةُ غَلَطُوا فِي هَذَا، ظَنُّوا أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، مَعَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَنَا الدَّهْرُ»، كَمَا بَيْنَهُ فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، هَذَا مَعْنَى: «وَأَنَا الدَّهْرُ».

الدهر إنما هو مخلوق، وهو زمان للعمل، وليس الدهر هو الذي يصيب الناس، أو أن الموت إنما هو من أفعال الدهر، وإنما الحياة والموت بيد الله، والدهر إنما هو زمان للعمل الصالح والعمل السيء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد تبين معناه في الحديث بقوله: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَأَنَا الدَّهْرُ» أَنَّهُ يَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي يَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَبِيَدِهِ الْأَمْرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي قوله: «بِيَدِي الْأَمْرُ»؛ لِأَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ تَفْسِّرُ قَوْلَهُ: «وَأَنَا الدَّهْرُ».

ش: قوله: (وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»).

معنى هذه الرواية: هو ما صرح به في الحديث من قوله: «وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، يعني: أن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتديره، بعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره؛ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين، وحسن الظن به - سبحانه وبحمده -، والرجوع إليه بالتوبة؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين؛ كابن المعتز والمتنبي وغيرهما.

وليس منه وصف السنين بالشدة ونحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨] الآية.

وقال بعض الشعراء^(١):

إِنَّ اللَّيَالِي مِنَ الزَّمَانِ مَهُولَةٌ تَطْوَى وَتُنْشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَارُ

(١) هو عتاب بن ورقاء الشيباني، توفي في حدود الخمسين والمائتين. انظر: من غاب عنه المطرب للثعالبي (ص ٥٤)، وتاريخ الإسلام (٥ / ١١٨٠)، والوافي بالوفيات (١٩ / ٢٨٨).

وقول أبي تمام^(١):

أَعْوَامٌ وَضَلَّ كَادُ يُنْسِي طَيِّبَهَا	ذَكَرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ اعْقَبَتْ	نَحْوِي أَسَى فَكَأَنَّهَا أَعْوَامٌ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونُ وَأَهْلُهَا	فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامٌ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتديره، بعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن)، هذا واضح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين)، في الحالتين: الحالة الحسنة والحالة السيئة، فيحمد الله عَزَّجَلَّ، فيكثر من العمل الصالح، ويتوب من العمل السيء، وبذلك يكون الوقت مغنماً له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨])، ﴿وَبَلَوْنَهُمْ﴾، أي: اختبرناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾، فكل ما يجري في هذا الوقت من الليل والنهار إنما هي أفعال العباد من خير أو شر، وفي الدار الآخرة يلقون ثمرات عملهم في الدنيا؛ فأهل الخير يجدون الخير، وأهل الشر يجدون الشر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾)، ﴿وَبَلَوْنَهُمْ﴾، أي: اختبرناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ التي تجري؛ من سعة الرزق، وسعة المال، وما يحصل لهم في هذه الحياة من المسار.

(١) انظر: ديوان أبي تمام (ص ٢٨٢)، والصناعتين الكتابة والشعر (ص ٤٢٥)، ومعاهد التنصيص (١/ ٤٣).

وكذلك في المقابل يجدون الشر، ويجدون المحن، ويجدون العقوبات، وكل ذلك مرده إلى أفعالهم، فمن عمل خيراً، وجده، ومن عمل شراً، وجده، ولا يظلم ربك أحداً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾)، ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ﴾، أي: اختبرناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾، وهي ما يجري من الخير، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾، وهي ما يجري من الشر، هذا اختبار من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وامتحان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون إلى ربهم عَزَّجَلَّ، يصلحون عملهم، هذه هي الحكمة في ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥])، ﴿وَبَلَّوْكُمْ﴾، يعني: نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، فتنه، يعني: اختبار وامتحان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين، كابن المعتز والمتنبي وغيرهما)، على ألسنة الشعراء في الغالب أنهم يسيئون التعبير، وينسبون الحوادث إلى الزمان، ولا ينسبونها إلى الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويعرفون الحكمة منها، فهم لا يعرفون هذا الشيء، تجد هذا في أشعارهم -كابن المعتز والمتنبي وغيرهما.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

الثانية: تَسْمِيَّتُهُ أَذَى لِلَّهِ.

الثالثة: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

الرابعة: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ)، فلا يجوز أن يُسبَّ الدهر؛ لأن الدهر ليس له تصرف فيما يجري فيه، وإنما المتصرف هو الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الذي قدر الخير وقدر الشر، وهو الذي يحاسب بني آدم على أفعالهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانية: تَسْمِيَّتُهُ أَذَى لِلَّهِ)، الله جَلَّ وَعَلَا يتأذى، ولكنه لا يتضرر، يتأذى؛ «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ»، ولكنه لا يتضرر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يضره شيء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثة: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»)، ما معنى: هو الدهر؟ أنه يقلب الليل والنهار؛ كما بيَّنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابعة: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ)، قد يكون سَابًّا بلفظه ولو لم ينو ويقصده بقلبه.

فائدة: وصف اليوم بأنه يوم حار أو يوم سيئ، يقول: حصل لي حادث، هل يكون هذا من سب الدهر، إذا وصف اليوم بأنه حار أو بارد؟

الجواب: اليوم يكون حارًا، ويكون باردًا. ولا يكون سبًا، هذا وصف.

وإذا وصفه بأنه يوم سيئ عليه؛ لأنه حصل عليه حادث؟
نقول: لا، لا ينسب هذا للدهر، ينسبه إلى فعله هو.

فائدة: بعض الناس يلعن اليوم الذي تعرف فيه إلى فلان؟
الجواب: اليوم لا يُلعن، ولا يُسب، ولا يُذم، وإنما عليه أن يرجع إلى نفسه وتصرفاته، فيتوب إلى الله من السيئات، ويكثر من الحسنات.

فائدة: التشاؤم في بعض الأيام، بعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء، أو يتشاءم بالشهور كشهر صفر؟

الجواب: هذا من أفعال الجاهلية، لا ينسب للدهر شيء مما يجري فيه بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله هو المالك المتصرف.

فائدة: قول القائل: هذا يوم مشؤوم، هل يعد من سب الدهر؟
الجواب: ما هو السبب؟ أنه حصل له حادث، أو حصل له قضية.
الجواب: لا، ليس بمشؤوم، المشؤوم أفعال العبد.



٤٥ - بَابُ التَّسْمِي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

ش: قوله: (بَابُ التَّسْمِي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ).

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة؛ قياساً على ما في حديث الباب؛ لكونه شبهه في المعنى، فينهي عنه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (بَابُ التَّسْمِي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ)، «قَاضِي الْقُضَاةِ» لفظ فيه مبالغة، وكان المشايخ من علماء هذه الدعوة يستبدلونه بـ«رئيس القضاة» بدلاً من «قاضي القضاة»؛ لأن الذي يقضي على القضاة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهو من تجنب الألفاظ التي فيها مبالغة، وفيها زيادة تفخيم، فتستبدل بالفاظ مناسبة مثل رئيس القضاة ونحوه مما لا حرج فيه، وكان علماء هذه الدعوة يسمونه «رئيس القضاة» بدلاً من «قاضي القضاة».



فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنْ أَخْنَعَ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسْمَى: مَلِكُ الْأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ». قَالَ سُفْيَانٌ مِثْلُ «شَاهَانُ شَاه»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيِظُ رَجُلٌ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ»^(٢).
قَوْلُهُ (أَخْنَعَ): يَعْنِي أَوْضَعَ.

ش: قوله: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنْ أَخْنَعَ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ»؟) لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى؛ فهو ملك الأملاك، لا ملك أعظم ولا أكبر منه، مالك الملك ذو الجلال والإكرام. وكل ملك يؤتیه الله من يشاء من عباده، فهو عارية يسرع ردها إلى المعير، وهو الله تعالى، ينزع الملك من ملكه تارة، وينزع الملك منه تارة، فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه.

وأما رب العالمين، فملكه دائم كامل لا انتهاء له، بيده القسط يخفضه ويرفعه، ويحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما تكتبه الحفظة عليهم، فيجازى كل عامل بعمله؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ كما ورد في الحديث: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢٠) (٢١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢١) (٢١٤٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧٧/٦)، والبيهقي (٢٣٢/٦)، وبنحوه أحمد (٣٨/٣٧٨)، والحاكم في المستدرک (١/٦٨٦، ٣/٢٦) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (قَالَ سُفْيَانُ)، يعني: ابن عيينة.

«مِثْلُ شَاهِنشَاهٍ»: عند العجم عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مثل به سفيان؛ لأنه عبارة عنه بلغة العجم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ»); لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى فهو ملك الأملاك لا ملك أعظم ولا أكبر منه)، هذا فيه النهي عن هذا اللفظ المبالغ فيه؛ بأن يقال: «قاضي القضاة» ونحو ذلك؛ لأن هذا فيه رفع الإنسان إلى مرتبة لا يستحقها؛ مما فيه مبالغة وتفخيم وتعظيم. والمطلوب التواضع، وتجنب الألفاظ التي لا يستحقها الإنسان؛ كـ «قاضي القضاة»، «ملك الملوك»، ونحو ذلك، إنما هذه الأوصاف فوق مستوى الإنسان مهما بلغ من العلم والرئاسة ونحو ذلك، فإنما العالم الحقيقي كلما ارتفع، خفض نفسه، وتواضع لله عَزَّوَجَلَّ، ومن تواضع لله، رفعه الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ»); لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى فهو ملك الأملاك لا ملك أعظم ولا أكبر منه)، وهذا -أيضاً- مما يوضح أن هذا اللقب «قاضي القضاة»، ونحو «ملك الملوك» ونحوه أنه فيه تعظيم الإنسان ورفعة للإنسان لم يصل

إليها، ولن يصل إليها، والشرعة الإسلامية جاءت بالتواضع لله عَزَّجَلَّ، وترك ما يرفع الإنسان فوق منزلته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل ملك يؤتیه الله من يشاء من عباده فهو عارية يسرع ردها إلى المعير وهو الله - تعالى-)، ينزع الملك من مُلكه تارة وينزع المُلْك منه تارة، فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه)، وهذا -أيضًا- مما يبين أن تفخيم الألقاب والمناصب أنه غير لائق؛ لأن المناصب زائلة مهما كانت، والخلق عباد الله عَزَّجَلَّ، وهو ربهم ومليكمهم ومعبودهم، فيجب عليهم التواضع لله عَزَّجَلَّ؛ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، إذا قرأ الإنسان هذه الآية ونحوها من كتاب الله، عرف قدر نفسه؛ فلم يرفعها إلى منزلة لم ولن تصل إليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما رب العالمين، فملكه دائم كامل لا انتهاء له بيده القسط يخفضه ويرفعه)، الله جَلَّوَعَلَا بيده الملك، وبيده القسط يرفعه ويخفضه، فهو الذي يستحق العظمة، ويستحق العبادة، ويستحق التواضع له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإنسان مخلوق مهما كان، وسائر إلى الفناء والزوال في هذه الدنيا، والرفعة الحقيقية إنما هي في الآخرة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الجنة، وأما الدنيا، فإنها زائلة مهما كانت.

قال الشاعر^(١):

أَيْنَ الْمُلُوكُ ذُودُ التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ؟

(١) البيت للشاعر الأندلسي أبي البقاء الرندي. انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٤/ ٤٨٧)، وريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا (ص ٣٧١).

يعني: أنهم زالوا، وهم كانوا في مكان عند الناس مرتفعة، لكنهم زالوا، وزالت مراتبهم، والبقاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما تكتبه الحفظة عليهم، فيجازى كل عامل بعمله؛ إن خيراً فخير وإن شراً فشر)، هذا شأن كل إنسان في هذه الدنيا، إنما هو عمل في هذه الدنيا، عامل إما في خير، وإما في شر. وعلى كل حال ما في الدنيا من المناصب والمكانة المرتفعة فإنها إلى زوال، أين الذين من قبلنا؟ أين الملوك؟ وأين الرؤساء؟ وأين؟ وأين؟ لم يبق إلا ملك الله جَلَّ وَعَلَا، وعظمة الله.

فالإنسان يتواضع إلى ربه، ويعرف قدر نفسه، ولا تغره الألقاب والمناصب والوظائف مهما كانت؛ فإنها إلى زوال، ولا يبقى إلا ملك الملوك، ويبقى ملك الله جَلَّ وَعَلَا الذي لا زوال له ولا نفاذ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما تكتبه الحفظة عليهم، فيجازى كل عامل بعمله؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر)، فالإنسان موكل به ملائكة يكتبون عمله وما يصدر منه، ويسجل هذا في ديوان يعرض عليه يوم القيامة؛ ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿[الإسراء: ١٣-١٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما ورد في الحديث: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ،

وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ»، هذا الدعاء يبين حاجة الإنسان إلى ربه، وأنه مهما نال من المناصب في هذه الدنيا، فإنه زائل، ويبقى العمل من خير أو شر، فكلُّ يلقي ما قدمه لنفسه؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما ورد في الحديث: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ»، هذا فيه التسليم لله عَزَّجَلَّ، وأن الأمور كلها ترجع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يبقى إلا العمل الذي يخرج به الإنسان من هذه الدنيا؛ إما عمل صالح، وإما غير ذلك، هذا الذي يبقى، وأما المناصب والتفخيمات والتعظييات، فإنها تزول، وشرع الله لنا أن نقول: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ»^(١)، أي: جميع التعظييات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ»، فهي: جميع التعظييات، التحيات معناها: التعظييات، «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ»، نقر بذلك في صلاتنا، نعترف به، فتتواضع لله عَزَّجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ)، هذا دعاء جامع، «أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ»؛ لأن الخير بيد الله، هو الذي يهب الخير لمن يشاء، فالأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فندعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا مما عنده، نحن ضعفاء فقراء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قيل لبعض الملوك لما جيء له بشربة ماء، وكان عنده أحد العلماء، فقال له: يا فلان -يعني: الملك أو الرئيس-، أرايت لو احتجت إلى شربة، بكم

(١) أخرجه البخاري (٨٣١، ٨٣٥، ١٢٠٢، ٦٢٣٠، ٦٢٦٥، ٧٣٨١)، ومسلم (٤٠٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تشتريها؟ قال: بنصف ملكي. قال: لو انحبست فيك، كم تدفع لإزالتها؟ قال: بالنصف الثاني من ملكي. فقال له: بئس الملك الذي يذهب بين شربة وبولة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: «قَالَ سُفْيَانُ»، يعني: ابن عيينة)، سفیان بن عیینة: من أكابر العلماء، وسفیان الثوري، السفیانان، إذا قيل: السفیانان، فالمراد بهما: سفیان بن عیینة رَحِمَهُ اللهُ عالم الحجاز، وسفیان الثوري رَحِمَهُ اللهُ عالم العراق.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: («مِثْلُ شَاهَنْشَاهٍ»: عند العجم عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مثل به سفیان؛ لأنه عبارة عنه بلغة العجم)، (شَاهَنْشَاهٍ) يعني: ملك الأملاك. وهذا اسم لا يصلح للإنسان، فالإنسان مهما بلغ من الملك، فإنه محتاج إلى ربه، محتاج إلى خالقه، فهو ضعيف مهما كان في المنصب؛ فلا ينظر إلى التفخيمات والتعظيمات، ولا يرفعه فوق منزلته، بل يتواضع لله عَزَّوَجَلَّ.



ش: قوله: «أَغِيْظُ» من الغيظ، وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً عليه - والله أعلم.

قوله: «وَأَخْبِئُهُ»، وهو يدل - أيضاً - على أن هذا خبيث عند الله، فاجتمعت في حقه هذه الأمور؛ لتعاضمه في نفسه، وتعظيم الناس له بهذه الكلمة، التي هي من أعظم التعظيم، فتعظمه في نفسه، وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل وضعه عند الله يوم القيامة، فصار أخبث الخلق، وأبغضهم إلى الله وأحقهم؛ لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم، لتعاضمه في نفسه على خلق الله بنعم الله.

قوله: «أَخْنَعُ»، يعني: أوضع، هذا هو معنى «أَخْنَعُ»، فيفيد ما ذكرنا في معنى «أَغِيْظُ»؛ أنه يكون حقيراً بغيضاً عند الله.
وفيه التحذير من كل ما فيه تعاضم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: «أَغِيْظُ» من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً عليه - والله أعلم)؛ لأنه ينازع الله جَلَّ وَعَلَا في عظمته وفي ملكه، وهو مخلوق ضعيف، وإلى زوال وفناء، مهما بلغ في المنزلة عند الناس، فإنه زائل على كل حال، فيعرف قدر نفسه، ويتواضع لربه عَزَّجَلَّ، ولا تغره الألقاب، ولا يغره المادحون، ولا يغتر بمدح المادحين، أو كثرة الألقاب. ولما مدح رجل رجلاً عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال له النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَحْكُ، قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ»^(١)، تواضع لله عزَّ وجلَّ، تواضع للناس، ومعرفة الإنسان بقدره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فتعظمه في نفسه، وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل، وضعه عند الله يوم القيامة، فصار أخبث الخلق، وأبغضهم إلى الله وأحقرهم؛ لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم، لتعاضده في نفسه على خلق الله بنعم الله)، فهذا الحق الذي يجب الاعتراف به، وأن الإنسان مخلوق مهمل كان، وأنه ضعيف وفقير إلى الله مهمل كان، فلا يغتر بمنصبه، أو بمدح الناس له، بل يجب عليه أن يعرف قدر نفسه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «أَخْنَع»، يعني: أوضع هذا هو معنى «أَخْنَع»، فيفيد ما ذكرنا في معنى «أَغْيَظُ»؛ أنه يكون حقيراً بغيضاً عند الله)، وإن رفعه الناس ومدحوه، فالعبرة بما عند الله، والله جَلَّ وَعَلَا لا تنفع عنده الألقاب والمدائح، إنما يجب أن يتواضع لربه، ويتواضع -أيضاً- للناس، ويعرف قدر نفسه مهمل عظمه الناس، وربما أن كثيراً من الناس يمدحونه في الظاهر، وهم في الباطن يبغضونه، فلا يغتر بذلك.



(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٢، ٦٠٦١، ٦١٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[ش:] كما أخرج أبو داود عن أبي مجلز، قال: «خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ: اجْلِسْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتِمَثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وأخرجه الترمذي -أيضاً-، وقال: حسن^(١).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَا فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظَّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا». رواه أبو داود^(٢).

قوله: «أَغْيَظُ رَجُلٍ»، هذا من الصفات التي تمر كما جاءت، وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته -تعالى-، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل -كما تقدم-، والباب كله واحد.

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم من الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة. وهذا التفرق والاختلاف إنما حدث في أواخر القرن الثالث، وما بعده؛ كما لا يخفى على من له معرفة بما

(١) أخرجه أحمد (٢٨/٣٩، ٥٩، ١٢١)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦/٥١٥، ٥٣٨)، وأبو داود (٥٢٣٠)، وابن ماجه (٣٨٣٦)، وابن أبي شيبة (٥/٢٣٣)، وأصله في البخاري (٦٨٨)، ومسلم (٤١٣).

وقع في الأمة من التفرق والاختلاف، والخروج عن الصراط المستقيم - والله المستعان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن أبي مجلز قال: «خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ: اجْلِسْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتِمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»)، هذا وعيد شديد، وأن الإنسان يتواضع لله عَزَّجَلَّ، وإذا جاء إلى مجلس، فإنه يجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يقيم أحداً ليجلس مكانه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَا فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعْظَمُ بَعْضُهَا بَعْضًا»)، هذا فيه أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاء إلى المجلس وقاموا، نهاهم عن ذلك، وقال: هذا فعل الأعاجم فلا تفعلوه.

والإنسان إذا جاء إلى مجلس، فإنه يجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يقيم أحداً ليجلس مكانه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته - تعالى -، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل)، هذه القاعدة: أن ننزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْزِيهِاً بلا تعطيل، ونثبت إثباتاً بلا تمثيل، فهذا هو الصراط المستقيم والطريق القويم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل كما تقدم، والباب كله واحد)، هكذا إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، يعني: لا يبالغ في التنزيه حتى ينفي الشيء، ولا يبالغ في إثباته حتى يخرج عن المألوف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا التفرق والاختلاف، إنما حدث في أواخر القرن الثالث، وما بعده؛ كما لا يخفى على من له معرفة بما وقع في الأمة من التفرق والاختلاف، والخروج عن الصراط المستقيم)، التفرق والاختلاف هذا يقع، ولكن يجب التمسك بالكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنِ التَّسْمِي بِمَلِكِ الْأَمْلاكِ.

الثانية: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سَفِيَانُ مِثْلُ شَاهَانِ شَاهٍ.

الثالثة: التَّفْطُنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ

يَقْصِدَ مَعْنَاهُ.

الرابعة: التَّفْطُنُ أَنَّ هَذَا لِإِجْلَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: النَّهْيُ عَنِ التَّسْمِي بِمَلِكِ الْأَمْلاكِ)؛ لَأَنَّ هَذَا

لَا يَصْدُقُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، هُوَ مَلِكُ الْأَمْلاكِ، وَهُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانية: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سَفِيَانُ مِثْلُ شَاهَانِ

شَاهٍ)، أَنَّ مَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْأَلْقَابِ عِنْدَ الْأَعَاجِمِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ مِثْلُهُ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِ؛ فَيَتَجَنَّبُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثة: التَّفْطُنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ

الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ)، التَّفْطُنُ لِهَذَا الَّذِي فِيهِ مَخَالَفَةٌ فِي الْمَدْحِ أَوْ مَخَالَفَةٌ فِي الذَّمِّ، وَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ، بَلْ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ، وَإِذَا قَصِدَ مَعْنَاهُ، فَالْأَمْرُ أَخْطَرُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابعة: التَّفْطُنُ أَنَّ هَذَا لِإِجْلَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ)، كُلُّ

الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ، وَأَمَّا الْمَخْلُوقُ، فَإِنَّهُ ضَعِيفٌ وَمَحْتَاجٌ وَفَقِيرٌ مِمَّا كَانَ.

فائدة: بالنسبة للفرقة الناجية من الثلاث وسبعين فرقة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، كلها في النار، هل يدل هذا على التخليد في النار أم أنها تختلف؟
الجواب: هذا من باب الوعيد الذي يُمر كما جاء.

لكن كل هذه الفرق يقال: إن الفرقة الناجية واحدة منها فقط؟
الجواب: بلا شك، ليست كلها، كل الفرق هذه، من هي الفرق الناجية؟
 قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(١).



(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن جاء من طرق متعددة عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة، فقد روي من حديث أبي هريرة، وأنس، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمر بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم أجمعين. أخرجه أحمد في المسند (١٤ / ١٢٤)، (١٩ / ٢٤١، ٤٦٢)، (٢٨ / ١٣٤)، وأبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٠ / ٣١٧، ٣٨١، ٥٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٣٣)، والحاكم في المستدرک (١ / ٤٧، ٢١٧)، والطبراني في الكبير (١٨ / ٥١، ٥٠)، (١٨ / ٧٠)، وفي الأوسط (٥ / ١٣٧)، (٨ / ٢٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠ / ٣٥١).
 وانظر تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤).

٤٦ - بَابُ: اخْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الْأَسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

ش: قوله: (بَابُ اخْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الْأَسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ: اخْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الْأَسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ)، احترام أسماء الله؛ ألا يسمى بها غيره، أو تطلق على غيره؛ لأن أسماء الله جَلَّوَعَلَا من عظمته وجلاله، وكل اسم له معنى فضيل، فأسماء الله تحترم وتعظم، هذا من حق الله على عباده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتَغْيِيرِ الْأَسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ)، وتغيير الاسم: لو سُمِّيَ أَحَدٌ باسم من أسماء الله فإنه لا يقر، بل يغير الاسم بما يليق بالإنسان.



عَنْ أَبِي شَرِيحٍ؛ أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي؛ فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: (مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنْ الْوَلَدِ؟)، قُلْتُ: شَرِيحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: (فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟) قُلْتُ: شَرِيحٌ، قَالَ: (فَأَنْتَ أَبُو شَرِيحٍ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ^(١).

ش: قوله: (عَنْ أَبِي شَرِيحٍ).

قال في خلاصة التهذيب: هو أبو شريح الخزاعي اسمه خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثاً، اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث. وروى عنه أبو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة. قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين^(٢). وقال الشارح: اسمه هاني بن يزيد الكندي. قاله الحافظ، وقيل: الحارث الضبابي. قاله المزي^(٣).

قوله: «يُكْنَى». الكنية ما صدر بأب، أو أم، ونحو ذلك، واللقب ما ليس كذلك، كزبن العابدين ونحوه.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي في الكبرى (٤٦٦/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٨٢)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٧/٢)، والطبراني في الكبير (٤٦٥)، والحاكم في المستدرک (٧٥/١)، والبيهقي في الكبرى (١٤٥/١٠).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٢٩٥/٤)، وتهذيب التهذيب (١٣٨/١٢).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (٤٠٠/٣٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: (فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟) قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: (فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ))، هذا من تغيير الاسم إذا كان من أسماء الله، أو هذا الاسم فيه محذور، فإنه يُعَيَّرُ، فإن هذا الرجل كان يسمى أبا الحكم، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سمع ذلك، قال: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ)، هذا من أسماء الله: الْحَكَمُ.

(وَأَلَيْهِ الْحُكْمُ)، يعني: الخصومات والاختلافات ترد على الله جَلَّ وَعَلَا فيحكم فيها.

فَقَالَ: (فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟)، قال: لِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ، قال: (فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟)، قال: شُرَيْحٌ، قَالَ: (فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ)، هذا تغيير الاسم غيَّره من أبي الحكم إلى أبي شريح؛ ابتعاداً عن امتهان أسماء الله، وتسمية غيره بها.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «يُكْنَى»). الكنية ما صدر بأب، أو أم، ونحو ذلك، واللقب ما ليس كذلك، كزَيْنُ الْعَابِدِينَ ونحوه، يعني: ان هناك فرقاً بين اللقب والاسم.



ش: وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فهو سبحانه الْحَكَمُ في الدنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا والله فيها حكم بما أنزل على نبيه من الكتاب والحكمة.

وقد يسر الله معرفة أكثر ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة، فإنها لا تجتمع على ضلالة، فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام، فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحداً.

فمن رزقه الله تعالى قوة الفهم، وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء، يسر الله له ذلك بفضله ومثله عليه وإحسانه إليه، فما أجراها من عطية، فنسأل الله من فضله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فهو سبحانه الْحَكَمُ في الدنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا والله فيها حكم بما أنزل على نبيه من الكتاب والحكمة)، الله جَلَّ وَعَلَا ذكر أسمائه في كتابه، وفي سنة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا يجوز أن تطلق على المخلوق، أسماء الله لا يجوز أن يسمى بها المخلوق كما في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وقد يسر الله معرفة أكثر ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة، فإنها لا تجتمع على ضلالة، فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام، فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحدًا)، هذه الأمة وإن اختلفت في بعض الأحكام فإنه ليسوا كلهم مخطئين، بل لابد أن يكون فيهم من هو مصيب؛ عصمة لأسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصِفَاتِهِ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فمن رزقه الله تعالى قوة الفهم، وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء، يسر الله له ذلك بفضلِهِ ومَنِّهِ عَلَيْهِ وإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، فما أجَلُّها من عطية)، فالعلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام لابد أن يكون فيهم مصيب؛ لثلاث تفضل الأمة، لابد أن يكون فيهم مصيب للحق؛ لثلاث تفضل الأمة.



ش: قوله: «وَالَيْهِ الْحُكْمُ» في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، [النساء: ٥٩]، فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه، والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: «بِمَ تَحْكُم؟» قَالَ: بكتاب الله، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: فَيُسْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ اللَّهِ، رَسُولَ اللَّهِ إِلَى مَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ»^(١).

فمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجل علماء الصحابة بالأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام، ومعرفة أحكام الكتاب والسنة، ولهذا ساء له الاجتهاد إذا لم يجد للقضية حكماً في كتاب الله، ولا في سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بخلاف ما يقع اليوم وقبلة من أهل التفريط في الأحكام، ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله، فيظن أن الاجتهاد يسوغ له مع الجهل بأحكام الكتاب والسنة وهيئات.

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، والدارمي (١٧٠)، وأحمد (٣٣٣/٦٣)،
 ٣٨٢، (٤١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٥/١٠)، والصغرى (١٣٠/٤)،
 والطبراني في الكبير (١٧٠/٢٠)، وابن أبي شيبه (٥٤٣/٤)، (١٣/٦).

وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلا الله عَزَّوَجَلَّ إذا نزل لفصل القضاء بين العباد، فيحكم بين خلقه بعلمه، وهو - سبحانه - الذي لا يخفى عليه خافية من أعمال خلقه.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكْ حَسَنَةٌ يَضْعَفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

والحكم يوم القيامة، إنما هو بالحسنات والسيئات، فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فطرح على سيئات الظالم^(١)، لا يزيد على هذا مثقال ذرة، ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَالَيْهِ الْحُكْمُ» في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠])، ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، أي شيء، ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

الله جَلَّوَعَلَا يعلم الصواب مع من من المختلفين فيوفقه له؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾)، ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ﴾، أي: اختلفتم، ﴿فِي شَيْءٍ﴾، أي شيء من الأحكام الشرعية فإن المرد لمعرفة الصواب المختلف فيه إلى الله جَلَّوَعَلَا.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلى كتابه: وهو القرآن العظيم أو إلى سنة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن السنة وحي من الله، فالسنة هي الوحي الثامن والقرآن هو الوحي الأول.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾، هذا شأن المؤمنين: أنهم إذا اختلفوا في شيء فإنهم يردون الصواب،
معرفة الصواب فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿ذَلِكَ
خَيْرٌ﴾: لكم في الدنيا والآخرة، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، [النساء: ٥٩]، أي: مآلاً
وعاقبة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه)، الحكم إلى الله، يعني:
يعرف كمن كتاب الله عزَّ وجلَّ، فإن لم يوجد في كتاب الله فهو في سنة الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها وحي من الله، والسنة تسمى بالوحي الثاني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته، وإلى سنته
بعد وفاته)، الحكم إلى الرسول هو الحكم إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرجوع إليه في
حياته، وبعد وفاته يرجع إلى سنته في الأحاديث الثابتة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ،
قَالَ لَهُ: بِمَ تَحْكُم؟ قَالَ: بكتاب الله، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي)، هذا منهج عظيم كان
عليه معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن قاضياً ومعلماً
ومزكياً، ويقبض منهم صدقاتهم ويرسلها إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ سُؤَالَ اخْتِبَارٍ وَتَثْبِتٍ، قَالَ لَهُ: بِمَ تَحْكُمُ؟ قَالَ: أَحْكُمُ بَكِتَابِ اللَّهِ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي السُّنَّةِ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، يَعْنِي: لَا أَتَسَاهَلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، بَلْ أَجْتَهِدُ رَأْيِي حَتَّى أَصِيبَ، أَوْ حَتَّى أَقْتَنَعَ بِالْحُكْمِ الَّذِي حَكَمْتَ بِهِ؛ اسْتِنَادًا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ)، هَذَا ثَنَاءٌ عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَى سِيرَتِهِ بِالْإِحْكَامِ بَيْنَ النَّاسِ الْمُتَنَازِعِينَ، وَهُوَ أَنَّهُ يَحْكُمُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، «إِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ: بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي»، يَعْنِي: لَا آلُو فِي الْاجْتِهَادِ، بَلْ أَجْتَهِدُ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَطَلَبِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْغَالِبُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يُوَفِّقُ لِلْحُكْمِ الصَّحِيحِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمُعَاذُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ بِالْأَحْكَامِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ، وَمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَنْهُمْ تَخَصَّصَ فِي نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُخَصَّصٌ فِي مَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَلَالِ كَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُتَخَصَّصٌ فِي عِلْمِ الْمَوَارِيثِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُتَخَصَّصٌ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْأُمَّةُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بِخِلَافِ مَا يَقَعُ الْيَوْمَ وَقَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ التَّفْرِيطِ فِي الْأَحْكَامِ، مَنْ يَجْهَلُ حُكْمَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ، فَيُظَنُّ أَنَّ الْاجْتِهَادَ يَسُوغُ لَهُ مَعَ الْجَهْلِ بِأَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهِيَاهُ)، الْاجْتِهَادُ لَا يَحْصُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا

هو للمتخصصين والفقهاء المتميزين، وأما من لم يعط شيئاً من ذلك فإنه يقلد أهل العلم، فالتقليد إنما يكون بعد تعذر معرفة الحق من الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلا الله عَزَّجَلَّ إذا نزل لفصل القضاء بين العباد)، الله جَلَّوَعَلَا ينزل يوم القيامة نزولاً يليق بجلاله سبحانه، ينزل إلى الأرض فيحكم بين عباده فيها ﴿أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآذِنِهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فهذا نزول من الله جَلَّوَعَلَا إلى الأرض؛ من أجل أن يحكم بين عباده فيها اختلفوا فيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيحكم بين خلقه بعلمه، وهو - سبحانه - الذي لا يخفى عليه خافية من أعمال خلقه)، لا يخفى عليه خافية جَلَّوَعَلَا من أعمال خلقه خيرا وشرها، ويعلم ما تعملون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: مثقل ذرة، وهي الهباءة التي تطير في الهواء.

فلا يظلم الله أحداً فهو منزّه عن الظلم؛ كما في الحديث: أن الله جَلَّوَعَلَا يقول: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا»^(١).

قوله: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، فالله لا يظلم العباد، وإن كان لهم حسنة، ولو كانت يسيرة فإن الله بمنّه وكرمه يضاعفها، بمعنى أنه يبارك فيها، وينزل فيها الحق والصواب.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والحكم يوم القيامة، إنما هو بالحسنات والسيئات)، هذا واضح، وهذا في الحديث الصحيح، الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنِّي قَدْ حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ فَلَا تَظَالُمُوا»، فالله جَلَّ وَعَلَا لا يظلم مثقال ذرة، وهي الهباءة التي تطير في الهواء، ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً﴾، يعني: توجد حسنة فإن الله ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] للعبد أضعافاً كثيرة، إلى أن تصل إلى سبعمائة ضعف.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فطرح على سيئات الظالم)، يؤخذ من الظالم يوم القيامة للمظلوم، يوم القيامة ليس هناك أموالاً يؤخذ منها، وإنما يؤخذ من أعمال العبد للمظلوم؛ إن كان له حسنات فيؤخذ من حسناته، وتعطى للمظلوم، وإن لم يكن له حسنات - والعياذ بالله - أخذ من سيئات المظلومين وطُرحت عليه، وطُرِحَ في النار.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (لا يزيد على هذا مثقال ذرة، ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة)، لأن الله لا يظلم أحداً، ولو مثقال ذرة، لا يظلم أحداً ولو كان قليلاً.



ش: قوله: «فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا».

فالمعنى - والله أعلم - أن أبا شريح لما عرف منه قومه أنه صاحب إنصاف وتحر للعدل بينهم، ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين، صار عندهم مرضياً.

وهذا هو الصلح؛ لأن مداره على الرضى لا على الإلزام، ولا على أحكام الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولا على الاستناد إلى أوضاع أهل الجاهلية من أحكام كبرائهم وأسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة، كما قد يقع اليوم كثيراً، كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حكم الله، ولا إلى حكم رسوله، وإنما المعتمد عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم.

وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لم يسغ تقليده، فيعتمد على قول من قلده، ويترك ما هو الصواب الموافق لأصول الكتاب والسنة. والله المستعان.

وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ».

فيه تقديم الأكبر في الكنية وغيرها غالباً. وجاء هذا المعنى في غير ما حديث والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالمعنى - والله أعلم - أن أبا شريح لما عرف منه قومه أنه صاحب إنصاف وتحر للعدل بينهم، ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين، صار عندهم مرضياً، وهذا هو الصلح)، هذا هو الصلح.

فَالصَّلَاحُ مَطْلُوبٌ، ﴿وَلِإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

المقسطين، وأما القاسطون فإن لهم النار - والعياذ بالله - إنها المقسطين، أي: العادلين في حكمهم واجتهادهم، وتخليص الخصومات بالاجتهاد العادل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا هو الصلح؛ لأن مداره على الرضى لا على الإلزام، ولا على أحكام الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى)، الحكم بالاجتهاد إنما هو لأهل العلم لا للمتخرصين، ولا لأهل الجور والظلم، وإنما هو لأهل العلم الذين عندهم ملكة الاجتهاد بالكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حكم الله، ولا إلى حكم رسوله، وإنما المعتمد عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم)، الطواغيت: جامع طاغوت من الطغيان، وهو مجاوزة الحد^(١)، فالذين يحكمون بغير ما أنزل الله هؤلاء طواغيت، هؤلاء طواغيت، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، كلهم طواغيت.

الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس - لعنه الله - ومن عُبِدَ وهو راضي، ومن حكم بغير ما أنزل الله^(٢).

(١) انظر: العين (٤/ ٤٣٥)، والصحاح (٦/ ٢٤١٢)، ولسان العرب (١٥/ ٧).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لم يسغ تقليده، فيعتمد على قول من قلده، ويترك ما هو الصواب الموافق لأصول الكتاب والسنة)، المقلدة على قسمين:

* قسمين لأهل العلم وأهل الحق: فهذا مأمور به.

* وأما التقليد الأعمى، وهو قبول ما عليه الناس أو بعضهم من غير مراجعة للكتاب والسنة فهذا هو الطاغوت - والعياذ بالله - ﴿أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ». فيه تقديم الأكبر في الكنية وغيرها غالباً)، في أن الرجل يكنى بأكبر أولاده، فهذا أبو شريح سأله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لك من الولد؟ فأخبره ليّ فلان وفلان وفلان.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ».

ففيه الكنية تكون بأكبر الأولاد.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: اخْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ - وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ - .

الثانية: تَغْيِيرُ الْإِسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ.

الثالثة: اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (الأولى: اخْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ - وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ)،

احترام أسماء الله وصفاته، وإن لم يقصد معناه، يعني: إذا سمى أحداً باسم الله فلا يجوز هذا وغن لم يقصد معناه.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (الثانية: تَغْيِيرُ الْإِسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ)، تغيير الاسم من أجل

ذلك؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيَّرَ اسْمَ هَذَا الرَّجُلِ، فقال لك أنت أبو شريح، بدل أبا الحكم.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (الثالثة: اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ)، كما ذكرنا.



٤٧- بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

ش: قوله: (بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ)،
أي: فقد كفر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ)
يعني: ما حكمه؟

ومعنى (هزل)، أي: سخر بشيء من هذه الأشياء.
(هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ)، ذكر الله، أي: اسم الله جَلَّ وَعَلَا،
أو القرآن الكريم، (أَوْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فما حكمه؟ سيأتي حكمه في
الآيات والأحاديث التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥])،
هذه الواقعة حصلت في غزوة تبوك؛ لأن تبوك بعيدة عن المدينة، وكان
الوقت حاراً في شدة الصيف؛ ابتلاء وامتحان من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده، من
يصبر على طاعة الله، ومن لا يصبر، فالمؤمن يصبر مهما أصابه؛ ابتغاء فضل
الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وطاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، وإن كان في ذلك عليه مشقة.

كانوا في هذه الغزوة فيها المنافقون الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر -والعياذ بالله-، وإنما خرجوا في هذه الغزوة؛ طلباً للغنيمة، لم يخرجوا احتساباً لوجه الله عَزَّوَجَلَّ وطلباً للأجر، بل خرجوا يطلبون الغنيمة. وكان من حديثهم فيما بينهم أنهم قالوا، أو قال قائل منهم والبقية يسمعون: (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ)، يعنون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَأَطْمَعَ فِي الدُّنْيَا)، يعنون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه. وكان في مجلسهم غلام صغير، فأنكر عليهم، وقال لقائلهم: (كَذَبْتَ، لَا تُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فذهب الغلام إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخبره بما سمع من هؤلاء المنافقين؛ لأنه تغيظ عند ذلك، فذهب ليخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قالوا، فوجد الوحي قد سبقه، ونزل على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأنهم هذه الآية: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۚ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] (١).

وهذا الذي نفى الله عنه العذاب هو هذا الغلام الذي أنكر عليهم، وبلغ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمقاتلتهم الشنيعة التي وصفوا بها أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصفات هي فيهم هم، وأصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأء منها رضي الله عنهم وأرضاهم.

(١) يأتي تخریجه قريباً - إن شاء الله.

الحاصل: أن هذا شأن من سخر من الصحابة، أو سخر بالقرآن، أو أعظم من ذلك سخر بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا شأن المنافقين - نسأل الله العافية والسلامة.

ولكن على المسلم أن يحفظ لسانه - حتى ولو كان مازحاً - من الكلام المحرم، يصون اللسان عن الكلام المحرم، ولو كان مزحاً؛ ﴿كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾: فهم إنما قالوها بزعمهم أنهم كما قالوا: كنا نتحدث حديث الركب نقطع به عنا المسافة. ولكن الله لم يعذرهم في ذلك، بل أنكر عليهم بقرآن يتلى إلى يوم القيامة؛ تحذيراً للمؤمنين أن يحصل منهم شيء من ذلك.



وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ - : «أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبُ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أُنْسًا، وَلَا أَجَبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ - يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَاءَ - فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَا تُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَتَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرُّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةٍ^(١) نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكَبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَنَعْبُدُ﴾ [التوبة: ٦٥]. فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَبَا اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ، يَعْنِي: كُلُّهُمْ رَوَوْا هَذِهِ الْقِصَّةَ، هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ رَوَوْا هَذِهِ الْقِصَّةَ وَمَا دَارَ فِيهَا.

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٤٧): (النَّسْعَةُ بالكسر: سَيْرٌ مَضْفُورٌ يُجْعَلُ زِمَامًا لِلْبَعِيرِ وغيره، وقد تُنْسَجُ عَرِيضَةٌ تُجْعَلُ عَلَى صَدْرِ الْبَعِيرِ، والجمع: نُسُجٌ وَنَسَجٌ وَأُنْسَاعٌ). وانظر لسان العرب (٨/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩ - ١٨٣٠).

ومعنى: (دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ)، أي: تشابهت أقوالهم بالصدق والأمانة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجَبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَاءَ-)، وهذه الصفات هي أليق بالمنافقين، خلعوها على صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم منها بُرَاءُ، برأهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ تَهْمَةِ الْمُنَافِقِينَ، وأثنى على أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبرر قولهم. وهذا نتيجة الصدق مع الله والصدق مع الرسول، والصدق مع الناس.

الإنسان يحفظ لسانه أن يقول كلامًا يؤاخذ عليه، ويعذب به، يصون لسانه عن ذلك، والمؤمن يصون لسانه، ويأبى الله أن يقول المؤمن هذه المقالة، وإنما يقولها منافق يظهر الإيمان، ويبطن الكفر -والعياذ بالله-، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا يفضح من هذه صفاتهم؛ كما فضحهم في هذه الآية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ»، هذا الرجل المنافق الذي يحاول أن يبرئ نفسه وأصحابه من هذه المقالة التي قالوها، والله جَلَّ وَعَلَا لا يخفى عليه شيء، ولو برأها عند الناس، فلن يبرئ نفسه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥])، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايِنَهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦])،

هذا الرجل المنافق رأس المنافقين جاء يعتذر عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه المقالة، وأنه ما قالها، وما قالها أصحابه المنافقون. الله جَلَّ وَعَلَا فضحهم، ونسب هذه المقالة إليهم: ﴿أَيُّ اللَّهِ وَءَايِنُهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، فأثبت لهم هذه السخرية بالله وبرسوله وبالمسلمين، ولكنها لم تذهب عنهم، فهي لصيقة بهم -والعياذ بالله-، وهي صفتهم، وهذه وصفهم في كل وقت وفي كل زمان، كل زمن فيه منافقون، ورثة لهؤلاء. فليحذر المسلمون من هؤلاء المنافقين كما حذر الله منهم في كتابه الكريم، القضية لم تنته، وإنما هي مستمرة ما بقي المنافقون على وجه الأرض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَيُّ اللَّهِ وَءَايِنُهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٦٥) لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥، ٦٦] مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ)، وهذا فيه أن المسلم لا يلتفت إلى المنافق، لا يلتفت بوجهه إلى المنافق، ولا يعذره، بل إنه يتلو القرآن الذي نزل فيهم؛ ليحذر الناس منهم ومن شرهم.

والنفاق لم ينته، بل هو باق ما بقي الإيمان، ولا يزال الإيمان موجوداً إلى أن تقوم الساعة.



[ش:] وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدَنِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، وَغَيْرِهِ، قَالُوا: «قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: مَا أَرَى قُرْآنًا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَرْغَبْنَا بَطُونًا، وَأَكْذَبْنَا أَلْسِنَةً، وَأَجَبْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ. فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ٦٥ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفْ عَن طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وَإِنَّ رَجُلَيْهِ لَيَسْفَعَانِ الْحِجَارَةَ، وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ)، الشارح: هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ شارح كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ»، أي: فقد كفر)، (بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ

أَوِ الرَّسُولِ)، يعني: ما حكمه؟ أنه قد كفر؛ ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، حكم الله على قائل هذه المقالة أنه كفر بعد إيمانه، فدل على أنه كان مؤمناً، ثم كفر لما قال هذه المقالة. فلا يتساهل الإنسان في الكلام؛ ويظن أنه يذهب سدى، بل هو يسجل عليه، الحفظة كرام برة يكتبون ما يقوله العباد من خير أو شر، يسجلونه عليه؛ ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، يعني: من الملائكة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره)، العماد: الحافظ ابن كثير المفسر رَحِمَهُ اللَّهُ، واسمه: إسماعيل بن كثير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ)، القرظي: نسبة إلى بني قريظة، وبني قريظة جماعة من اليهود، ولكن هذا برأه الله منهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: مَا أَرَى قُرَاءَنَا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَرْغَبْنَا بَطُونًا، وَأَكْذَبْنَا أَلْسِنَةً، وَأَجَبْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ. فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وفي هذا إنكار المنكر، كون هذا الصحابي رفعه إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إنكار المنكر، وليس من النميمة، وإنما هو من إنكار المنكر الذي سمعه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ)؛ لأنه كان في سفر، في غزوة تبوك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾، وهو هذا الغلام الذي بلغ عنهم؛ لأنه أنكر المنكر. فدل هذا على أن الطائفة قد تطلق على الواحد، الواحد يسمى طائفة؛ كما تطلق على الأكثر من واحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنَّ رَجُلَيْهِ لَيَسْفَعَانِ الْحِجَارَةَ)، الحجارة التي تثيرها أقدام الإبل كانت تضرب رجلي هذا المنافق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وفي هذا عدم التبسط مع المنافقين، وعدم الإقبال عليهم إذا حدثوا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِنَسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والنسعة: هي الخيط الذي يكون من الرحل، فهذا المنافق تعلق بهذا الخيط المتدلي من رحل ناقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حرصاً على أن يسمع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلامه، ولكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يلتفت إليه، ولم يزدده على أن تلا عليه القرآن الكريم الذي نزل فيه.



[ش:] وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ، أَرْغَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجَبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ: كَذِبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ. لِأَخْبَرَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: وَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْكِبُهِ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ وَءَايِنِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥، ٦٦].

وَقَدْ رَوَاهُ اللَّيْثُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، بِنَحْوِ مِنْ هَذَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ: كَذِبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ. لِأَخْبَرَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، في هذا إنكار المنكر على من سمعه، وأنه لا يجوز السكوت عن مثل هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ)؛ تصديقًا لهذا الغلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ)، هو اعترف بأنه يخوض ويلعب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿أَبَا اللَّهِ وَأَيُّنِي﴾ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥، ٦٦]﴾، بهذه المقالة، فدل على أن الكلام الكفري يكون كفراً، وإن كان قائله يزعم أنه لم يقصد معناه.



[ش:] وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، أَخُو بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعِ حَلِيفُ لِبَنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ: مُحْشِي بْنُ مُحْشِي بْنِ مُهَيَّرٍ يُشِيرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى تَبُوكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَحْسَبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ وَاللَّهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ. إِرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ مُحْشِي بْنُ مُهَيَّرٍ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاصِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهَا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَإِنَّا نَنْفَلْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا بَلَغَنِي - لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرِكَ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ اخْتَرَقُوا، فَسَلُّهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا، فَقُلْ: بَلَى، قُلْتُمْ كَذًا وَكَذًا.

فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عِمَارٌ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ: وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَّ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقْبِهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضُ وَنَلْعَبُ.

فَقَالَ مُحْشِي بْنُ مُهَيَّرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي. فَكَانَ الَّذِي عُنِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ [النوبة: ٦٦] مُحْشِي بْنُ مُهَيَّرٍ، فَسَمِّيَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَفَا عَنْهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْمَعُ آيَةً وَأَنَا أُعْنِي بِهَا، تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الْجُلُودُ، وَتَحِيبُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، اللَّهُمَّ، فَاجْعَلْ وَفَاتِي قِتْلًا فِي سَبِيلِكَ، لَا يَقُولُ أَحَدٌ: أَنَا غُسِّلْتُ، أَنَا كُفِّنْتُ، أَنَا دُفِنْتُ، قَالَ: فَأَصِيبَ يَوْمَ الْيَاسَمَةِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَقَدْ وَجِدَ غَيْرُهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعِ حَلِيفُ لِبَنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ: مُحْشِي بْنُ حُمَيْرٍ)، مُحْشِي بْنُ حُمَيْرٍ هَذَا تَابَ، وَقَالَ: قَعْدَ بِي اسْمِي واسم أبي، (مُحْشِي بْنُ حُمَيْرٍ)، وَلَكِنَّهُ نَدِمَ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَكَانَ مِنَ الْمَقْبُولِينَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَتَحْسَبُونَ جَلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاللَّهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ، إِرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ)، الْمُسْلِمُونَ لَا يَبَالُونَ بِالْكَفَّارِ وَقُوَّتِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُمْ وَاثِقُونَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ، وَمَا دَامَ الْإِنْسَانُ وَاثِقًا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، فَلَا يَهْمُهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَدِيثُ النَّاسِ وَكَلَامُ النَّاسِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ مُحْشِي بْنُ حُمَيْرٍ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ مِائَةِ جَلْدَةٍ، وَإِنَّا نَنْفَلْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ)، هَذَا الصَّحَابِيُّ حَدِيثُ السَّنَنِ تَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا، وَلَمْ يَقْرَهُ أَصْلًا فَأَنْكَرَهُ، فَتَابَ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَأَثْنَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]، فَهَذَا الْغُلَامُ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَسَمَاهُ طَائِفَةً، فَدَلَ عَلَى أَنَّ الطَّائِفَةَ يُطْلَقُ عَلَى الشَّخْصِ

الواحد؛ ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]: مُحْشِي بْنُ حُمْيرٍ، وكان يقول: قعد بي اسمي واسم أبي؛ لأن (محشي): هذا كلام به غضاضة، (ابن حمير): تصغير حمار. يقول: قعد بي اسمي واسم أبي، يعني: أنزلني منزلة رديئة، وليس كذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل إن الله تاب عليه، وأثنى عليه.

﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾: هو هذا الرجل، ﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]، فهذا رجلٌ أُطلق عليه طائفة لقوة ما جاء به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخْوُضُ وَنَلْعَبُ)، انظر! اعترف بأنهم يخوضون ويلعبون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ مُحْشِي بْنُ حُمْيرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي)، محشي بن حمير، يقول: هذا أخرني هذا الاسم، وفي الواقع أنه قدمه هذا الاسم عند الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَكَانَ الَّذِي عَفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦])، هو محشي بن حمير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فُسِّمِيَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ)، وفي هذا تغيير الاسم إذا كان فيه كراهة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَاسَمَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ)، الله أكبر، والله أعلم حملته الملائكة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: فَأَصِيبَ يَوْمَ الْيَاسَمَةِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَقَدْ وَجِدَ غَيْرَهُ)، الله أعلم أنه حملته الملائكة.

ش: وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بهذه المقالة التي استهزأتم بها، ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾، أي: مخشي بن حمير ﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً﴾، أي: لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم ﴿يَأْتِيهِمْ كَأَنُورًا مُّجْرِمِينَ﴾، أي: بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهى^(١).

قال شيخ الإسلام: وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ أَوَّلًا بِقُلُوبِهِمْ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ مَعَ كُفْرِ الْقَلْبِ قَدْ قَارَنَهُ الْكُفْرُ، فَلَا يُقَالُ: قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا كَافِرِينَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. وَإِنْ أُريدَ أَنَّكُمْ أَظْهَرْتُمْ الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِكُمُ الْإِيمَانَ، فَهُمْ لَمْ يُظْهِرُوا لِلنَّاسِ إِلَّا خَوَاصَّهُمْ، وَهُمْ مَعَ خَوَاصِّهِمْ مَا زَالُوا هَكَذَا، وَلَا يَدُلُّ اللَّفْظُ عَلَى أَنَّهُمْ مَا زَالُوا مُنَافِقِينَ^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، أي: بهذه المقالة التي استهزأتم بها، ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾، أي: مخشي ابن حمير، ﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً﴾، أي: لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم، ﴿يَأْتِيهِمْ كَأَنُورًا مُّجْرِمِينَ﴾، أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة)، نقرأ هذا الشرح بهذه الكلمات، ونعلق عليها بما تيسر.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٧١-١٧٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال شيخ الإسلام)، إذا أُطلق شيخ الإسلام، فإنه شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال بعض العلماء: من هو شيخ الإسلام إذا لم يكن هو ابن تيمية؟! قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾)، أمره الله أن يقول: ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فدل على أنهم كانوا مؤمنين، لكن لما قالوا هذه المقالة، كفروا -والعياذ بالله-، وخرجوا من الدين، وهذا فيه خطر الكلام في كتاب الله، أو سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير علم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ أَوَّلًا بِقُلُوبِهِمْ لَا يَصِحُّ)، الله أطلق الإيمان، ونسبه إليهم، فدل على أنهم كانوا مؤمنين حقيقة، ولكنهم كفروا بعد إيمانهم، وليس المعنى أنهم كانوا من الأصل ليسوا مؤمنين، وإنما ظهرت مقالته، هذا قول بلا مستند.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ أَوَّلًا بِقُلُوبِهِمْ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ مَعَ كُفْرِ الْقَلْبِ قَدْ قَارَنَهُ الْكُفْرُ)، القول بدون إيمان لا يسمى إيماناً، وإن كان يوافق في لفظه الحق، لكن العبرة بالمعنى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنْ أُريدَ أَنَّكُمْ أَظْهَرْتُمْ الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِكُمُ الْإِيمَانَ، فَهُمْ لَمْ يُظْهَرُوا لِلنَّاسِ إِلَّا لَخَوَاصِّهِمْ)، لم يظهروا الإيمان إلا لبعض الناس، ومع خواصهم فقط.



ش: وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ مَعَ قَوْلِهِمْ: إِنَّا تَكَلَّمْنَا بِالْكَفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ لَهُ، بَلْ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوَضُ وَنَلْعَبُ. وَبَيَّنَّ أَنَّ الْإِسْتِهْزَاءَ بِآيَاتِ اللَّهِ كُفْرٌ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا مَنْ شَرَحَ صَدْرًا بِهَذَا الْكَلَامِ، وَلَوْ كَانَ الْإِيْمَانُ فِي قَلْبِهِ، لَمَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ. وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ أَنَّ إِيْمَانَ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ [النور: ٤٨-٥١]، فَنَفَى الْإِيْمَانَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، فَبَيَّنَّ أَنَّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِيْمَانِ، انْتَهَى (١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبَيَّنَّ أَنَّ الْإِسْتِهْزَاءَ بِآيَاتِ اللَّهِ كُفْرٌ)، وَلَوْ كَانَ بِاللِّسَانِ فَقَطْ يَكُونُ كُفْرًا بَعْدَ الْإِيْمَانِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا مَنْ شَرَحَ صَدْرًا بِهَذَا الْكَلَامِ)، الْآنَ فِي بَعْضِ الْإِذَاعَاتِ يَقُولُونَ شَيْئًا مِنْ هَذَا، يَسْخَرُونَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَسْخَرُونَ مِنْ

السنة، يسخرون من الإيَّان، ويقولون: نحن لم نقصد هذا بقلوبنا، هذا من الكذب، لا أحد ينطق بشيء إلا وهو مقرر له بقلبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَوْ كَانَ الْإِيَّانُ فِي قَلْبِهِ لَمَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ)، لا يمكن أن يصدر هذا الكلام من مؤمن أصلاً، لو كان عنده إيَّان، لاستعظم هذا الكلام، ولم ينطق به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ أَنَّ إِيَّانَ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ)، الإيَّان بالقلب لا يكفي، بل لابد من الإتيان بلازمه، وهو الإيَّان باللسان -أيضاً-، الإيَّان باللسان والإيَّان بالقلب والإيَّان بالعمل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ أَنَّ إِيَّانَ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ)، بحسبه قوة وضعفاً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا رَسُولَ اذْهَبْ عَلَيْنَا نَحْمَدُكَ بِمَا نَزَّلْتَنَا﴾ [النور: ٤٧])، ﴿يَتَوَلَّى﴾، يعني: يعرض عن الكلام الذي قاله، ويتراجع عنه، فيمحو كلامه هذا إيمانه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨])، إذا دُعي فريق من المنافقين ﴿إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، ماذا يقابلونه؟ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: يعرضون عن هذا الكلام، ولا يقبلونه؛ فلا إيَّان لهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾)، إذا كسبوا القضية، قبلوا هذا الكلام، وإذا لم يكسبوا هذه القضية، لم يقبلوا هذا الكلام؛ لأنه عليهم، والمؤمن يقبل الحق سواء له أو عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، سجل الله عليهم الظلم. والظلم أنواع، أعظم الظلم: الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه^(١)، فهذا الكلام وُضع في غير موضعه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، سواء كان الحق لهم أو عليهم، يقولون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ما يحكم به الحاكم الشرعي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، الذين يقولون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وإن كان الحق عليهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ﴾، سواء كان الحق لهم أو عليهم يقولون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.



(١) انظر: غريب الحديث لابن قُتَيْبَةَ (٢/ ٨٤)، ومختار الصحاح (ص ١٧٠)، ولسان العرب (٣٧٣/ ١٢)، والقاموس المحيط (ص ١٤٦٤).

ش: وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به. وأشدّها خطرًا إرادات القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له. ويفيد الخوف من النفاق الأكبر، فإن الله تعالى أثبت هؤلاء إيمانًا قبل أن يقولوا ما قالوه؛ كما قال ابنُ أبي مُلَيْكَةَ: «أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»^(١). نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها)؛ كما كفر هؤلاء بهذه الكلمة التي قالوها: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء) إلى آخره -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأشدّها خطرًا إرادات القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له)، ما يجري على القلوب من تصديق أو تكذيب هذا أشدّها. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيد الخوف من النفاق الأكبر)، لأن النفاق: نفاق أصغر، ونفاق أكبر، وهو الكفر، أما النفاق الأصغر هذا كفر أصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال ابنُ أبي مُلَيْكَةَ: «أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»)، كان عمر بن الخطاب

(١) أخرجه البخاري معلقاً (١/ ١١٠ - ١١١ مع الفتح) - كتاب الإيمان باب خوف المؤمن أن يبط عمله - وقال الحافظ: وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه لكن أبهم العدد، وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطوّلًا في كتاب الإيمان له. اهـ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول: أنشدك الله، هل ذكر لك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمي في أسماء المنافقين؟ فقال: حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا، ولا أزكي بعدك أحداً^(١).



(١) أخرجه وكيع في الزهد (ص ٧٩١) من طريق زيد بن وهب، وأخرجه البزار في المسند (٢٩٢/٧) بنحوه من طريق آخر عن وائل عن حذيفة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٢): «ورجاله ثقات».

فِيهِ مَسَائِلُ:

- الأولى -وهي العَظِيمَةُ- : أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا، فَهُوَ كَافِرٌ.
 الثانيةُ : أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِي مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ.
 الثالثةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.
 الرابعةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ.
 الخامسةُ : أَنَّ مِنَ الْأَعْذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ.

- قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى -وهي العَظِيمَةُ- : أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا فَهُوَ كَافِرٌ)،
 من هزل بهذا، يعني: مزح بهذا الكلام، فهو كافر.
 قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانيةُ : أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِي مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا
 مَنْ كَانَ)، من فعل يحكم عليه بهذا الحكم، كائنًا من كان، ولو كان مؤمنًا في
 الأول، يُحكم عليه بالكفر بعد إيمانه.
 قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَبَيْنَ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ)؛
 لأن هذا الرجل الشاب جاء وتحدث عن ناس غائبين، فظاهره أنه نَمِيمَةٌ،
 لكنه لما كان معناه النصيحة، كان إيمانًا، وليس نَمِيمَةً.
 قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابعةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى
 أَعْدَاءِ اللَّهِ)، العفو هذا محمود، وأما الغلظة على أعداء الله، فهي ممدوحة
 ومحبوبة؛ ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]. قال
 الله: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَتْسَلُّ الْمَصِيرُ﴾.
 قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخامسةُ : أَنَّ مِنَ الْأَعْذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ)، يعني:
 لا يجوز أن يُقبل إذا كان فيه معنى سيئ.

٤٨ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ تُرْجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت: ٥٠].

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مُحَقَّقٌ بِهِ^(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي»^(٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ»^(٣).

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ»^(٤).

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ»^(٥).

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ تُرْجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/٤٥٨)، وأخرجه البخاري معلقاً، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِيَوْمٍ يَنْظُرُونَ ﴾ (١٢٧/٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٥/٣٧٣).

(٣) انظر: تفسير البحر المحیط (٩/٢١٠)، وتفسير الثعالبي (٥/٩٦)، وشفاء العليل (ص ٣٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/٣٠١٢) عن السدي. وانظر: تفسير الطبري (٢٠/٢٢٠).

(٥) أخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (٢٠/٢٢١).

غَلِيظٌ ﴿[فصلت: ٥٠] الآية﴾، ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس، وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها ما يكفي في المعنى ويشفي.
قوله: «قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مُحَقِّقٌ بِهِ».
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي».
وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [الفصص: ٧٨].
قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ».
وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ».
وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ».
وليس فيما ذكره اختلاف، وإنما هي أفراد المعنى.

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩]: يُخْبِرُ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي حَالِ الضَّرِّ يَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيُنِيبُ إِلَيْهِ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ طَغَى وَبَغَى، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الفصص: ٧٨]، أَي: لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ اسْتِحْقَاقِي لَهُ، وَلَوْلَا أَنِّي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى حَظِيظٌ، لَمَا حَوَّلَنِي هَذَا.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩]، أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، بَلْ إِنَّمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ لِنُخْتَبِرَهُ فِيمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ؛ أَيَطِيعُ أَمْ يَعْصِي؟ مَعَ عِلْمِنَا الْمَتَّقَدِّمِ بِذَلِكَ.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾، أَي: اخْتِبَارٌ، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]، فَلِهَذَا يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ، وَيَدْعُونَ مَا يَدْعُونَ..

﴿ قَدْ فَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾، أَي: قَدْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَزَعَمَ هَذَا الزَّعَمَ،
وَادَّعَى هَذِهِ الدَّعْوَى كَثِيرٌ مِمَّنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ.

﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٥٠]، أَي: فَمَا صَحَّ قَوْلُهُمْ
وَلَا نَفَعُهُمْ جَمْعُهُمْ وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَتُّوْلَاءٍ ﴾، أَي: مِنْ
الْمَخَاطِبِينَ ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾، أَي: كَمَا أَصَابَ أَوْلَئِكَ، ﴿ وَمَا
هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الزمر: ٥١].

كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَارُونَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٧٦) وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا
تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ
فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴿
[القصص: ٧٦-٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ
بِمُعْذِرِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥]. اهـ (١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَدْرَأْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ
لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾)،

بمعنى أنه لا يعترف بمِنَّة الله عليه، وأن الله أبرأه من المرض؛ فيقول: هذا أنا أستحقه على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويحمد نعمة الله عليه - والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾﴾ [القصص: ٧٨]،
ويحمد نعمة الله عليه، وهذا نقصان في التوحيد؛ فإن الاعتراف بنعمة الله،
وأن النعم من عند الله هذا من التوحيد.

وإضافة النعمة إلى العبد، وأنها من سعيه وكسبه هذا من الشرك بالله عزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ»)، والمعنى
الثاني: على علم من الله أي أستحقه، فيجحد فضل الله عليه، وينسب النعمة
إلى أنه مستحق لها، وليس لله فضل عليه فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وليس فيما ذكره اختلاف وإنما هي أفراد المعنى)، هذا
يدل على أن هذه الآية لها عدة تفاسير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ طَغَىٰ وَبَغَىٰ، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ،
عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القصص: ٧٨]، أَي: لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ اسْتِحْقَاقِي لَهُ، وَلَوْلَا أَنِّي عِنْدَ
اللَّهِ تَعَالَىٰ حَظِيزٌ لَّمَّا خَوَّلَنِي هَذَا)، فيجحد نعمة الله عليه، وينسب هذا إلى
استحقاقه على الله هذه النعمة، هذا من كفران النعمة - والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾، أَي: اخْتِبَارٌ، ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾
[الزمر: ٤٩]، هذا الكلام فتنة، إنه أعجب بنفسه، وجحد نعمة الله عليه، وقال: هذا
حقى على الله، أنا مستحقه. فهذا لا شك أنه مغلٌ بالعقيدة، مغلٌ بالتوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]، فَلِهَذَا يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ، وَيَدْعُونَ مَا يَدْعُونَ، فهذا القول - (هذا لي) - ليس عن علم، وإنما هو عن جهل بحق الله سبحانه والاعتراف بنعمته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، قد قال هذه المقالة أن هذه النعم يستحقونها، فلم يعترفوا بفضل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فالكسب نعمة من الله، وليس هو استحقاق العبد على الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٥٠]، أي: فَمَا صَحَّ قَوْلُهُمْ وَلَا نَفْعُهُمْ بِجَمْعِهِمْ وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، جحدوا نعمة الله، وأنكروا فضله، وهذا مخلٌ بعقيدة التوحيد؛ لأن من معاني توحيد الله: الاعتراف بنعم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى على العبد، وأن الله منَّ بها عليه، وليست من كسبه، وليس هو مستحق لها على الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، والله لا يجب عليه حقٌّ من خلقه، وإنما هو حقٌّ أوجهه على نفسه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾، أي: من المخاطبين ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾، أي: كما أصاب أولئك، ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١]، فهم تكبروا أن يعترفوا بنعمة الله عليهم، فهذه سنة من سنن الجاهلية؛ ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: من قبل أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمة الدعوة، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٥٠]، لما جاء أمر الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ونزلت بهم المصائب، ولو كانت هذه النعم من عندهم، لتمسكوا بها، واحتفظوا بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْرِجًا عَنْ قَارُونَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٦-٧٨]، قارون ملك من الملوك السابقين، وكانت عنده نعم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من الله بها عليه، فمجحد فضل الله بهذه النعمة وقال: هذه النعم إنما هي على علم عندي -يعني: بوجوه المكاسب-، أخذتها لأني أعرف وجوه المكاسب، فأنا الذي أوجدتها. فيمجحد نعمة الله عليه، وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَا تَفْرَحْ﴾؛ قارون، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَيْنِسْتُهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]، مفاتيح هذه الكنوز، مفاتيحها يعجز الجماعة عن حملها لكثرتها وثقلها.

الله جَلَّوَعَلَا لما أنزل بهم عقوبته ما أغنى عنهم هذا الكسب الذي يزعمونه، فأخذتهم العقوبة، وزالت هذه النعمة من بين أيديهم، ولم يستطيعوا إمساكها. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَا تَفْرَحْ﴾، يعني: فرح بطر، أما الفرح بنعمة الله، فهو من أنواع التوحيد، ولكن لا تفرح بها فرح بطر، وتدعي أنها من كدك وكسبك، تمجحد فضل الله عليك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾: من هذا المال، ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾؛ تصرفه في

طاعة الله وعبادة الله، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾: تطغى بهذا المال، وتفسد في الأرض، وتؤدي عباد الله بالترفع عليهم

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿(وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)﴾، ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: تمتع بما آتاك الله مع الشكر لله عَزَّوَجَلَّ، فالإنسان لا يحرم نفسه من نعم الله عليه بحجة أن هذا من العبادة، هذا ليس من العبادة، هذا من كفران النعمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿(وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)﴾، ﴿وَأَحْسِنْ﴾ من هذا المال، وتصدق منه، وأعط المحتاجين؛ ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، فأعطاك هذا المال، وجاد به عليك، فمن شكره أنك تحسن إلى الناس المحتاجين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿(وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿وَلَا تَبْغِ﴾ بهذا المال ﴿الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والسيئات؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، ومفهوم هذا أن الله يحب المحسنين؛ كما صرح بهذا في آيات أخرى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي)﴾ [القصص: ٧٨]، جحد نعمة الله، وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾، على علم مني، على معنيين في تفسير الآية: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾، أي: على خبرة مني بوجوه المكاسب، وليس لله فضل عليّ في ذلك، أو ليس لأحد عليّ فضل في ذلك، فجحد نعمة الله، وأنكر فضل الله عليه، وهذا من نقصان التوحيد^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾، أي: من الأمم السابقة، ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٥٠]، من هذه الأموال، وما دفعت عنهم عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَا نَزَلَ بِهِمْ، فدل على أن هذه النعمة من الله، هو الذي يعطيها، وهو الذي يسلبها من العبد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، بل يؤخذون بها، ويعاقبون بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥])، وقال أهل الجاهلية: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، تكبروا بأموالهم وأولادهم، وظنوا أن الله لا يعذبهم، وأن هذه الأموال وهؤلاء الأولاد يدفعون عنهم عذاب الله، قال الله جَلَّ وَعَلَا رَدًّا عليهم: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٥٠]، لما جاء أمر الله، ما دفعت عنهم أموالهم عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فائدة: من يقول عندما يحصل على عمل: إنما تحصلت عليه بفضل شهادتي أو خبرتي، هل يدخل في هذا؟

الجواب: نعم، بلا شك، ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، الشهادة علم، فهو ينسب إلى شهادته ما أعطاه الله من النعم، ويحدد فضل الله عليه، وهذا مضاد للتوحيد.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنْ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ وَأَقْرَعٌ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَآتَى الْأَبْرَصَ؛ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ؛ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوِ الْبَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ -، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُسْرَاءً، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَآتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوِ الْإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

فَآتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَردَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأُنتَجَ هَذَانِ وَوُلِدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ؛ قَدْ انْقَطَعَتْ بَيَ الْحَبَالِ فِي سَفَرِي هَذَا؛ فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ؛ بَعِيرًا أَتَبْلُغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحَقُّوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ؟ فَفَقِيرًا؛ فَأَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ الْمَالَ؟ فَقَالَ:

إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ؛ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنٌ سَبِيلٍ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْجِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؛ شَاةٌ أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى؛ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَا لَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ. أَخْرَجَاهُ^(١).

ش: قوله: (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنْ ثَلَاثَةٌ... الحديث»).
قوله: (أَخْرَجَاهُ)، أي: البخاري ومسلم.

والناقة العشاء - بضم العين وفتح الشين وبالمدة - هي الحامل.
وقوله: «فَأُتِنَجَّ»، وفي رواية: (فَتَنَجَّ) معناه تولى نتاجها، والنتاج للناقة كالقابلة للمرأة.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

قوله: «وَوَلَدَ هَذَا» هو بتشديد اللام، أي: تولى ولادتها، وهو بمعنى أنتج في الناقة، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ)، يعني: جاءه أبرص، الملك صار أبرص، جاء إلى هذا الرجل في صورة هذا الرجل.
قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ)، يعني: وليس لله فضلٌ في ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ)؛ لأن الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يتشكلون بأشكال أقدرهم الله عليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ: أُمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ)، وهذا الحديث فيه هؤلاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

الأول منهم: أبرص، رد الله عليه جلدًا حسنًا ولونا حسنًا.

والثاني: أقرع ليس له شعر في رأسه، فرد الله عليه شعر رأسه، وتجمل بالشعر في رأسه.

والثالث: أعمى، رد الله عليه بصره، وأعطاه غنمًا وفقًا لطلبه، أعطاه الغنم.

فالله أراد أن يختبرهم، فأصاب هؤلاء، أصاب الأول بالقرع في رأسه بحيث لا ينبت له شعر، وصار رأسه لا شعر فيه يجمله، والثاني ابتلاه الله

بالبرص، أزال لون جلده نهائياً، والثالث الأعمى فاقد البصر، فالله جَلَّ وَعَلَا ابتلى هؤلاء، لما جاءه الملك، قال له: أي شيء تحب؟ قال: أن ينبت شعر رأسي؛ أن يزول ما بي من القرع، فمسحه الملك، مسح برأسه، فعاد إليه الشعر وتجمل به.

والثاني: الأبرص، مسح الملك جلده، فرد الله عليه اللون الحسن.
والثالث: الأعمى، رد الله عليه بصره.

فجاءهم الملك في صورة محتاج يسألهم من الأموال التي معهم.

قال الملك للأول: أسألك بالذي رد عليك شعر رأسك، بعيراً أتبلغ به، يعني: أسير عليه في سفري، فقال له صاحب الإبل: الحقوق كثيرة، يعني: لو أعطيتك لأعطيت الثاني والثالث والرابع، فينفذ المال -بزعمه.

وقال صاحب البقر: إنما أوتيت هذا المال على علم عندي بوجوه المكاسب، فهذا المال من كسبي، وليس لأحد فضل فيه، «إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ»، وليس لأحد عليّ فضل فيه.

وقال الأعمى: قد كنت أعمى، فرد الله عليّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك على شيء أخذته الله عَزَّجَلَّ، فكان أحسنهم مقالاً، شاكرًا لله على نعمه.

فقال لهم الملك: إنما ابتليتكم بهذه الأسئلة، وقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك: الأقرع والأبرص؛ لأنهما جحدا نعمة الله عليهما، وهذا مناف لتوحيد الله عَزَّجَلَّ.

والأعمى رضي الله عنه؛ لأنه اعترف بفضل الله عليه، وهذا من التوحيد ومن العقيدة، والاعتراف بنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «أَخْرَجَاهُ» أي: البخاري ومسلم)، وهذا ما اتفق عليه الشيخان، هذا أصح الأحاديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالمولد والناجب والقابلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره)، الناجب والتوليد هذا للحيوان، والقابلة هذا لبني آدم.



ش: وقوله: «انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ»^(١) هو بالحاء المهملة والباء الموحدة: أي انقطعت بي الأسباب.

وقوله: «لَا أَجْهَدُكَ». معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذ، أو تطلبه من مالي ذكره النووي^(٢).

وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر؛ فإن الأولين جَحَدَا نعمة الله، فما أقرّا لله بنعمة، ولا نسبوا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها بنعمه، فحلَّ عليها السخط.

وأما الأعمى، فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة، لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ» هو بالحاء المهملة والباء الموحدة: أي انقطعت بي الأسباب)، الحبال في الشرع هي الأسباب التي يتوصل بها إلى المطلوب.

(١) قال ابن حجر في الفتح (٥٠٢/٦): (ولبعض رواة مسلم: (الخيال) بالمهملة والتحتانية، جمع: حيلة، أي: لم يبق لي حيلة).

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٩٨/١٨ - ٩٩).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «لَا أَجْهَدُكَ»). معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذ، أو تطلبه من مالي)، «لَا أَجْهَدُكَ»، يعني: لا أشق عليك بشيء أخذته الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر؛ فإن الأولين جَحَدَا نعمة الله)، وهذا محل الشاهد من الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه معتبر؛ فإن الأولين جَحَدَا نعمة الله، فما أقرأ الله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها بنعمه، فحلَّ عليهما السخط)، وهذا فيه معتبرٌ للذين يتكبرون بأموالهم، ويظنون أنها من كسبهم وكدهم، ويحسدون فضل الله عليهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها. وهي الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب)؛ فيما يحبه المنعم. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الإقرار بالنعمة)، الإقرار بالنعمة أنها من الله، لا بكده. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونسبتها إلى المنعم)، كذلك بمعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبذلها فيما يحب)، وبذلها فيما يحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو التصديق منها وإعطاء المحتاجين منها.



ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها، لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضاً. ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدها؛ كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها، وأقر بها، ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له، ولم يحبه ويرض به وعنه، لم يشكره أيضاً. ومن عرفها، وعرف المنعم بها، وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها. فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم، ومحبه، والخضوع له^(١).

قوله: «قَدَرَنِي النَّاسُ»؛ بكراهة رؤيته، وقربه منهم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل والمحبة)، هذه أركان الشكر، وهي: الأول: معرفة النعمة، وأنها نعمة من الله لا بكده ولا بكسبه.

(١) انظر: طريق الهجرتين (ص ٩٥)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٣٥).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضًا)، فمن عرفها، ولم يعرف المنعم بها - وهو الله -، بل نسب ذلك إلى غيره، وأن فلائًا هو المتفضل عليه بهذا المال.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدتها، كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها)، من لم يعرف النعمة وأنها من الله وينسبها إلى الله، فقد كفر بها.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ومن عرف النعمة والمنعم بها، وأقر بها ولم يجحدتها، ولكن لم يخضع له، ولم يحبه ويرض به وعنه، لم يشكره أيضًا)، هذا كلام ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ، لابد من الأمور الثلاثة حتى يتحقق الشكر: معرفة النعمة، ومعرفة المنعم بها، ووضعها في مواضعها.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ومن عرفها، وعرف المنعم بها، وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها)، من اجتمعت فيه هذه الأمور الثلاثة: معرفة النعمة، ومعرفة المنعم بها، وصرها في طاعة الله، هذه أركان الشكر.

والله قد أثنى على نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (قوله: «قَدَرِي النَّاسُ» بكَراهة رؤيته، وقربه منهم)؛ لأنهم يكرهون الأقرع والاختلاط به؛ خوفًا من أن يعديهم.



فِيهِ مَسَائِلُ،

الأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ.

الثَّانِيَّةُ: مَا مَعْنَى ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾؟

الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أُوتِيَتْهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؟

الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ مِنَ الْعِبَرِ الْعَظِيمَةِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، هذا فقه الباب، من عادة المصنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يذكر فقه الباب، وذلك بذكر ما يستفاد منه من المسائل العلمية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْتُهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٠])، أعطيناه يعني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَّةُ: مَا مَعْنَى ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾؟)، يعني: يجحد نعمة الله عليه بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾؟)، يجحد أن الله هو الذي أعطاه إياه، وإنما هي بكده وكسبه وعلمه وخبرته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ مِنَ الْعِبَرِ الْعَظِيمَةِ)، من العبر العظيمة الثلاثة، العبر الثلاث التي فيها.

فائدة: بعض أصحاب المزارع يعطي هذه النخل السجاد، ويكرمه بالماء، فيأتي الثمر جيّداً، والآخر لا يعطي، فيقول: لأنني أعطيت هذا السجاد والماء، فأصبح الثمر جيّداً، وهذا ليس كذلك، فهل هذا يدخل في الباب أو لا؟

الجواب: لا، لا يدخل في الباب، يعني: رد إلى الأسباب، هذا سبب
يعني، فلا يعتبر داخلاً، ليس هناك شك في أن النخلة التي تُعطى سماءاً،
وتروى بالماء، ويخفف عنها الحمل أنها تنتج.



٤٩ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

ش: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]).

قال الإمام أحمد رحمه الله في معنى هذه الآية: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَمَّا وَلَدْتُ حَوَاءَ، طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمِيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَإِنَّهُ يَعِيشُ، فَسَمَّيْتُهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ».

وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار وبندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد ابن المثنى عن عبد الصمد به، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه.

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعاً، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً^(١).

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: ثنا سَهْلُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ عَمْرِو، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] قَالَ: «كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ الْمَلَلِ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَدَمَ»^(٢).

وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَوْلَادًا فَهَوِّدُوا وَنَصِّرُوا، وهذا إسناد صحيح عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣).

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: وَأَمَّا الْآثَارُ: فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَتْ حَوَاءُ تَلِدُ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْلَادًا فَيُعَبِّدُهُمُ اللَّهُ، وَيُسَمِّيهِمْ: عَبْدَ اللَّهِ وَعَبِيدَ اللَّهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَيُصَيِّبُهُمُ الْمَوْتُ، فَاتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَوْ تُسَمِّيَانِهِ بِغَيْرِ الَّذِي تُسَمِّيَانِهِ بِهِ لَعَاشَ.

قال: فَوَلَدَتْ لَهُ رَجُلًا، فَسَمَّاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ^(٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٣/ ٣٠٥)، والترمذي (٣٠٧٧)، والطبري (١٠/ ٦٢٦)،

وابن أبي حاتم (١٦٣١/ ٥)، والطبراني في الكبير (٦٨٩٥)، والحاكم (٢/ ٥٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٢٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٢٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٧).

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَأَتَاهُمَا الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِيَانِ مَا يُؤَلَّدُ لَكُمَا؟ أَمْ هَلْ تَدْرِيَانِ مَا يَكُونُ؟ أَبْهِيْمَةً أَمْ لَا؟ وَزَيْنَ لُهُمَا الْبَاطِلُ؛ إِنَّهُ غَوِيٌّ مُبِينٌ، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَدْتُ وَلَدَيْنِ فَمَاتَا، فَقَالَ لُهُمَا الشَّيْطَانُ: إِنَّكُمَا إِن لَمْ تُسَمِّيَاهُ بِي، لَمْ يَخْرُجْ سَوِيًّا، وَمَاتَ كَمَا مَاتَ الْأَوَّلُ، فَسَمِّيَا وَلَدُهُمَا عَبْدَ الْحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] ^(١).

وذكر مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورواه ابن أبي حاتم.
وَقَدْ تَلَقَّى هَذَا الْأَثَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، كَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرَمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.
وَمِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ: قَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْخَلَفِ، وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ جَمَاعَاتٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.
قَالَ الْعِمَادُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكَانَهُ أَصْلُهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَا خُوذُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(٢).
قلت: وهذا بعيد جدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠])، لما حملت زوجة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَاهَا الشَّيْطَانُ، قَالَ لَهَا: سَمِيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، وَإِلَّا جَعَلْتُ لَهُ قُرُونًا، فَيَشُقُّ بَطْنُكَ، فَأَشْفَقَ الْإِبْرَاهِيمُ - آدَمُ وَحَوَاءُ -، وَسَمِيَاهُ بِهَذَا الْاسْمِ؛ طَاعَةَ

(١) أخرجه الطبري (١٠/٦٢٤)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٢٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٢٨).

للسيطان، والله جَلَّ وَعَلَا ذكر ذلك في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَٰلِحًا﴾، يعني: كامل الخلقة، ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، فأطاعا الشيطان، وسمياه عبد الحارث، وهذا من شرك الطاعة، لا من شرك العمل، والله جَلَّ وَعَلَا ذكر هذا من باب اللوم لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجه حواء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءُ، طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَكَانَ لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَإِنَّهُ يَعْيشُ، فَسَمَّيْتُهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ)، هذا تفسير لهذه الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا﴾، يعني: شرك الطاعة لا شرك العبادة، فأطاعاه إشفاقاً على الولد ليسلم؛ لأنه قال: سأجعل له قرن إِيْلٍ، فيشق بطنك إن لم تسمه بهذا الاسم، فسمته بهذا الاسم؛ طاعة للشيطان، ومن باب الإشفاق على الولد. الله جَلَّ وَعَلَا أنكر عليهما ذلك؛ كما في هذه الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَٰلِحًا﴾، يعني: في الخلقة، ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا﴾، يعني: في التسمية، فسمياه عبد الحارث، والتعبيد إنما يكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ الْحَسَنِ: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا﴾ قَالَ: «كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ الْمَلَلِ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَدَمَ)، يعني: ليس الذي جاءت القصة في شأنه أنه آدم أبو البشر، ولكنه رجل آخر، فأطاع الشيطان في هذه التسمية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَوْلَادًا فَهَوِّدُوا وَنَصِّرُوا)، وهذا إسناد صحيح عن الحسن)، يعني الحسن

البصري أن هذا في اليهود، هم الذين سموا بهذه التسمية، اليهود والنصارى سموا بهذه التسمية؛ طاعة للشيطان، وإشفاقاً على هذا الولد؛ ليسلم ويبقى. قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠])، وهذا ليس من الشرك في العبادة، وإنما هو من الشرك في التسمية؛ حيث أطاعا الشيطان وسمياه عبد الحارث؛ إشفاقاً عليه لأجل أن يسلم.

والله عاب ذلك عليهما، وقال: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾، هذا من شرك الطاعة وليس من شرك العبادة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قَالَ الْعِمَادُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكَانَهُ أَصْلُهُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - مَا أُخِذَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. قلت: وهذا بعيد جداً)، يعني: هذا القول بعيد جداً بهذا السياق، وإنما السياق الأول هو الراجع أو الصحيح.



قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعْبَدٍ لغيرِ اللَّهِ كَعَبْدِ
عَمْرٍو وَعَبْدِ الْكُفَّةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلَبِ^(١).

[ش:] (ابْنُ حَزْمٍ) هو عالم الأندلس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
ابن حزم القرطبي الظاهري، صاحب التصانيف، توفي سنة ست وخمسين
وأربعمئة. وله اثنتان وسبعون سنة^(٢).

و(عَبْدُ الْمُطَّلَبِ) هذا هو جد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ابن هاشم بن
عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن
مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل
بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

حكى رَحِمَهُ اللَّهُ اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبدَ لغيرِ الله؛ لأنه شرك في
الربوبية والإلهية؛ لأن الخلق كلهم ملكٌ لله وعبيدٌ له، استعبدتهم لعبادته وحده،
وتوحيده في ربوبيته وإلهيته، فمنهم من عبد الله ووحده في ربوبيته وإلهيته،
ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامه
القدرية جارية عليهم ولا بد، كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فهذه هي العبودية العامة.

(١) انظر: مراتب الإجماع (ص ١٥٤).

(٢) انظر في ترجمته: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص ٤١٥)، ومعجم الأدباء
(٤/ ١٦٥٠)، وتاريخ الإسلام (٧٤/ ١٠)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤).

وأما العبودية الخاصة، فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة؛ كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] ونحوها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعْبَدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ)، هذا الأثر كما ذكر ابن حزم الظاهري - إمام الظاهرية - هو الذي هو الذي ذكر هذا الشيء ورواه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: اتَّفَقُوا)، (اتَّفَقُوا)، أي: العلماء على تحريم كل اسم معبد بغير الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما يُعبد لله؛ لأنه عبد الله على الحقيقة؛ هو الذي خلقه، وهو الذي أوجده، وهو الذي رباه، فيُعبد لله عَزَّوَجَلَّ لا يُعبد لغيره، عبد الحارث هذا لا يجوز.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَاشَا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ): جد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك لأن معنى عبد المطلب أنه سافر مع عمه، فأصابه السواد من السفر، فلما قدم به سموه عبد المطلب؛ نسبة إلى عمه؛ لأنه جاء به أسود من السفر، فسموه عبد المطلب، لا أنه من التعبيد لغير الله، وإنما من إسناد الشيء إلى صاحبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَاشَا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ)، (حَاشَا)، يعني: لا يدخل عبد المطلب في هذا الممنوع؛ لأن (عبد المطلب) بمعنى أنه خادمه، لما قدم به وهو أسود من السفر، سموه عبد المطلب؛ لا من باب التعبيد لغير الله، وإنما من أجل الصحة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فهم من العرب المستعربة، لا من العرب العاربة القحطانية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حكى رَحِمَهُ اللَّهُ اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبدَ لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية والإلهية؛ لأن الخلق كلهم ملكٌ لله وعبيدٌ له، استعبدتهم لعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته)، الخلق كلهم عباد الله؛ لأنه ربههم وخالقهم ومربيهم بنعمه، فهم عباد الله جَلَّ وَعَلَا، ولا يُعبدون غيره.

ولكن (عبد المطلب) هذا لأنه جاء مع عمه من السفر، وكان أسود بسبب إصابة الشمس، فسموه عبد المطلب بمعنى أنه صاحبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته)، الشرك إنما وقع في توحيد العبادة، ولم يقع في توحيد الربوبية؛ لأن كلهم مقرون بتوحيد الربوبية، إنما الخلاف جاء في توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته)، توحيد الربوبية هذا لم يجحده أحد، وإنما الجحود وقع في توحيد الألوهية، وهو توحيد العبادة، فكثير منهم أشركوا بالله في عبادته، ولم يشركوا في ربوبيته

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأحكامه القدريّة جارية عليهم ولا بد، كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣])، هذا في توحيد الربوبية، وأما توحيد الألوهية، فكثير منهم أشرك بالله في إلهيته وعبادته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فهذه هي العبودية العامة)، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ﴿آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، يعني: بالربوبية، فالله رب الجميع وخالق الجميع، وهم عباده، فهم لا يشركون في توحيد الربوبية، وإنما وقع منهم الشرك في توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما العبودية الخاصة، فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] ونحوها)، العبودية الخاصة -توحيد الألوهية- هذه خاصة بالمؤمنين، وأما الكفار، فهم اعترفوا بتوحيد الربوبية، ولكنهم أشركوا بتوحيد الألوهية، ولذلك بعث الله الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يأمرون الناس بعبادة الله وحده لا شريك له في العبادة، جاءوا بتوحيد العبادة، ولم يأتوا من أجل توحيد الربوبية؛ لأن هذا شيء أقرب به الكفار.



[ش:] قوله: (حَاشَا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ) هذا استثناء من العموم المستفاد من كل، وذلك أن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيها؛ لأن أصله من عبودية الرق.

وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبه هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج؛ لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة، فجاءت منه بهذا الابن.

فلما شب في أخواله، وبلغ سن التمييز، سافر به عمه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته، فقدم به مكة وهو رديفه، فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبدًا للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب، فعلق به هذا الاسم وركبه، فصار لا يذكر ولا يدعى إلا به، فلم يبق للأصل معنى مقصود، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ»^(١).

وقد صار معظمًا في قريش والعرب، فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم^(٢)، وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده.

وعبد الله: والد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد بني عبد المطلب، وتوفي في حياة أبيه.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: سيرة ابن إسحاق (ص ٢٣)، وسيرة ابن هشام (١/١٤٢)، والكامل في التاريخ

(١/٦١٤ - ٦١٦)، والبداية والنهاية (٢/٣٠٣ - ٣٠٥).

قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب «الدرة السنية في مولد خير البرية»: كَانَ سِنُّ عَبْدِ اللَّهِ حِينَ حَمَلَتْ مِنْهُ أَمَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ عَامًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَمْتَارَ مِنْهَا تَمْرًا لِأَهْلِهِ، فَمَاتَ بِهَا عِنْدَ أَخَوَالِهِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْلٌ عَلَى الصَّحِيحِ. انتهى^(١).

قلت: وصار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أوضعت أمه في كفالة جده عبد المطلب.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وتوفي أبوه عبد الله وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل: أقل من ذلك، وقيل: وهو حملٌ، توفي بالمدينة، وكان قد قدمها ليمتار تمرًا، وقيل: بل مر بها راجعًا من الشام، وعاش خمسة وعشرين سنة.

قال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سنه ووفاته.

وتوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار، وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم، وقيل: ابن أربع سنين.

فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلى جده، فكان في كفالته إلى أن توفي جده، وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمان سنين، فأوصى به إلى عمه أبي طالب. اهـ^(٢).

(١) نقله السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٥٣ - ٥٤)، وتاريخ الإسلام (١/ ٤٩٩ - ٥٠٠).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبه)؛ شيبه الحمد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتسب إلى عبد المطلب، وعبد المطلب عرفنا معناه وسببه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: وصار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أوضعت أمه في كفالة جده عبد المطلب)، لأن أباه قد مات، فكفله جده عبد المطلب ورباه.



عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ قَالَ: «لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، آتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعُنِي أَوْ لَا جَعَلَنَ لَهُ قَرْنِي إِيْلَ فَيُخْرِجُ مِنْ بَطْنِكَ فَيُشَقِّقَهُ، وَلَا فَعْلَنَ وَلَا فَعْلَنَ -يُخَوِّفُهُمَا-، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَذْرَكَهُمَا حُبَّ الْوَلَدِ، فَسَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(١).

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»^(٢).

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْنَ ءَاتَيْنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: «أَشْفَقَا أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا»^(٣)، وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا^(٤).

ش: قوله: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ قَالَ...)، قدمنا نظيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْمَعْنَى.

-
- (١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤ / ٥).
 (٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٢٦ / ١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤ / ٥) بلفظ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ شُرَكَاءَ فِي عِبَادَتِهِ».
 (٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٣ / ٥).
 (٤) انظر: تفسير الطبري (٦٢٠ - ٦٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٣٢ - ١٦٣٤).

قوله: (وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»).

قال شيخنا رَحِمَهُ اللهُ: إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم يقصد حقيقته التي يريد بها إبليس، وهو محمل حسن يبين أن ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله، وهذا معنى قول قتادة: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته».

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»)، وهو من شرك الطاعة؛ حيث أطاعا الشيطان في التسمية، فسمياه عبد الحارث، وليس من شرك العباداة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قال شيخنا رَحِمَهُ اللهُ: إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم يقصد حقيقته التي يريد بها إبليس)، شرك في التسمية لا في العباداة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وهو محمل حسن يبين أن ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله، وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته)، وهو من شرك الطاعة؛ حيث أطاعا الشيطان في هذه التسمية؛ إشفاقاً على الولد.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعْبَدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ.

الثَّانِيَّةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشُّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ اللَّهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتِ السَّوِيَّةِ مِنَ النَّعَمِ.

الخَامِسَةُ: ذَكَرَ السَّلَفُ الْفَرْقَ بَيْنَ الشُّرْكِ فِي الطَّاعَةِ وَالشُّرْكِ فِي

الْعِبَادَةِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعْبَدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ)، تحريم كل اسم معبد لغير الله، وإنما تُعبد الأسماء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَّةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ)، ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، أنه من شرك الطاعة، لا من شرك العبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشُّرْكَ فِي مُجَرَّدِ التَّسْمِيَةِ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا)، مجرد التسمية ولم يقصد حقيقتها، يعني: أنه يعبد من أضيف إليه، وإنما هو يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ اللَّهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتِ السَّوِيَّةِ مِنَ النَّعَمِ)، هبة الله البنت السوية من النعم، نعم الله عَزَّ وَجَلَّ؛ حيث لم تخرج أو تولد على صفة ناقصة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: ذَكَرَ السَّلَفُ الْفَرْقَ بَيْنَ الشُّرْكِ فِي الطَّاعَةِ وَالشُّرْكِ فِي الْعِبَادَةِ)، أن الشرك في الطاعة أخف من الشرك في العبادة؛ لأن

الشرك في العبادة - والعياذ بالله - شرك أكبر، وأما مجرد الشرك في الطاعة فهو شرك أصغر، والشرك الأصغر يقع كثيرًا.

فائدة: ينتشر عند بعض الناس التسمية بعبد النبي أو عبد الرسول أو عبد الحسين، فهل هذا يدل في هذا الباب وحكمه؟
الجواب: بلا شك أنه يدخل في هذا الباب، التعبيد لغير الله هو من الشرك في التسمية.

فائدة: ومن كان اسمه كذلك، هل يلزمه تغييره؟
الجواب: نعم، يغير، من كان اسمه عبْد لغير الله، فإنه يجب تغيير اسمه، فيعبّد له عزَّجَلَّ، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].



٥٠- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: «يُشْرِكُونَ»^(١).

وَعَنْهُ: «سَمَّوْا الْأَلَاتِ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُرَى مِنَ الْعَرِيزِ»^(٢).

وَعَنِ الْأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»^(٣).

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثَرَ»^(٤). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ بْنِ عِينَةَ.

ورواه البخاري عن أبي اليمان عن أبي الزناد عن الأعرج عنه^(٥).

وأخرجه الترمذي عن الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن

مسلم عن شعيب بسنده مثله، وزاد بعد قوله: «يُحِبُّ الْوَثَرَ»، هُوَ اللَّهُ الَّذِي

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْمَطْبُوعِ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٠/٥٩٧-٥٩٨)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٥/١٦٢٣) عَنْ قَتَادَةَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٠/٥٩٧)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٥/١٦٢٣).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٥/١٦٢٣).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤١٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٧).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٣٦، ٦٤١٠، ٧٣٩٢).

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ
الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغُفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ
الْحَفِيفُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ
الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
الْمُخْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ
الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخَّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ
الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنتَقِمُ الْعَفُو الرَّءُوفُ مَالِكُ
الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَعْطِي الْمَانِعُ
النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ»^(١).

قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ، وَلَا نَعْلَمُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ ذِكْرَ الْأَسْمَاءِ، إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث
مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني
عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك،
أي: أنهم جمعوها من القرآن؛ كما رُوِيَ عن جعفر بن محمد وسفيان وأبي زيد
اللقوي، والله أعلم. هذا ما ذكره العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١)، وابن حبان في صحيحه (٨٨/٣)،
٨٩، والحاكم في المستدرک (١/٦٢، ٦٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٤٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥١٥)، ومجموع الفتاوى (٦/٣٧٩)، (٢٢/٤٨٢).

ثم قال: (لِيُعْلَمَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى لَيْسَتْ مَنْحَصَرَةً فِي تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ،
بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة
الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ
إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدُلٌ فِي
قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ،
أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ
رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ،
وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ
سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»، وقد أخرجه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه^(١).

وقال العوفي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قَالَ: «إِلْحَادُ الْمُلْحِدِينَ أَنْ دَعَوْا اللَّاتَ فِي
أَسْمَاءِ اللَّهِ»^(٢).

وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾،
قال: «اشْتَقُوا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَه، واشتقوا الْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٦/٦، ٣٤١/٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٣/٣)، وابن
أبي شيبة في مصنفه (٤٠/٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٩٨/٩)، والطبراني في الكبير
(١٦٩/١٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٧/١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٧/١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٣/٥).

وقال قتادة: «يُلْحِدُونَ: يُشْرِكُونَ»^(١).

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «الإلحاد: التكذيب»^(٢).

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر^(٣)^(٤).

قال الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: (بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠])، اللهُ جَلَّ وَعَلَا أخبر أن له الأسماء الحسنى، قال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، فكل أسماء الله حسنى؛ لأن كل اسم منها له معنى، وليست من قبيل المترادف، وإنما كل اسم منها له معنى، فأسماء الله جَلَّ وَعَلَا ذكر في القرآن منها ما ذكر، وفي الأحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها -أيضاً.

الإيمان بالله يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته.

ومعنى كونها حسنى: أن كل اسم منها يدل على صفة من صفات الله، وليست من قبيل المترادف، وإنما كل اسم منها له معنى خاص به يليق بجلال

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧ - ٥٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣) من الطريق المذكور، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧) من طريق معاوية عن علي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٤٤)، والنهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٣٦)، ومختار الصحاح (ص ٢٨٠)، ولسان العرب (٣/ ٣٨٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٥ - ٥١٦).

الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي القرآن منها الشيء الكثير، يجب الإيمان بها، ويجب الدعاء بها، كل اسم منها يشتق منه صفة، فالرحمن الرحيم يتضمنان معنى الرحمة، الرحمن عام، والرحيم خاص، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فالرحمن رحمة عامة لجميع المخلوقات، والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، أي: توسلوا إلى الله بها، تقول: يا رحمن، ارحمني، يا رزاق، ارزقني، وهكذا، كل اسم تدعو الله به لك ولن تريد من أهلك وإخوانك وعموم المسلمين.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، ﴿وَذَرُوا﴾، يعني: اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، والإلحاد هو الميل، فهم مالوا بها عن معانيها الصحيحة، أو جعلوها أسماء لآلهتهم كالكالات والعزى ومناة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، هذا وعيد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن من ألحد في أسماء الله، مال بها عن معناها الصحيح، وفسرها بتفسير لا يليق بها، فهذا إلحاد بها وميل بها عن معناها الصحيح.

يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَذَرُوا﴾، أي: اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، فلا تلتفتوا إليهم ولا إلى ما يقولون.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ سَيُجْزَوْنَ﴾: هذا وعيد من الله سبحانه لمن ألحد في أسمائه، ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فالواجب إثبات أسماء الله بها دلت عليه من المعاني العظيمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ﴾: يُشْرِكُونَ)، ﴿يُلْحِدُونَ﴾ لها معان، الإلحاد له معان، والمراد بذلك: عموم الميل بها عما دلت عليه إلى معنى لا تدل عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْهُ؛ سَمُّوا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ)، ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ﴾: يفسرونها بغير معناها الصحيح، أو يطلقونها على غيره من الخلق؛ مثلما سموا اللات والعزى.

اللات: بالتخفيف، ويقرأ بالثقل اللات، قيل: إن هذا في الأصل اسم لرجل صالح كان يلت السوق للحجاج من باب التصديق عليهم، هذا أصل اللات^(١). والعزى: شجرات كانت على طريق ما بين مكة والطائف، شجرات كانوا يعبدونها^(٢).

فلما جاء الإسلام، أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اللات، وهو صنم على صورة الرجل الصالح الذي كان يلت السوق للحجاج ويطعمهم إياه، فأرسل إليها من هدمها، وأرسل خالد بن الوليد إلى العزى، فوجد فيها عجوزاً شوهاء، فقتلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّتِ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩] «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلْتُ سَوِيْقَ الْحَاجِّ».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٩/٢٢).

فبذلك قضى الله على هذه المعبودات التي تعبد من دونه، وتقرر التوحيد ببعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهاده حتى أقام الله به الدين وقمع به الشرك والكفر والإلحاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنِ الْأَعْمَشِ: يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا)، وعن الأعمش العالم المشهور سليمان بن مهران: أنهم يدخلون فيها ما ليس منها، ﴿يُكْذِبُونَ﴾، يعني: يدخلون فيها ما ليس منها، وهذا من معاني الإلحاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ تَوَتَّرَ يُحِبُّ التَّوَتَّرَ»)، فهذا مما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، توسل إلى الله بأسمائه وصفاته في دعائك، تقول: يا رحمن، ارحمني، يا عزيز، أعزني بطاعتك، وهكذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ أَحْصَاهَا)، هذه الأسماء، والله من الأسماء غيرها، ولكن هذه الأسماء خاصة أن من أحصاها بمعنى: تعلمها وحفظها، ودعا الله بها، (دَخَلَ الْجَنَّةَ)، هذا وعد من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن أحصى أسمائه وصفاته ودعاه بها أن يدخله الجنة، فهي وسيلة إلى الله يتوسل بها العبد إلى ربه سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ تَوَتَّرَ يُحِبُّ التَّوَتَّرَ)، وهو سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتر، أي: فرد، «يُحِبُّ التَّوَتَّرَ»، أي: يحب هذا الاسم؛ لأنه يدل على عظمة الله ووحدانيته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وزاد بعد قوله: «يُحِبُّ التَّوَتَّرَ»)، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ...، هذه جملة من أسماء الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

وله أسماء استأثر الله جَلَّوَعَلَا بعلمها غير هذه الأسماء، فأسماءه كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، وكل اسم منها يتوسل به إلى الله.

تقول: يا غفور، اغفر لي، يا رحمن يا رحيم، ارحمني، وهكذا، كل اسم منها له معنى خاص به، وكلها تدل على عظمة الله وجلاله سُبْحَانَهُوَعَلَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ)، الحديث الغريب: ما تفرد بروايته شخص واحد^(١).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه)، (مدرج فيه)، يعني: من كلام الراوي، يريد به تفسير أسماء الله سُبْحَانَهُوَعَلَى، وليست من أصل الحديث، وإنما هي من كلام الراوي، فأدرجت مع الحديث.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك. أي: أنهم جمعوها من القرآن)، أخذوها من القرآن، من كلام الله جَلَّوَعَلَا، فسندوها القرآن الكريم؛ لأنها مذكورة فيه، وإنما هم أحصوها وعدوها.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ليُعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين)، أسماء الله كثيرة، ولكن هذه التسعة والتسعين لها خاصية -والله أعلم-، فلذلك أفردت.

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٣٧٤)، ورسوم التحديث في علم الحديث (ص ٨٠)، والباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص ١٦٦)، والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (٤٦٦/٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا)، فأسماء الله كثيرة، ومنها ما سجله العلماء وحفظوه وتناقلوه، ومنها ما هو في الكتاب والسنة، وهذا يدل على عظمة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن كثرة الأسماء والصفات تدل على عظمة المسمى والموصوف بها، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ﴾. قال: «اشتقُّوا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، واشتقُّوا الْعَزَى مِنَ الْعَزِيزِ»)، هذا من الإلحاد في أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أن يُدخل فيها ما ليس منها، وتوضع على المخلوقات؛ اللات من الله، والعزى من العزيز، وهكذا يطلقونها، هذا من الإلحاد بها؛ إطلاقها على غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من مخلوقاته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال قتادة: «يُلْحِدُونَ: يُشْرِكُونَ»)، هذا من معاني الإلحاد، وهو الشرك فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «الإلحاد: التكذيب»)، هذا من معاني الإلحاد، الإلحاد معناه: الميل بها عما دلت عليه. وأنواعه كثيرة مما عمله الملاحدة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحضر)، الإلحاد هو الميل عموماً، فكل من مال إلى الباطل، فقد ألحد، من مال بأسماء الله عن معناها ومدلولها الصحيح إلى معنى لا يليق بالله، فقد ألحد

فيها، ودخل في قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]:
هذا وعيد من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى .

فائدة: مامعنى قوله في الحديث: «أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ»؟
الجواب: يعني: لم يعلمه أحداً من خلقه.

فائدة: هل يجوز الاجتهاد في ذكر اسم الله لم يرد؟
الجواب: لا، لا يجوز هذا.

فائدة: هل يشتق من الصفات أسماء؟

الجواب: نعم، كل اسم يشتق منه صفة، الرحمن الرحيم يدلان على
الرحمة؛ الرحمن رحمة عامة، والرحيم رحمة خاصة، كل اسم من أسماء الله
يشتق منه صفة من أسماء الله، ولذلك كانت أسمائه جَلَّ وَعَلَا حسنى .

فائدة: في الحديث ورد من الأسماء الحسنى: الخافض الرافع، هل لابد
أن تكون مقترنة عند ذكرها، وهل يصح أن يقول: عبد الخافض؟
الجواب: هذه متقابلة، لا يصلح واحداً منها بدون الآخر، الخافض
الرافع، المحيي المميت.



ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(١):

وَحَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ فِيهَا الْمَيْلُ بِالْإِشْرَافِ وَالنُّكْرَانِ
وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَسْمَاءُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّهَا أَسْمَاءٌ وَأَوْصَافٌ تَعْرِفُ بِهَا
تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ، وَدَلَّتْ عَلَى كَمَالِهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَالْإِلْحَادُ إِمَّا بِجَحْدِهَا وَإِنْكَارِهَا، وَإِمَّا بِجَحْدِ مَعَانِيهَا وَتَعْطِيلِهَا، وَإِمَّا
بِتَحْرِيفِهَا عَنِ الصَّوَابِ، وَإِخْرَاجِهَا عَنِ الْحَقِّ بِالتَّأْوِيلَاتِ، وَإِمَّا بِجَعْلِهَا
أَسْمَاءً لِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ كَالْحَادِ أَهْلَ الْإِتِّحَادِ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوهَا أَسْمَاءَ هَذَا الْكُونِ
مَحْمُودَهَا وَمَذْمُومَهَا، حَتَّى قَالَ زَعِيمُهُمْ: هُوَ الْمُسَمَّى بِمَعْنَى كُلِّ اسْمٍ مَمْدُوحٍ
عَقْلًا وَشَرْعًا وَعَرَفًا، وَبِكُلِّ اسْمٍ مَذْمُومٍ عَقْلًا وَشَرْعًا وَعَرَفًا - تَعَالَى عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا - أَنْتَهَى^(٢).

قُلْتُ: وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةُ قَاطِبَةٌ - مُتَقَدِّمُهُمْ وَمُتَأَخَّرُهُمْ -
إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، إِثْبَاتًا بِلا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بِلا تَعْطِيلٍ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَأَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرَعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ يَحْتَدِي حُدُودَهُ وَمِثَالَهُ،
فَكَمَا أَنَّهُ يَجِبُ الْعِلْمُ بِأَنَّ لِلَّهِ ذَاتًا حَقِيقِيَّةً لَا تَشْبَهُ شَيْئًا مِنْ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَلَهُ
سُبْحَانَهُ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ لَا تَشْبَهُ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٥١).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٤).

فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه، فهو جهمي، قد اتبع غير سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وحقيقة الإلحاد فيها الميـ... ل بالإشراك والتعطيل والنكران)، هذا بيت من النونية لابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَحَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ فِيهَا الْمَيْلُ بِالْإِشْرَافِ وَالْإِنْكَارِ وَالْإِنْكَارِ وَالْإِنْكَارِ وَالْإِنْكَارِ

هذا هو الإلحاد في أسماء الله وصفاته، يجمع هذه المعاني، وعموم ذلك: الميل بها عما دلت عليه إلى معنى آخر لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وأسماء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عبادته، ودلت على كماله جَلَّ وَعَلَا)، فهي تشمل على معنيين:

المعنى الأول: أنها تُعرف بالله عَزَّوَجَلَّ وبِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ؛ إذ كثرة الأسماء العظيمة تدل على عظمة المسمى.

وكذلك هي مما يتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بها، تقول: «يا رحمن ارحمني»، توسل بها إلى الله، «يا عزيز أسألك العز بطاعتك»، وهكذا.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب)، الإلحاد هو الميل عموماً، المراد به: الميل بها عما دلت عليه إلى معنى لا تدل عليه، بل تدل على ضده، فهذا من الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

توعد الله من فعل ذلك بقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فالذي يلحد في أسماء الله يفسرها بغير تفسيرها، أو يطلقها على غير الله جَلَّ وَعَلَا هذا من أعظم الإلحاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات)، فالإلحاد له معان كثيرة، ويجمعها الميل بها عما دلت عليه إلى معان لا تدل عليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات، كاللحاد أهل الاتحاد، فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها)، أهل الاتحاد أهل وحدة الوجود^(١)، وهم أكفر الخلق - والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حتى قال زعيمهم: هو المسمى بمعنى كل اسم ممدوح عقلاً وشرعاً وعرفاً، وبكل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً)، هذا من معاني الإلحاد في أسماء الله وصفاته: أن تُفسر بغير معناها، أو تُجعل أسماء للمخلوقات، أو أسماء لهذا الكون كله.

(١) هم الذين يقولون بوحدة الوجود، مذهبهم الذي هم عليه: أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ، وَيُسَمَّوْنَ أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَيَدَّعَوْنَ التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ وَهُمْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ الْخَالِقِ عَيْنَ وُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكُلُّ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ مِنْ حَسَنِ وَقَبِيحٍ وَمَذْهِبٍ وَإِنَّمَا التَّصِفُ بِهِ عِنْدَهُمْ: عَيْنُ الْخَالِقِ وَلَيْسَ لِلْخَالِقِ عِنْدَهُمْ وُجُودٌ مُبَايِنٌ لَوْجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ مُنْفَصِلٌ عَنْهَا أَصْلًا، بَلْ عِنْدَهُمْ مَا تَمَّ غَيْرُ أَصْلًا لِلْخَالِقِ وَلَا سِوَاهُ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمْ: لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ. فَعِبَادُ الْأَصْنَامِ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُ مَا عِنْدَهُمْ لَهُ غَيْرٌ. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٢١-١٢٦).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة، متقدمهم ومتأخرهم إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل)، هذا هو المنهج السليم: إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل؛ فالغلو في الإثبات يكون تمثيلاً، والغلو في التنزيه يكون تعطيلًا، فأهل الحق يتجنبون المعنيين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١])، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: لا أحد يشبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فبعد أن نزه نفسه عن مشابهة المخلوقات أثبت لنفسه السمع والبصر، فهذا يجمع بين الإثبات لله عَزَّجَلَّ صفات الكمال مع تنزيه الله عن الصفات التي لا تليق بالله عَزَّجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فكما أنه يجب العلم بأن الله ذاتاً حقيقية لا تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين، فله سبحانه صفات حقيقية لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقين)، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله)، يعني: نفاه عن الله عَزَّجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أو تأوله على غير ما ظهر من معناه)، أو جحد معناه، هو أثبت الأصل ونفى ما دل عليه هذا الأصل، هذا داخل في الوعيد: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه، فهو جهمي، قد اتبع غير سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥])، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾، يعني: يكون في شق، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شق آخر؛ فهو يخالف ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأن المؤمنين لا يتصفون بهذه الصفات، وهي مشاقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يتبعون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، الذي يؤمن بالله وكلماته، فهم يتبعون الرسول على ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥])، هذا وعيد شديد من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن خالف منهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء بالحق من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فهو لم يقل شيئاً من عنده، وإنما يقول ما قيل له من قبل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا يقول بعض السلف: «أو كلما جاءنا رجل أشدَّ جدلاً من رجل نترك ما جاء به جبريل إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجدل هؤلاء!»^(١).

(١) هذا قول الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٠٧)، =

ش: وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ -أيضاً-:

فائدة جلييلة: ما يجري صفة أو خبراً على الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود.

الثاني: ما يرجع إلى صفاته ونعوته، كالعليم والقدير، والسميع والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله، كالخالق والرازق.

الرابع: التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتاً؛ إذ لا كمال في العدم

المحض، كالقدوس والسلام.

الخامس - ولم يذكره أكثر الناس -: وهو الاسم الدال على جملة أوصاف

عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دال على معان، نحو المجيد العظيم الصمد؛

فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على

هذا، فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه استمجد المرخ والعفار

وأجد الناقة، علفها. ومنه: رب العرش المجيد صفة العرش لسعته وعظمته

وشرفه.

وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترناً بطلب الصلاة من الله على رسوله كما

علمناه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه في مقام طلب المزيد، والتعرض لسعة العطاء، وكثرته

ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك

= وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٦٣)، والحلية لأبي نعيم (٦/ ٣٢٤)، قَالَ

مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا نَزَلَ بِهِ جَبْرِيلُ عَلَى

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِّثِهِ».

أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه.

ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي: «الْطُّوًّا»^(١) بَيَاذًا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٢).

ومنه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٣)، فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده، وأنه لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسؤول! وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغني صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمل؛ فإنه من أشرف المعارف^(٤).

(١) (لَطَّ) اللَّامُ وَالظَّاءُ أَصْلُ صَحِيحٍ يَدُلُّ عَلَى مُلَازِمَةٍ. يُقَالُ: أَلَطَّ الرَّجُلُ بِالشَّيْءِ، إِذَا لَازَمَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «الْطُّوًّا بَيَاذًا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، أَيِ: الزَّمُوا هَذَا وَكَثِّرُوا مِنْهُ فِي دُعَائِكُمْ.

انظر: العين (٨/ ١٥١)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٥٩)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ١٣٨) من حديث ربيعة بن عامر، وأخرجه الترمذي (٣٥٢٤، ٣٥٢٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ٦١، ٢١/ ١٩٢، ٣١٠)، وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي في المجتبى (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) انظر: فائدة جلييلة في قواعد الأسماء الحسنى (ص ١٧-٢٢)، وبدائع الفوائد (١/ ١٥٩-١٦١).

فِيهِ مَسَائِلُ،

الأُولَى: إِبْثَاتُ الْأَسْمَاءِ.

الثَّانِيَّةُ: كَوْنُهَا حُسْنَى.

الثَّالِثَةُ: الْأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا.

الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الْمُلْحِدِينَ.

الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِلْحَادِ فِيهَا.

السَّادِسَةُ: وَعِيدُ مَنْ أَلْحَدَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، يعني: في هذا الباب مسائل؛ (باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأُولَى: إِبْثَاتُ الْأَسْمَاءِ)؛ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، أثبت نفسه الأسماء، وليست مجرد أسماء، بل وصفها بأنها حسنى، الأسماء الحسنى، وكل أسماء الله حسنى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: الْأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا)، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الْمُلْحِدِينَ)، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، ثم توعدهم بقوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وهذا وعيد شديد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِلْحَادِ فِيهَا)، وهو الميل بها عما دلت عليه.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (السَّادِسَةُ: وَعَيْدٌ مَنْ أَلْحَدَ)، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، يعني: هذا وعيد شديد، ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فائدة: في كلام ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ لما ذكر أقسام أسماء الله، قال: الرابع: التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتاً؛ إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام، فما معنى هذا؟

الجواب: كل نفي يتضمن إثباتاً، أما النفي المحض الذي لا يتضمن إثباتاً هذا لا يليق بجلال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فكل نفي فهو يتضمن إثباتاً.



٥١ - بَابٌ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»^(١).

ش: قوله: (بَابٌ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ).

قوله: (فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ... إلخ.

وهذا الحديث رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من حديث شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا إِذَا جَلَسْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ...». الحديث، وفي آخره ذكر التشهد الأخير.

ورواه الترمذي من حديث الأسود بن يزيد عن ابن مسعود، وذكر في الحديث سبب النهي عن ذلك بقوله: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَمِنْهُ السَّلَامُ»^(٢).

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر ثلاثاً، ويقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)، وأبو داود (٩٦٨)، وابن ماجه (٨٩٩)، والنسائي في المجتبى (١١٦٩، ١٢٧٧، ١٢٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الحديث: إن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(١).

وفي التنزيل ما يدل على أن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى يسلم عليهم في الجنة، كما قال تعالى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

ومعنى قوله: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»: إنه - تعالى - سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (بَابٌ: لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ)، كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقولون: السلام على الله من عباده، السلام على جبرئيل وميكائيل، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ»، فنهاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولوا: «السلام على الله من عباده»، وبين أن ذلك لأن الله هو السلام، ومنه السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالسلام من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو السالم من النقائص والعيوب الموصوف بكل كمال وجلال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ»، التحيات هي التعظيمات، «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ»، أي: التعظيمات كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ملكًا واستحقاقًا.

(١) أخرجه أحمد (١٤٩/٣٢)، والطبراني في الكبير (٥٦/١٧، ٥٨، ٥٩)، والأوسط (٢٥٨/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٢/٤، ٢٢٧/١١)، والآجري في الشريعة (١٠٤٠/٢)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٢٤٢/٣) من طريق وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين مرفوعاً، وابن بطة في الإبانة (٧٨/٣) موقوفاً على وهب بن منبه، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٥/١٣، ١٢٥/١٩)، وابن أبي حاتم (٢٢٠٢/٧) عن قتادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ)، نَهَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولُوا: «السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ»، وَيَبَيِّنُ أَنَّ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا يَقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ سَبَبَ النِّهْيِ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَمِنْهُ السَّلَامُ»)، هَذَا مَا وَرَدَ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يَقُولُونَ: «السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ»، فَنَهَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ»، وَالصَّلَوَاتُ هِيَ التَّعْظِيمَاتُ، فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلتَّعْظِيمِ الْمَطْلُوقِ، فَيَقَالُ: التَّحِيَّاتُ، أَيِ: التَّعْظِيمَاتُ كُلُّهَا لِلَّهِ مُلْكًا وَاسْتِحْقَاقًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يَسْتَغْفِرُ ثَلَاثًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»)، هَذَا الْمَشْرُوعُ أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سَلِمَ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عَرِضٌ لِلنَّقْصِ وَالْخَلَلِ، فَالْمُسْلِمُ شُرِعَ لَهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي التَّنْزِيلِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَسْلِمُ عَلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨])، فَالرَّبُّ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَسْلَمُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، فيقول لأهل الجنة: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَّحِيمٍ﴾.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ومعنى قوله: إن الله هو السلام، إنه - تعالى - سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص)، ولذلك لا يقال: «السلام على الله من عباده»، وإنما يقال: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ»، أي: جميع التعظييات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا هو البديل المشروع الذي استمر عليه عمل المسلمين من وقت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون هذا: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ».

هذا في آخر الصلاة يقولون: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»، فيسلمون على كل عبد صالح في السماء أو في الأرض بهذه التحية الطيبة المباركة.



ش: قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: السلام اسم مصدر - وهو من ألفاظ الدعاء - يتضمن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تناقض الجهة الإنشائية، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية، وفيه قولان مشهوران:

الأول: أن الله عَزَّجَلَّ هو السلام، ومعنى الكلام: نزلت بركته عليكم ونحو هذا، فاختر في هذا المعنى من أسمائه عَزَّجَلَّ اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدر بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية.

ومن حجة أصحاب هذا القول: أنه يأتي منكرًا، فيقول المسلم: سلام عليكم، ولو كان اسمًا من أسماء الله، لم يستعمل كذلك.

ومن حجتهم: أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى، وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبرًا ودعاء^(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وفصل الخطاب أن يقال: الحق في مجموع القولين، فلكل منهما بعض الحق، والصواب في مجموعهما، وإنما يتبين ذلك بقاعدة، وهي: أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنی أن يسأل في كل مطلوب

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ١٣٧-١٤٢).

ويتوسل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب، المناسب لحصوله، حتى كأن الداعي متشفع إلى الله تعالى متوسل إليه به، فإذا قال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»^(١)، فقد سأله أمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مقتضيين لحصول مطلوبه.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وقد سأله ما يدعو به-: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٢).

فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتى بلفظها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى، وهو السلام الذي تطلب منه السلامة، فتضمن لفظ السلام معنيين: أحدهما: ذكر الله.

والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم، فقد تضمن سلاماً عليكم اسماً من أسماء الله تعالى، وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة. وحقيقته البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب.

وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذاك قولك: «سلمك الله»، ومنه: دعاء المؤمنين على الصراط: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(٣)، ومنه: «سلم الشيء لفلان»،

(١) أخرجه أحمد (٣٥٠ / ٨)، وأبو داود (١٥١٦)، الترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والنسائي في الكبرى (١٧٢ / ٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٧)، ومسلم (٢٧٠٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

أي: خلص له وحده^(١)، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] أي: خالصًا له وحده، لا يملكه معه غيره.

ومنه: السلم ضد الحرب؛ لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر، ولهذا بني فيه على المفاعلة، فقيل: المسالمة مثل المشاركة.

ومنه: القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب، وحقيقته: الذي قد سلم لله وحده، فخلص من دغل الشرك وغله، ودغل الذنوب والمخالفات، فهو المستقيم على صدق حبه، وحسن معاملته، وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذاب الله، والفوز بكرامته.

ومنه أخذ الإسلام؛ فإنه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلام والانقياد لله، والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربه وخلص له، كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون، ولهذا ضرب سبحانه هذين المثليين للمسلم الخالص لربه وللمشرك به^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا قال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغفور»، فقد سأله أمرين، وتوسل إليه باسمين من أسماؤه، مقتضيين لحصول مطلوبه)، هذا هو البيان الكافي في هذا الأمر، وهو أن هذا اللفظ جامع لكل

(١) انظر: مادة (سلم) في: العين (٧/ ٢٦٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣١٢)، ومقاييس اللغة (٩٠/ ٣).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ١٣٣ - ١٤٣).

أنواع الخير، وكل أنواع البركة، فإذا جاء به المسلم - لا سيما عقب الصلاة -، كان مرجوًا أن يحصل على هذا الخير العظيم الذي يتضمنه هذا اللفظ المبارك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد سأله ما يدعو به: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»)، يعترف العبد على نفسه أنه ظلمها، بمعنى أنه عرض نفسه لغضب الله، فهو يريد أن ينقذ نفسه من ذلك، فيأتي بهذا اللفظ المبارك الطيب الذي علمه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)، فاعفر لي وارحمني، يطلب من ربه المغفرة والرحمة، ثم يتوسل إليه باسمه: «إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»، هذا حريٌّ أن يستجاب منه الدعاء إذا أتى به. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فتضمن لفظ السلام معنيين: أحدهما: ذكر الله، والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم)، «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، فأنت الذي تعطي السلام - وهو السلامة - لعبادك، فهذا هو أجل ما يقال في هذا الموقف، وهو ما بعد السلام من الفريضة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم، فقد تضمن سلامًا عليكم اسمًا من أسماء الله تعالى، وطلب السلامة منه فتأمل هذه الفائدة)،

فائدة عظيمة أن تتوسل إلى الله باسم من أسمائه، فتقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنه: دعاء المؤمنين على الصراط: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»)، يدعونه في أشد الأحوال وأشد الكربات حينما يمشون على الصراط، وهو الجسر المنصوب بين الجنة والنار.

فالمسلمون المؤمنون ينجون من هذا الصراط إلى الجنة، وأما الكفار والمنافقون، فإنهم يسقطون من على هذا الجسر إلى النار -والعياذ بالله-، فهذا الموقف -وهو المرور على الصراط- موقف عظيم، ولهذا يقول الأنبياء في هذا الموقف: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، أي: سلم عبادك المؤمنين في حال المرور على هذا الصراط الذي هو بين الجنة والنار، ومن سقط منهم سقط في النار -والعياذ بالله-، ومن تجاوزه فإلى الجنة، فهذا دعاء عظيم، والأنبياء يدعون الله، فيقولون: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، حين المرور على الصراط.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنه: سلم الشيء لفلان، أي خلص له وحده. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩])، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾، هذا مثل للشرك والتوحيد، فالعبد إذا كان يدعو شركاء كثيرين وبينهم شقاق، فهذا لا يسلم -والعياذ بالله-، وأما إذا دعا إلهًا واحدًا، وتوسل باسم من أسمائه -اللهم أنت السلام ومنك السلام-، فهذا ينجو بإذن الله، ينجو بالمرور على الصراط.

المرور على الصراط، الصراط دحض ومزلة^(١)، وهو بين الجنة والنار،

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣٥/٣٢٨)، والحاكم في المستدرک (٤/٦٥٢)، =

ولكن ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيمرون على الصراط بسلامة إلى الجنة، يعبرون
إلى الجنة، وأما الكفار والمنافقون، فإنهم -والعياذ بالله- يسقطون من هذا
الصراط الذي هو أحر من الجمر، وأدق من السيف، يسقطون إلى النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] أي: خالصًا له وحده لا يملكه معه غيره)،
فالعبد إذا كان يملكه عدة أسياد، فإنه يتحير، ولا يدري من يرضي منهم،
وإذا كان له سيد واحد، فإنه يعرف مقاصده، ويعرف ما يرضيه، فيسهل عليه
الأمر، وينجو من العذاب، ويمر على الصراط بسلامة، يعبر إلى الجنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنه: القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب)،
﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، والقلب السليم هو السالم من
الدغل والعيب.



= وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦١) عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ: «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- وَهُوَ بِالرَّبْدَةِ، وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ شَعْنَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا أَثَرُ الْمُجَاسِدِ
وَالْخُلُقِ، قَالَ: فَقَالَ: «أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَا تَأْمُرُنِي بِهِ هَذِهِ السَّوْدَاءُ؟ تَأْمُرُنِي أَنْ أَتِيَ الْعِرَاقَ،
فَإِذَا أَتَيْتُ الْعِرَاقَ مَالُوا عَلَيَّ بِدُنْيَاهُمْ، وَإِنَّ خَلِيلِي عَهْدٌ إِلَيَّ أَنْ دُونَ جِسْرِ جَهَنَّمَ طَرِيقًا ذَا
دَحْضٍ وَمَزَلَّةٍ، وَأَنَا إِنْ نَأَيْتُ عَلَيْهِ وَفِي أَحْمَالِنَا اقْتِدَارٌ آخَرَى أَنْ نَنْجُو مِنْ أَنْ نَأْتِيَ عَلَيْهِ وَنَحْنُ
مَوَاقِرُ».

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : تَفْسِيرُ السَّلَامِ .

الثَّانِيَّةُ : أَنَّهُ تَحِيَّةٌ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلَّهِ .

الرَّابِعَةُ : الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ .

الخَامِسَةُ : تَعْلِيمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ لِلَّهِ .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، أي: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأُولَى: تَفْسِيرُ السَّلَامِ)، تفسير السلام، وأنه السلامة من العيوب والنقائص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ)، تحية أهل الجنة؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ)، «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»، هذه هي العلة في النهي عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: تَعْلِيمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ لِلَّهِ)، «قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ»، هذا البديل الصالح الذي يقوله المسلم.



٥٢- بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ»^(١).

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاضَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»^(٢).

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ).

يعني: أن ذلك لا يجوز لورود النهي عنه في حديث الباب.

قوله: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ»، وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاضَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»)، بخلاف العبد؛ فإنه قد يعطي السائل مسأله لحاجته إليه، أو لخوفه، أو رجائه، فيعطيه مسأله وهو كاره.

فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين، فإنه - تعالى - لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه محتاج، لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٩) (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٨) (٢٦٧٩).

وفي الحديث: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَفِي يَدِهِ الْأُخْرَى الْقِسْطُ، يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ»^(١).

يعطي تعالى لحكمة، ويمنع لحكمة، وهو الحكيم الخبير، فاللائق بمن سأل الله أن يعزم المسألة، فإنه لا يعطي عبده شيئاً عن كراهة، ولا عن عظم مسألة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ قَوْلٍ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ)، فهذه الكلمة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ» غير لائقة في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونهى عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يقل العبد لله: «اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»، بل يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي»؛ لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، ولا يجعل فيها استثناء؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ»)، فهذه الكلمة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ» فيها محذوران:

(١) حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورد باللفاظ متقاربة، رواه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١١) بلفظ:

«يَدُ اللَّهِ مَلَأَى»، وفيه: «وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»، ورواه مسلم (٩٩٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ»، وكلاهما ليس فيه «الْقِسْطُ».

وروى نحوه ابن ماجه (١٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُ».

أحدهما: أنه يفهم منها أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له من يكرهه على الفعل، والله جَلَّ وَعَلَا لا مكره له، يفعل ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والأمر الثاني: أن هذا الطلب فيه فتور؛ كأنه يقول: إن حصل هذا، وإلا فليس بلازم، «اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»، يعني: إن حصل وإلا فليس بلازم، وهذا لفظ منهى عنه في حق الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يعطيه وهو كاره)، فالمحذور من هذا -والله أعلم- لا يقول لربه: «اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»؛ كأنه يقول: إن حصل المطلوب، وإلا فليس بلازم، مع أنه مضطر إليه، مضطر إلى ما يطلبه من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذا من قبل العبد، يعني: يدعو الله، وهو ليس بحريص، يقول: إن حصل وإلا ليس بلازم، مع أنه في أشد الحاجة إلى ذلك.

والأمر الثاني -وهو أعظم-: أن هذا يفهم منه أن الله يعطي وهو مكره، ولكن يضطره الموقف من أن يترك العبد، وهذا منفي عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا المعنى منفي عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

على كل حال المطلوب أن يعزم في دعائه لربه، ولا يتردد في حصول الطلب؛ فإن الله:

أول شيء: لا مكره له، حتى تقول: إن شِئْتَ.

والأمر الثاني: أن الله يحب أن يرحم عباده، وهو لا يكرهه أحد على ما يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يفعل ما يشاء ويختار.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (بخلاف رب العالمين، فإنه - تعالى - لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام)، وعطاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَلَامُهُ؛ بأن يقول للشيء: «كن»، فيكون، ولا يتردد في إكرامه لعبده إذا دعاه وتوسل إليه وتضرع إليه؛ إنه جواد كريم، يبادر سبحانه بقضاء حاجة عبده، وهو القريب المجيب، السميع البصير، الغني الكريم.

غنيّ كريم: جمع بين الصفتين: أنه غني، وأنه كريم.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وفي الحديث: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً»)، (يَمِينُ اللَّهِ)، أي: الله جَلَّ وَعَلَا كلتا يديه يمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يمين الله (مَلَأَى) بالخير، (لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً)، فهو ينفق.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ رَبُّكُمْ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يُغْضْ مَا فِي يَمِينِهِ»، فالله جَلَّ وَعَلَا ينفق، لا ينقص ما عنده من الخير والفضل والإحسان، بخلاف المخلوق؛ فإنه إذا أنفق نقص ما عنده، وقد ينتهي ما عنده.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وفي الحديث: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً سَخَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»)، (سَخَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)، لأنه جَلَّ وَعَلَا ينفق بالليل والنهار على عباده، ومع هذا لا ينقص ما في يمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل يزيد، وفضله سبحانه يتجدد وخيره يتكاثر، فإذا أنفق، فإنه لا ينقص ما عنده، بخلاف المخلوق، فإنه إذا أنفق نقص ما عنده.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ)، الله جَلَّوَعَلَا ينفق بغير حساب، ولا يغيض ما في يمينه من الخير وما في يمينه من العطاء والكرم والجود، بخلاف المخلوق؛ فإنه إذا أنفق، ينقص ما معه، حتى إنه ربما يتناهى، ولا يبقى معه شيء، أما الله جَلَّوَعَلَا فإنه ينفق، ولا يغيض ذلك ما في يمينه، ويده سحاء بالعطاء الليل والنهار، ماذا أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ لا يحصيه إلا الله، ومع هذا لم ينقص ما في يمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَفِي يَدِهِ الْأُخْرَى الْقِسْطُ، يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ)، القسط وهو العدل بين الناس.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (يعطي تعالى لحكمة، ويمنع لحكمة، وهو الحكيم الخبير)، يعطي تعالى لحكمة، ويمنع لحكمة، فهو سبحانه الحكيم الخبير، وكل تصرفاته وعطاؤه وفضله وإحسانه مبني على الحكمة. والحكمة: وضع الشيء في موضعه^(١).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فَاللَّا تَقْ بَمَنْ سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْطِي عَبْدَهُ شَيْئًا عَنْ كَرَاهَةٍ، وَلَا عَنْ عَظَمِ مَسْأَلَةٍ)، فالله جَلَّوَعَلَا لا يقال له: «اغفر لي إن شئت»، «ارحمني إن شئت»، ليعزم المسألة ويقول: «اللهم اغفر لي»، «اللهم ارحمني»، ويترك لفظة: «إن شئت»؛ لأنها تشعر بأن الله يعطي وهو يكره، أو أن أحدًا يكرهه على أفعاله جَلَّوَعَلَا، وهو العزيز الحكيم، الرؤوف الرحيم، التقدير على كل شيء، الغني الذي لا يغيض الإنفاق ما معه أو ما عنده من الخير والبركات.

(١) انظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص ٧٣).

ش: وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه^(١):

وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

وهذا بالنسبة إلى ما في نفوس أرباب الدنيا، وإلا فإن العبد يعطي تارة ويمنع أكثر، ويعطي كرهاً، والبخل عليه أغلب، وبالنسبة إلى حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم.

وأما ما يعطيه الله تعالى عباده، فهو دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال من حين وضعت النطفة في الرحم، فنعمه على الجنين في بطن أمه دارة، يربيه أحسن تربية، فإذا وضعت أمه، عطف عليه والديه ورباه بنعمه حتى يبلغ أشده، يتقلب في نعم الله مدة حياته.

فإن كانت حياته على الإيمان والتقوى، ازدادت نعم الله تعالى عليه إذا توفاه أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدر قدرها إلا الله، مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين.

وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم - وإن كان بعضها على يد مخلوق -، فهو بإذن الله وإرادته، وإحسانه إلى عبده، فالله تعالى هو المحمود على النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدرها وأجراها عن كرمه وجوده وفضله، فله

(١) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي، ضمن أبيات يمدح فيها سيف الدولة. انظر: اللامع العزيزي (ص ١١٧٣)، والحماسة المغربية (١/ ٥٣٠)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (١/ ٢٤٣).

النعمة، وله الفضل، وله الشاء الحسن، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَنفَرُ إِذَا مَسَّكُمْ الْأُصْرُ فَلِئَهِ يَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣]، وقد يمنع سبحانه عبده إذا سأله لحكمة وعلم بما يصلح عبده من العطاء والمنع، وقد يؤخر ما سأله عبده لوقته المقدر، أو ليعطيه أكثر. فتبارك الله رب العالمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ)، هذا المتنبي. (وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا)، أي: المسائل. (وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ)، وهو الله جَلَّ وَعَلَا (الْعَظَائِمُ)، فهي صغيرة بالنسبة لله جَلَّ وَعَلَا لكمال غناه وكمال رحمته، وكمال جوده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا مَا يَعْطِيهِ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ فَهُوَ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، يَجُودُ بِالنَّوَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ مِنْ حِينَ وَضَعْتَ النُّطْفَةَ فِي الرَّحِمِ، فَنَعْمَهُ عَلَى الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ دَارَةً، يَرْبِيهِ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ، فَإِذَا وَضَعْتَهُ أُمُّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ وَالِدِيهِ وَرَبَاهُ بِنَعْمِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)، هذا ما ينزل من الله من الرحمة والإحسان إلى العبد أولاً: وهو في بطن أمه؛ فإن الله جَلَّ وَعَلَا يراعيه في بطن أمه، ويحفظه حتى يخرج سليماً بالولادة السليمة، ثم يربيهِ بنعمه حتى يكبر ويكسب، يقدر على الكسب، فهو جَلَّ وَعَلَا مع عبده منذ كونه نطفة إلى ما لا نهاية له.

فلا تزال نعم الله على العبد تتوالى منذ كونه في بطن أمه ثم إخراجهِ إلى الدنيا، والله يرزقه، ثم بعد ذلك إذا كبر، فإن فضل الله عليه دارٌ إلى أن ينتهي أجله، والله ينفق عليه، ويقدر له الغنى، ويرفع عنه الفقر، ويكسبه الأموال، كل ذلك من فضله وإحسانه على هذا الإنسان، ولكن الإنسان قل أن يشكر

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويعرف هذه النعم من الله، ويحمده عليها بسبب جهله بالله، وبسبب غفلته عن الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم، وإن كان بعضها على يد مخلوق، فهو بإذن الله، وإرادته، وإحسانه إلى عبده)، والمخلوق إنما هو سبب فقط، وأما المسبب والمتفضل فهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن المخلوق يُحمد على حسب ما يقوم به من الخير وما يقوم به من العمل نحو من يحسن إليه، يُحمد على ذلك بقدر ما يحصل منه من الفضل والإحسان، وأما الحمد المطلق والفضل المطلق فهو من الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فالله تعالى هو المحمود على النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدرها وأجراها عن كرمه وجوده وفضله، فله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن)، ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣])، يعني: تدعون الله جَلَّ وَعَلَا، ترفعون أصواتكم بالدعاء ليزيل الله عنكم هذه الكربة، فأنتم تدعونه لإنزال الخير، وتدعونه لرفع الشر عنكم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وقد يمنع سبحانه عبده إذا سأله لحكمة وعلم بما يصلح عبده من العطاء والمنع)، قد يسأل العبد ربه، فيؤخر الإجابة عنه لحكمة عظيمة لعلمه أن هذا غير مناسب في هذا الوقت، فيجريه له في وقت آخر أحوج ما يكون إليه. فهو يعلم أحوال العبد وما يحتاج إليه في كل حاله، فينزل

عليه الفضل والإحسان في كل أوقاته وساعاته وفي كل أحواله، وهو يعلم
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يَصْلَحُ هَذَا الْإِنْسَانُ وَمَا يَصْلَحُ لَهُ، فيعطيه عن علم وحكمة
وإرادة غالبية جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد يؤخر ما سأله عبده لوقته المقدر، أو ليعطيه أكثر.
فتبارك الله رب العالمين)، ولذلك جاء النهي أن الإنسان يقول: قد سألت
وسألت فلم أرى استجابة لي، ثم يترك الدعاء^(١).

فالله جَلَّ وَعَلَا يحثه على مداومة الدعاء من الله جَلَّ وَعَلَا، ولا ييأس ولا يقنط؛
قد يكون تأخير الإجابة من صالحه، الله أعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما يصلحه، فيؤخر
الإجابة؛ لأن ذلك من مصالحه؛ إذ لو أجابه في الحال لتضرر، فالله أعلم
بمصالح عباده، فعلى العبد أن يدعو ويكثر من الدعاء، ويدوم على الدعاء،
ولا ييأس ويقول: أنا دعوت ودعوت فلم أراه يستجاب لي، فيترك الدعاء.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ
فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي».

ش: وقوله: (وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ»، أي: في سؤاله ربه حاجته، فإنه - سبحانه - يعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا.

«فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»، أي: ليس شيء عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق؛ لأن سائل المخلوق لا يسأله إلا ما يهون عليه بذله، بخلاف رب العالمين، فإن عطاءه كلام: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فسبحان من لا يقدر الخلق قدره، لا إله غيره ولا رب سواه.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقوله: (وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ» أي: في سؤاله ربه حاجته، فإنه - سبحانه - يعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا)، ولا يقول: هذا ما يليق أن أسأل الله هذا الشيء، بل الله جَلَّ وَعَلَا لا يتعاضمه شيء أعطاه، فيعظم الرغبة عند الله، ويعظم المسألة من الله، والله يحب ذلك من عبده، ويقدر على إعطاء عبده ما يليق به وبأحواله، يكل الأمر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يقول: أنا قد دعوت ودعوت، فلم أره يستجاب لي، ثم يترك الدعاء.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: («فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»، أي: ليس شيء عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق؛ لأن سائل المخلوق لا يسأله إلا ما يهون عليه بذله)، الله جَلَّ وَعَلَا يعطي وينفق في الليل والنهار، ولا يعلم مقدار عطاءه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإنه منذ خلق السماوات والأرض ينفق على عباده،

ولا ينقص ذلك مما في يمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بخلاف المخلوق فإنه إذا أنفق، نقص ما عنده، وقد ينتهي ما عنده، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لا تنقص فضله وإحسانه النفقة على عباده.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (بخلاف رب العالمين، فإن عطاءه كلام: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢])، عطاؤه لا يكلفه شيئاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنما يقول للشيء: كن فيكون، ولا ينال الله جَلَّ وَعَلَا في ذلك مشقة كما ينال العبد، وإنما هذا يزيد من كمال الله وجلاله وعظمته.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فسبحان من لا يقدر الخلق قدره، لا إله غيره ولا رب سواه)، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ.

الثانية: بَيَانُ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ.

الثالثة: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةُ».

الرابعة: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ.

الخامسة: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الْأَمْرِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ)، أن يقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ)، وتعليل ذلك: «فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانية: بَيَانُ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ)، لأن «اللَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ»، هذه العلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثة: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةُ»)، ليعزم المسألة ولا يتردد، أو يستحيي من ربه أن يسأله، بل يسأله كل شيء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابعة: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ)، ولا يقول: «إِنْ شِئْتَ، أعطني»، «ارحمني إِنْ شِئْتَ»، بل يعظم الرغبة من الله، ويعزم المسألة، والله جَلَّ وَعَلَا لا مكره له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخامسة: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الْأَمْرِ)، أن «اللَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ»، بل هو يفعل ما يشاء سبحانه.

٥٣- بَابُ: لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمْتِي

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعَمَ رَبِّكَ، وَضَعْتُ رَبِّكَ، وَلَيْقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمْتِي، وَلَيْقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»^(١).

ش: قوله: (بَابُ: لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمْتِي).

ذكر الحديث الذي فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعَمَ رَبِّكَ، وَضَعْتُ رَبِّكَ، وَلَيْقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمْتِي، وَلَيْقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

هذه الألفاظ المنهى عنها - وإن كانت تطلق لغة -، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عنها؛ تحقيقاً للتوحيد، وسدّاً لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأنَّ الله تعالى هو رب العباد جميعهم.

فإذا أطلق على غيره، شاركه في الاسم، فنهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله - تعالى -، وإنما المعنى أن هذا مالك له، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار، فالنهى عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ، وهذا أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب - تعالى -، وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ،

(١) أخرجه البخاري (٢٥٢٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

وهو قوله: «سَيِّدِي وَمَوْلَايَ»، وكذا قوله: «وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمْتِي»؛ لأنَّ العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مریم: ٩٣]، ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك؛ تعظيماً لله - تعالى - وأدباً، وبعداً عن الشرك، وتحقيقاً للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا: «فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»، وهذا من باب حماية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد، فقد بلغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته كل ما فيه لهم نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين، فلا خير إلا دلهم عليه، خصوصاً في تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم عنه - صلوات الله وسلامه عليه -، خصوصاً ما يقرب من الشرك لفظاً، وإن لم يقصد به. وبالله التوفيق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ: لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمْتِي)، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ)، أي: هذا بابٌ.

(لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمْتِي): لا يقول الإنسان لماليكه: هذا عبدي وأمتي؛ لأن العبودية حق لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فهم عباده، كلنا عباد الله جَلَّ وَعَلَا، ولكن يقول: (فَتَايَ وَفَتَاتِي)، فهذا هو البديل الصالح أن يقول بدل: (عَبْدِي وَأَمْتِي)، أن يقول: (فَتَايَ وَفَتَاتِي) لماليكه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعَمَ رَبِّكَ، وَصَّى رَبِّكَ، وَلَيَقُلْ: سَيِّدِي

وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمْتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي)، هذا فيه نهي وفيه إباحة:

النهي: ألا يقول للماليكه: عبدي وأمتي؛ لأن العبودية حق لله، والناس كلهم عباد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم ذكر البديل الصحيح، فقال: (وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي)، يقول للماليكه (فَتَايَ) إن كان ذكرًا، (وَفَتَاتِي) إن كانت أنثى، هذا هو البديل الصحيح.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعَمَ رَبِّكَ، وَضَعْتُ رَبِّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ)، ليقول المملوك لمالكة لسيده: سيدي ومولاي، بمعنى: أنه مالك له، فيقول: سيدي، أو يقول: مولاي، أي: المتولي لشؤوني، لا يقول: أطعم ربك، وضع ربك، لا يقول للملوك: أطعم ربك؛ لأن الربوبية حق لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الرب المالك المتصرف في عباده كما يشاء سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وليقل: سيدي ومولاي، لمالكة يقول: سيدي أو يقول: مولاي، أي المتولي لشؤوني.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمْتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي)، ولا يقول للماليكه: عبدي وأمتي؛ لأن العبودية حق لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وليقل بديل ذلك مما لا حرج فيه أن يقول: «فتاي» لمملوكه، و«فتاتي» لمملوكته، هذا هو البديل الصحيح من الألفاظ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (هذه الألفاظ المنهى عنها - وإن كانت تطلق لغة -، فالنهي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عنها تحقيقًا للتوحيد)، هذا هو الغرض: أن ذلك تحقيق

لتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الرب، فلا يقل: «وضئ ربك»، يعني: سيدك، لا يقل: «أطعم ربك» كذلك، وإنما يقول لمالكه: سيدي ومولاي، كذلك الأمة تقول لمالكها: سيدي ومولاي.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد، وسدّاً لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأنَّ الله - تعالى - هو رب العباد جميعهم)، الرب إذا أُطلق، فإنه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، رب العالمين للجميع، رب لفلان وفلان من الأفراد، فالربوبية خاصة بالله سبحانه، فتجنب هذه الألفاظ؛ لأن فيها محذوراً شرعياً؛ حيث أُطلقت على من لا تصلح له من الخلق.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (لأنَّ الله - تعالى - هو رب العباد جميعهم. فإذا أُطلق على غيره شاركه في الاسم فينهى عنه لذلك)، شاركه في الاسم، وهذا مكروه من هذه الناحية، وهي المشاركة في الاسم، وإن كان قائل هذا لا يقصد حقيقتها، فتجنباً للمحذور حتى في الألفاظ يؤتى بالبديل الصالح الذي لا محذور فيه.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله - تعالى)، هذا وإن كان ليس على حقيقته، ولكن تجنباً للألفاظ التي لا تليق بال مخلوق، وإنما هي تطلق على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا من تحقيق التوحيد، وتجنب الشرك حتى في الألفاظ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فالنهى عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ)، هذا هو المقصود من

تجنب هذه الألفاظ وإطلاقها على المخلوق، وهي في الواقع لا تليق إلا بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا من تحقيق التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب -تعالى-، وبعده عن مشابهة المخلوقين)، حتى في الألفاظ تتجنب ما فيه اشتباه، فيكون ما يليق بالله خاصًا بالله، وما يليق بالمخلوق يكون خاصًا بالمخلوق، فتحصل الفائدة، ويتجنب المحذور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأرشدكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ، وهو قوله: «سَيِّدِي وَمَوْلَايَ»)، وهكذا إذا نهى عن شيء، فإنه يأتي بالبديل الصحيح، ولا ينهى عنه، ولا يأتي ببديل له، فلما لم يجوز أن يقول للسيد: وضئ ربك، أطعم ربك، فإنه يأتي بالبديل، فيقول: سيدك، أو مالِكك، أو ما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذا قوله: «وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمْتِي»؛ لأنَّ العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله)، ولا يقل السيد والمالك لمملوكه: عبدي، ويقول: لمملوكته: أمتي؛ لأن هذه الألفاظ لا تليق إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيأتي بالبديل الصالح، وهو أن يقول: فتاي وفتاتي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣])، العبيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والخلق كلهم عباد الله جَلَّ وَعَلَا، فلا يقول للمخلوق هذا اللفظ الذي لا يصلح إلا للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك، تعظيماً لله تعالى وأدباً، وبعداً عن الشرك وتحقيقاً للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا: «فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»)، وهكذا إذا كان العالم أو الداعية إلى الله يريد تجنب الناس الألفاظ التي لا تليق بهم والتي هي من اللاتقية بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنه لا ينهاهم ويتركهم، بل يأتي بالبديل الذي لا محذور فيه، البديل الصحيح الذي لا محذور فيه، فلا يقول: عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي وفتاتي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا من باب حماية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد)، هذا حماية للتوحيد، وإن كان القائل لا يقصد حقيقة معنى هذا اللفظ، ولكن حتى في الألفاظ التي فيها اشتباه، فإن المسلم يتجنبها، وإذا تجنبها، يأتي بالبديل الصالح، فيقول: فتاي وفتاتي بدل أن يقول: عبدي وأمتي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقد بلغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته كل ما فيه لهم نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين)، هذا كان من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه جنب أمته كل ما فيه معنى لا يليق بهم، وأرشدهم إلى اللفظ البديل الصالح، فلا يقول: عبدي وأمتي، ولكن ليقول: فتاي وفتاتي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا خير إلا دلهم عليه، خصوصاً في تحقيق التوحيد)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالتوحيد الخالص لله عَزَّوَجَلَّ ودعوته إلى ذلك، ونهى أمته عن استعمال الألفاظ التي فيها اشتباه في المعنى، وإن كانوا لا يقصدون

الحقيقة، ولكن حتى الألفاظ التي فيها اشتباه، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جنبهم إياها؛ تحقيقاً للتوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا شر إلا حذرهم عنه - صلوات الله وسلامه عليه - خصوصاً ما يقرب من الشرك لفظاً، وإن لم يقصد به)، فنهاهم عن الشرك، ونهاهم عن الألفاظ التي فيها اشتباه؛ حماية للتوحيد وتحقيقاً له، حتى الألفاظ التي يفهم منها أو تدل على ما لا يليق بالمخلوق نهاهم عنها؛ تحقيقاً للتوحيد، وتجنبياً لما يخالفه أو ينقصه، أو يوهم خلاف الحق.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلٍ: عَبْدِي وَأَمْتِي.

الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ الْعَبْدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطْعِمَ رَبَّكَ.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيمُ الْأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَعُلاَمِي.

الرَّابِعَةُ: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ.

الخَامِسَةُ: التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي الْأَلْفَاظِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، يعني: في هذا الباب، من عادة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ

أنه إذا فرغ من الباب يأتي بما فيه من فوائد في التوحيد والعقيدة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلٍ: عَبْدِي وَأَمْتِي)؛ لأن العبودية حقٌّ

لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى وإن كان لا يقصد بذلك حقيقة اللفظ، وذلك لأجل

تجنب الناس الشرك وألفاظه وإن كانوا لا يقصدونها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ الْعَبْدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطْعِمَ رَبَّكَ)،

لا يقول العبد لسيده ومالكة: «ربي»؛ لأن هذا فيه تلبيس، وفيه إطلاق لفظ

في غير محله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: تَعْلِيمُ الْأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَعُلاَمِي)، يقول

المالك: «فتاي وفتاتي»، بدل أن يقول: «عبدِي وأمْتِي»؛ لأن «فتاي وفتاتي»

ليس فيهما محذور شرعي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ)، تعليم

الثاني - وهو العبد المملوك - يقول للمالكة: «سيدي ومولاي»، بدل أن

يقول: «ربي».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْخَامِسَةُ: التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي الْأَلْفَافِ)، تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ، وإن كان لا يقصد معناها، فيتجنب الألفاظ؛ حماية للتوحيد، وتجنباً للناس أن يتلفظوا بألفاظ فيها اشتباه.



٥٤- بَابُ : لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ^(١) .

ش: قوله: (بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ).

ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله، لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل، بحسب ما ورد في الكتاب والسنة، فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق - كبيت المال - أن يجاب، فيعطى منه على قدر حاجته، وما يستحقه وجوباً.

وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل، فيجب أن يعطيه ما يدفع حاجته على حسب حاله ومسألته.

وأما إذا سأل من لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه على قدر حال المسؤول ما لا يضر به ولا يضر عائلته، وإن كان مضطراً، وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٦٥)، وفي المجتبى (٢٥٦٧)، وأحمد في المسند (٩/ ٢٦٦، ٥١٦، ١٠/ ٣٣، ٢٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩٧)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٧٣) وصححه، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح، فالأول محمود في الكتاب والسنة، والثاني مذموم فيهما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ: لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ)، فمن سأل بالله، وجب تحقيق طلبه؛ لأنه سأل بالله عَزَّوَجَلَّ، وفي الحديث: «مَنْ سَأَلَكَم بِاللَّهِ؛ فَأَجِبُوهُ»، أو ما هذا معناه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ»)، استعاذ بالله من شر الأشرار أو الأذى، فإنه تجب إعاذته، أي: بأن لا يصل إليه شيء من الأذى أو المحذور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ، فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ، فَأَعْطُوهُ)، ثلاثة هذه الألفاظ: (مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ، فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ، فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ، فَأَجِبُوهُ)، يعني: دعاكم إلى كرامة عنده أو إلى طعام عنده، فإن له الحق في أن تجيبوه؛ تحقيقاً لطلبه، وجبراً لخاطره، وهذا من مقتضى الإخوة في الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ)، أي: أعطوه مكافئة تليق بهذا الطلب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق - كبيت المال - أن يجاب، فيعطى منه على قدر حاجته، وما يستحقه وجوباً)، النوع الأول:

إجابة السائل بالله، إذا سأل من بيت المال، فإنه تجب إجابته؛ لأن له حقاً في بيت المال، كل مسلم من الرعية، فإن له حقاً في بيت مال المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل، فيجب أن يعطيه ما يدفع حاجته على حسب حاله ومسألته)، كذلك إذا سأل المحتاج شيئاً له فيه منفعة ومصلحة، فإنه تجب إجابته إذا سأل بالله؛ «مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ، فَأَعْطُوهُ»؛ تعظيماً لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى: أن له حقاً في هذا المال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما إذا سأل من لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه على قدر حال المسؤول ما لا يضر به ولا يضر عائلته)، المقصود أن من سأل بالله وجبت إجابته؛ تعظيماً لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأيضاً إذا كان هذا السائل له حق في هذا المال؛ كأن يكون من بيت مال المسلمين، فإن له حقاً فيه تجب إجابته، وإعطائه ما سأل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإن كان مضطراً، وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته)، إذا كان مضطراً إلى هذا الشيء الذي طلبه، وسأله، فإنه يجب أن يعطى ما يدفع ضرورته؛ تحقيقاً للإخوة الإسلامية، ودفعاً لحاجة هذا السائل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين)، مقام الإنفاق على المحتاجين من أشرف مقامات الدين؛ لأنه من التعاون على البر والتقوى، ومن دفع حاجة المحتاج.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح)، مقام الإنفاق على المحتاجين والسائلين من أعظم مقامات الدين؛ لأنه من التعاون على البر والتقوى، ومن دفع حاجة المحتاج، وهذا من موجب الإخوة الإسلامية، ومن موجب التعاون على البر والتقوى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح، فالأول: محمود في الكتاب والسنة، والثاني مذموم فيهما)، يعني: البخل والشح مذموم في الكتاب والسنة، وكذلك الجود والعطاء والإنفاق هذا محمود في الكتاب والسنة.



ش: وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق؛ لعظم نفعه وتعيده، وكثرة ثوابه، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧، ٢٦٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق؛ لعظم نفعه وتعيده، وكثرة ثوابه، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾)، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾، يعني: الرديء، ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، يعني: تقبلونه على كره، ولا ترغبون فيه. فهكذا المسلم الذي أنعم الله عليه وأعطاه من المال فللسائلين حق في هذا المال يدفعه إليهم، وذلك مما ينمي ماله، وينزل فيه البركة، بخلاف البخل؛ فإنه يبغض الشخص حتى إلى أولاده، أولاده يبغضون أباهم البخل، فالكرم يحب الشخص إلى أصداده، والبخل يبغض الشخص إلى أولاده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧])، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: هذا نداء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿أَنْفِقُوا﴾، أي: تصدقوا وأخرجوا.

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: من الحلال الطيب النافع.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾: الخبيث هنا الرديء من المال.

﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾: لو أعطاكم أحدٌ من هذا المال الرديء، لم ترضوه، ولم تقبلوه إلا على كره.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾: لو دفعه إليكم دافع، فإنكم لا تقبلونه، ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: إلا على مضض وكره، فلا تقصدوا الرديء من المال منه تنفقون، ولكن اقصدوا الطيب من المال والجيد من المال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧])، والله جَلَّ وَعَلَا غني حميد، محمود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله غنيٌّ عن هذا المال الرديء، فلا تنفقوا منه على المحتاجين، ولكن أنفقوا من الجيد الطيب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨])، الشيطان: إبليس -لعنه الله- وكل من اتصف بصفات الشيطان.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾: يخوفكم بالفقر، لو انفقتم من المال الشيطان يخوفكم الفقر، وأما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه يحثكم على الصدقة وعلى بذل المال، وإعطاء المحتاجين؛ ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، يعني: منع الزكاة، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، أي: يأمركم بمنع الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم، ﴿وَفَضْلًا﴾ في أموالكم بأن ينميها لكم ويزيدها بالإنفاق، فالمال الطيب يزيد بالإنفاق ولا ينقص، في الحديث: «مَا نَقَصَ مَالٌ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»^(١)، بل تزيده، بل تزيده، بل تزيده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، واسع الفضل، واسع الإحسان، واسع الخير، عليم بما يصلح العباد والبلاد.



(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، والطبراني في الكبير (٣٤١ / ٢٢) من حديث أبي كبشة الأنباري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ش: وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وذلك الإنفاق من خصال البر المذكورة في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية، فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة، وذلك - والله أعلم - لتعدي نفعه.

وذكره - تعالى - في الأعمال التي أمر الله بها عباده، وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فَرُوحَهُمْ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧])، يأمر الله جَلَّ وَعَلَا عباده المؤمنين بأن ينفقوا من المال الذي أعطاهم إياه، فهم مستخلفون فيه، وهذا المال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، ويمنعه

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥])،

فذكر المتصدقين والمتصدقات مع هؤلاء الطيبين الذين وصفهم بهذه الصفات العظيمة، وأنه وعدهم - سبحانه - مغفرة منه لذنوبهم وأجرًا عظيمًا لا يقدر قدره إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



ش: وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء^(١)؛
نصحاءً للأمة وحثاً لهم على ما ينفعهم عاجلاً وآجلاً.

وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالإيثار، فقال تعالى:
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، والإيثار من أفضل خصائص المؤمن
كما تفيد هذه الآية الكريمة.

وقد قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا
نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿[الإنسان: ٨، ٩]، والآيات والأحاديث
في فضل الصدقة كثيرة جداً، ومن كان سعيه للأخرة، رغب في هذا ورغب،
وبالله تعالى التوفيق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحث أصحابه على الصدقة حتى
النساء)، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء، قال:
«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ»^(٢)، فتصدقن - رضي الله عليهن -
بما عليهن من الحلي لما سمعن كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبادرن إلى امتثال
أمره وترغيبه.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٩٧٨)، ومسلم (٨٨٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠) من زينب امرأة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء نصحاء للأمة وحثاً لهم على ما ينفعهم عاجلاً وآجلاً)، لأن الصدقة ودفع الزكاة، الصدقة الواجبة والصدقة المستحبة فيها خير عظيم يعود على المتصدقين والمنفقين؛ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد أثنى الله - سبحانه - على الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالإيثار، فقال تعالى: ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩])، أثنى الله جلَّ وعَلا على الأنصار من أهل المدينة؛ لأنهم يؤثرون على أنفسهم، يؤثرون المحتاجين على أنفسهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، يعني: بهم حاجة إلى المال، فيؤثرون إخوانهم به على أنفسهم، هذا دليل على قوة الإيمان، وعلى صدق الإخوة فيما بين المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ﴾ بأن يقيه الله جلَّ وعَلا ويعينه من شح نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، فالنفوس شحيحة، ولا يقاوم هذا الشح إلا صدق الإيمان والتصديق بما وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المتصدقين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ٨) إِنَّمَا تُطْعِمُكَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿[الإنسان: ٨، ٩]﴾، هكذا المؤمن ينفق من ماله يريد ثواب الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يريد مدحاً من المعطى،

ولا يريد منه جزاء؛ بأن يرد عليه مثلما أنفق عليه أو أحسن، بل يريد ثواب الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدًا، ومن كان سعيه للآخرة رغب في هذا ورغب)، من كان سعيه للآخرة يريد ثواب الله، فإنه يرغب في الصدقة والإنفاق، ويعد بالخير، بخلاف المنافق والكافر؛ فإنهما يأمران بالفحشاء، الشيطان يأمر بالفحشاء، وهو منع الزكاة، والتي هي ركن من أركان الإسلام.



قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ»)،
هذه جمل عظيمة قالها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطب أُمته:

الأولى: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ»، الاستعاذة معناها: اللجوء إلى
المستعاذ من أمر مكروه، وهنا يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ
فَأَعِيدُوهُ» مما استعاذ منه، يعني: امنعوا عنه الشيء الذي استعاذ بالله منه،
لا تؤذوه به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ، فَأَعْطُوهُ»)، هذا من باب القسم، إذا
قال: أسألك بالله، يعني: يقسم عليك بالله أن تعطيه ما سألت، قال الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَعْطُوهُ»، يعني: أعطوه ما سألكم؛ تعظيماً لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى،
وإبراراً للقسم السائل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»)، «وَمَنْ دَعَاكُمْ» إلى وليمة
أو إلى أي شيء يقدمه لمن دعاهم، «فَأَجِيبُوهُ»؛ لأن هذا من حق المسلم على
المسلم، وهو دعاكم لإكرامكم، فأجيبوه؛ جبراً لحاطره، وتحقيقاً لطلبه، وهذا
من حق المسلم على المسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا، فَكَافِئُوهُ»)، «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ
مَعْرُوفًا»، أي معروف. «فَكَافِئُوهُ»، يعني: ردوا عليه بمثل كافاكم.

«فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا»، أي: تظنوا «أَنْكُمْ قَدْ
كَافَأْتُمُوهُ» على معروفه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ،
يعني: في سننه. وَالنَّسَائِيُّ: أَيضًا فِي سَنَنِهِ.



ش؛ ش: قوله: «وَمَنْ دَعَاكُمْ، فَأَجِيبُوهُ»، هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين.

قوله: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا، فَكَافِئُوهُ»؛ ندبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المكافأة على المعروف، فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله؛ كما دل عليه هذا الحديث، ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس، وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة؛ كما يقع كثيرًا من بعضهم - نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة!

بخلاف حال أهل التقوى والإيمان؛ فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه؛ كما قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿ [المؤمنون: ٩٦-٩٨]، وقال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»)، هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين

المسلمين)، من دعاكم إلى وليمة أو إلى أي شيء يقدمه لكم فأجيبوه؛ لأن هذا من حق المسلم على المسلم، وهذا لإزالة ما قد يكون في الصدور من البغضاء، فهذا فيه غسلٌ لهذه الخصلة الذميمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ»، ندبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المكافأة على المعروف)، «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا»، أيّ معروف، «فَكَافِئُوهُ»، يعني: أعطوه ما يعادل معروفه الذي صنعه إليكم؛ لأن هذا من إبقاء المحبة بين المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله)، هذا من المروءة التي يحبها الله ورسوله، «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا» أيّ معروف، فإنك يجب عليك أن تكافئه، فإذا لم تجد ما تكافئه به، فإنك تدعوه بالخير، «حَتَّى تَرَوْا»، أي: تظنوا «أَنَّكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس)، لا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام، أما الكرام فإنهم يكافئون على المعروف ولو بالدعاء، إذا لم يجدوا شيئاً، فبالدعاء له بالخير؛ لقاء معروفه، قد يكون الدعاء بالخير خيراً من المكافأة المادية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة، كما يقع كثيراً من بعضهم)، بعض اللئام: جمع لئيم من اللؤم، وهو خصلة ذميمة، بعض اللئام لا يكافئ على المعروف، هذا عمل مذموم

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبعض اللثام يكافئ على الإحسان بالإساءة، كما يقع كثيراً من بعضهم)، بل بالعكس بعض اللثام يكافئ على الإحسان بالإساءة بالضد، وهذا من خصال اللثام والمنافقين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بخلاف حال أهل التقوى والإيمان، فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه)، يدفعون الخصال الذميمة بالخصال الطيبة، فيدفعون الإساءة بالإحسان، وهذا دليل على قوة إيمانهم ومحبتهم للخير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ١٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨]، يقول الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾، فلا ترد على اللئيم باللؤم، وإنما ترد عليه بالإحسان، وهذه خصلة طيبة من خصال المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾)، ﴿وَقُلْ﴾ أيها المسلم، هذا خطاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خطاب لكل مسلم، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ١٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿﴾ [المؤمنون: ٩٦، ٩٧]؛ لأن الشيطان يحث على اللؤم وعلى الأذى وعلى الخصال الذميمة؛ لقصد أن يضر بني آدم؛ لأنه عدو؛ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾)، ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ﴾: جمع همزة، والهمزة: الدفع اليسير، الدفع برفق ويسر.

والشيطان يهزم المؤمن ليوقة في الشر، فهو يهزمه؛ لأجل أن يسيء إلى خصمه أو حتى إلى صديقه، هذا ما يأمر به الشيطان، والله يأمر بالإحسان؛ ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ﴿[المؤمنون: ٩٦، ٩٧]: جمع همزة.

﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: الهمز واللمز هذا من عمل الشيطان. قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، الذي يهزم ويلمز. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨]، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾، يعني: عند الوفاة؛ لأن الشيطان يحضر المسلم عند وفاته؛ ليصرفه عن الحق، ويختتم بعمل سيء أو قول سيء؛ لأنه عدو.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤])، هذا ما يسببه الدفع بالأحسن. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤])، يقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، يعني: ادفع الإساءة بالإحسان، هذا من خصال المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ [فصلت: ٣٤])، هذه الثمرة، هذه ثمرة دفع السيئة بالحسنة: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، ينقلب عدوك إلى صديق بسبب الإحسان، والدفع بالتي هي أحسن.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿وَمَا يُلْقَنَّهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥]، وما يُلقى هذه الخصلة، وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: عندهم صبر وحبس للنفس، الصبر هو الحبس، حبس النفس عن المكروه.

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾: هذه النتيجة الطيبة، ﴿كَانَتْهُ وَلِيٌّ﴾، يعني: صديق ﴿حَمِيمٌ﴾: صديق متأكد الصداقة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿وَمَا يُلْقَنَّهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَّهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، وما يُلقى هذه الخصلة الطيبة - وهي دفع الإساءة بالإحسان -، ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: صبروا على ما أصابهم من السيئة، يصبرون على ذلك من الأذى.

﴿وَمَا يُلْقَنَّهَا﴾، أي: يُعطاها ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة)، أصحاب الحظ العظيم من هم؟ هم الذين سبقت لهم من الله سبحانه السعادة.



ش: قوله: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ»، أرشدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف، فيدعو له على حسب معروفه.

قوله: «حَتَّى تَرَوْا» -بضم التاء-: تظنوا «أَنْكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ»، ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى: تعلموا، ويؤيده ما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «حَتَّى تَعْلَمُوا»^(١)، فتعين الثاني للتصريح به.

وفيه: «مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَجِيبُوهُ»، أي: إلى ما سأل، فيكون بمعنى: أعطوه، وعند أبي داود في رواية أبي نهيك^(٢) عن ابن عباس: «وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ، فَأَعْطُوهُ»^(٣).

وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث: «وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ»، كما في حديث ابن عمر^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٥١٠٩).

(٢) هو أبو نهيك الأزدي الفراهيدي البصري، صاحب القراءات، اسمه: عثمان بن نهيك، روى عن عبد الله بن عباس، وأبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري، وروى عنه حسين بن واقد المروزي، وزيد بن سعد، وغيرهما. انظر: تهذيب الكمال (٣٤ / ٣٥٥)، وتاريخ الإسلام (٣ / ١٩٨)، وتهذيب التهذيب (٧ / ١٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٠٩).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِتُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ»، أرشدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف فيدعو له على حسب معروفة)، فإذا لم يجد شيئاً من المال يدفعه لخصمه أو صديقه، فإنه يدعو له، قد يكون الدعاء أعظم من المال؛ «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِتُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا»، أي: تظنوا «أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعند أبي داود في رواية أبي نهيك عن ابن عباس: «وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ، فَأَعْطُوهُ»)، إذا سأل بوجه الله، فإنه لا يجوز رده، بل يجاب؛ لأن هذا قسم، سألكم بالله، يعني أقسم عليكم بالله جَلَّ وَعَلَا.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: إِعَادَةُ مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ.

الثَّانِيَةُ: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ.

الثَّالِثَةُ: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ.

الرَّابِعَةُ: الْمُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ.

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «حَتَّى تَرَوْنَ أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: إِعَادَةُ مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ)، المسألة الأولى: وجوب إِعَادَةِ مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يتزوج امرأة، فقالت لها زوجات الرسول: إذا دخل عليك، فقولِي: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ؛ فإنه يزيدك محبة عنده. فلما دخل عليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ عُنُذْتُ بِعَظِيمٍ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ»^(١)، فهن خدعنها بهذا الكلام، وواجهت به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجدت من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أعادها بالله، ولم يبين بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ)؛ لأنه قسم، إذا قال: أسألك بالله، يعني: أقسم بالله عليك أن تعطيني كذا، فهو أقسم عليك.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الثَّالِثَةُ: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ)؛ إجابة الدعوة إذا دعاك إلى بيته، أو إلى وليمة، فإنك تحببه؛ جبراً لخاطره، حتى ولو كنت صائماً، فإنك تحضر، فإن كان الصيام تطوعاً، فإنك تفطر؛ تحقيقاً لطلبه وجبراً لخاطره، وإن كنت غير صائم، فإنك تتناول مما يقدمه لك ولغيرك.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الرَّابِعَةُ: الْمُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ)، المكافأة على الصنعة الطيبة؛ فإن الحق في ذلك أن تكافئه عليها.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الخَامِسَةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ)، فإن لم تجد ما تكافئه به، فادع له، فالدعاء يقوم مقام المكافأة، بل هو أعظم من المكافأة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: حَتَّى تَرَوْنَ أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ)، «فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا»، أي: تظنوا «أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»، يعني: أكثروا له من الدعاء حتى تظنوا أو يغلب على ظنكم أنكم قد كافأتموه على صنيعه.



٥٥- بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ، إِلَّا الْجَنَّةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١).

ش: قوله: (بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ).

ذكر فيه حديث جابر، رواه أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ، إِلَّا الْجَنَّةُ».

وهنا سؤال، وهو أنه قد ورد في دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ إِنِّيكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَهِي مَنْ تَكَلَّمْتُ، إِلَهِي بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَهِي عَدُوِّ مَلِكْتِهِ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي غَيْرَ أَنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي»، وفي آخره: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» (٢).

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء (ص ٣١٥)، وفي الكبير (٧٣/١٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٧٥)، والضياء المقدسي في المختارة (٩/١٧٩-١٨١) من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ)، لأن وجه الله عظيم، فلا تسأل به شيئاً لا يصل إلى عظمة وجه الله جَلَّ وَعَلَا، فأنت سألت بشيء عظيم، وهو وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن سئل بذلك، فإنه يحقق إجابة من سأل، ولكن ليس كل شيء يسأل بوجه الله من أطماع الدنيا، وإنما يسأل بوجه الله أعظم شيء، وهو الجنة؛ لأن وجه الله عظيم، فلا يسأل به إلا شيء عظيم، وهو الجنة؛ أعظم شيء هو الجنة، وهذا تعظيم لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ»؛ لأن وجه الله عظيم، لا أعظم منه، فلا يسأل به شيئاً حقيراً أو شيئاً قليلاً، وإنما يسأل به أعظم شيء وهو الجنة، فهذا تعظيم لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهنا سؤال، وهو أنه قد ورد في دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهل الطائف)، ذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهل الطائف، لما أساء إليه أهل مكة، ذهب إلى الطائف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ليدعوهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فقابلوه بأسوأ، ورموه بالحجارة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حتى أدموا عقبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ((أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ))، هذا هو الدعاء المشهور بدعاء الطائف، الذي دعا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما قابله أهل الطائف بالغلظة والشدة، وأسأوا إليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

[ش:] والحديث المروي في الأذكار: «اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ»، وفي آخره: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»^(١)، وفي حديث آخر: «أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَبِاسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِكَلِمَاتِهِ التَّامَّةِ، مِنْ شَرِّ السَّامَةِ وَاللَّامَةِ، وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتَ -أي: رَبِّ- وَمِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ وَمِنْ شَرِّ مَا بَعْدَهُ، وَمِنْ شَرِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٢).

وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

فالجواب: أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة، أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله، وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة؛ كما في الحديث الصحيح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»^(٣)، بخلاف ما يختص بالدنيا؛ كسؤال المال، والرزق، والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦٤)، وفي الدعاء (ص ١٢٠) من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٥، ٦/ ٣٦)، والبيهقي في الأساء والصفات (٢/ ١١٢)، وابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف (١/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤١/ ٤٧٤، ٤٢/ ٦٧)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، والطبراني في الدعاء (ص ٤٠١)، والحاكم في المستدرک (١/ ٧٠٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله، وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث - كما لا يخفى -، والله أعلم.

وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى؛ فإنه صفة كمال، وسلبه غاية للنقص، والتشبه بالناقصات؛ كسلبهم جميع الصفات أو بعضها، فوقعوا في أعظم مما فروا منه - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً!

وطريقة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، على ما يليق بجلال الله وعظمته، فيثبتون له ما أثبتته لنفسه في كتابه، وأثبتته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينفون عنه مشابهة المخلوق، فكما أن ذات الرب - تعالى - لا تشبه الذوات، فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاهها، فقد سلبه الكمال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالجواب: أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة، أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله، وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة)، فتوافقت الأحاديث والآثار كلها على تعظيم وجه الله سبحانه، وأنه لا يُسأل به إلا الجنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله)، لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة؛ لأن وجه الله عظيم، فلا يُسأل به إلا شيء عظيم، وأعظم شيء هو الجنة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وحدِيث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى، فإنه صفة كمال، وسلبه غاية للنقص)، في الحديث إثبات الوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على ما يليق بعظمته - سبحانه - وجلاله.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (كسلبهم جميع الصفات أو بعضها، فوقعوا في أعظم مما فروا منه - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً)، يعني: الذين ينفون صفات الله عَزَّوَجَلَّ بزعمهم فراراً من التشبيه، فهذا باطل، والله جَلَّوَعَلَا أثبت لنفسه الوجه، وهو - سبحانه - أعلم بما يليق به، الوجه من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كالإثنين من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وطريقة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته)، بهذا القيد: على ما يليق بجلال الله وعظمته.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فكما أن ذات الرب - تعالى - لا تشبه الذوات، فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها، فقد سلبه الكمال)، من نفى صفات الله، فقد نفى صفات الكمال عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ووصفه بالنقص - تعالى الله عن ذلك -، فنحن نثبت ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وننفي عنه ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو طريق السلامة طريق الحق.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا غَايَةَ الْمَطَالِبِ.

الثَّانِيَّةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْوَجْهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا غَايَةَ الْمَطَالِبِ)،
النهي عن أن يُسْأَلَ بوجه الله الشيء الحقير أو الشيء الدنيء، وإنما يُسْأَلَ به
الشيء العظيم، وهو الجنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَّةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْوَجْهِ)، إثبات صفة الوجه لله، صفة
ذات من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



٥٦- بَابُ مَا جَاءَ فِيهِ (لَوْ)

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِيهِ (لَوْ)).

أي: من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر؛ لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات مما لا يمكن استدراكه، فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة، وهو الصبر على ما أصاب العبد مما يكره.

والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة.

وأدخل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أداة التعريف على (لو)، وهذه في هذا المقام لاتفيد تعريفاً كنظائرها؛ لأن المراد هذا اللفظ؛ كما قال الشاعر^(١):

رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ انْخِلَافَةٍ كَاهِلُهُ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ: مَا جَاءَ فِيهِ (لَوْ))، في قوله: لو فعلت كذا، لكان كذا، لو..، لو..، فهذا جاء فيه أحاديث: «وَأِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(٢).

(١) من كلام ابن ميادة، الرَّمَّاحُ بن أبرد بن ثوبان، في مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك. انظر: شرح المفصل لابن يعيش (١/ ١٣٥)، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٢٢٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ عَنهُ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤])، في وقعة أحد لما حصل على المسلمين ما حصل من القتل، قال المنافقون: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فلا ينفع الإنسان التحايل على القضاء والقدر، ولكن عليه أن يصبر ويحتسب.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (قوله: [بَابُ مَا جَاءَ فِيهِ «لَوْ»]، أي: من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات مما لا يمكن استدراكه)، فكلمة «لو» لا تجدي شيئاً بعد حصول القضاء والقدر، وأرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدل ذلك أن يقول: «مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ».

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة)، أركان الإيمان ستة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخَلَائِفَةِ كَاهِلُهُ)، رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ، أدخل (ال) على (يزيد) مع أنه اسم علم لا تدخل عليه (ال)، ولكن الضرورة الشعرية.



ش: وقوله: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤])، قاله: بعض المنافقين يوم أحد، لخوفهم وجزعهم وخورهم.

قال ابن إسحاق: فَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَادٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اشْتَدَّ الْخَوْفُ عَلَيْنَا، أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ، فَمَا مِنَّا مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذُقْنُهُ فِي صَدْرِهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ قَوْلَ مُعْتَبِ بْنِ قُشَيْرٍ، مَا أَسْمَعُهُ إِلَّا كَالْحُلُمِ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا، فَحَفَظْتُهَا مِنْهُ. وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] لِقَوْلِ مُعْتَبٍ. رواه ابن أبي حاتم ^(١).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، أي: هذا قدر مقدر من الله - تعالى -، وحكم حتم لازم لا محيد عنه، ولا مناص منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤])، قاله: بعض المنافقين يوم أحد، لخوفهم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٩٥/٣)، والطبري (١٦٨/٦)، والقرطبي (٢٤٢/٤)، وابن كثير (١٤٥/٢ - ١٤٦).

وجزعههم وخورهم)، لما حصل على المسلمين ما حصل في وقعة أحد من القتل، ما كان من المؤمنين إلا التسليم للقضاء والقدر، وأما المنافقون، فإنهم يتلاومون، ويلقون باللوم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أخرجهم إلى هذا المكان، ولأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر، ويلتمسون العيوب والتنقص على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، يعني: في أحد. فرد الله عليهم: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلْ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] لِقَوْلِ مُعْتَبِرٍ)، فالمنافقون ألقوا باللائمة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه هو السبب في قتلهم، ولو كان الأمر لهم، ما خرجوا وعرضوا أنفسهم للقتل؛ ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾، فالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى رد عليهم: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾، ﴿كُتِبَ﴾: القضاء والقدر. ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فلا حيلة في القضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: هذا قدرٌ مقدرٌ من الله عَزَّجَلْ وحكم حتم لازم لا محيد عنه، ولا مناص منه)، فالله إذا قدر شيئاً، فلا بد أن ينفذ القضاء والقدر، ولا ينفع اتخاذ الأسباب في هذا المكان، فالقضاء نافذ بلا شك، ولا يمنع منه شيء.

فالمؤمن يطمئن أن الأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأما المنافق، فيتلوم ويتحسر؛ ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].



وَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨].

ش: قال العماد ابن كثير: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] الآية، أي: لَوْ سَمِعُوا مِنْ مَّشُورَتِنَا عَلَيْهِمْ فِي الْقُعُودِ وَعَدَمِ الْخُرُوجِ مَا قُتِلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، أي: إِذَا كَانَ الْقُعُودُ يَسْلَمُ بِهِ الشَّخْصُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، فَيَبْغِي لَكُمْ أَنْ لَا تَمُوتُوا، وَالْمَوْتُ لَا بُدَّ آتٍ إِلَيْكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

قَالَ مُجَاهِدٌ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، يَعْنِي: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ ^(١).

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «عَشِينَا النَّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِنَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَعَلَ يَسْقُطُ سَيْفِي وَأَخْذُهُ، وَيَسْقُطُ وَأَخْذُهُ. قَالَ: وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى الْمُتَافِقُونَ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، أَجَبْنُ قَوْمٌ وَأَرَعَبُهُ وَأَخَذْلُهُ لِلْحَقِّ، ﴿يَطْنُونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَهْلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، أَنَّهُمْ أَهْلُ شَكٍّ وَرِيْبَةٍ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٠-١٦١).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٧٣)، وأصله في البخاري (٤٠٦٨، ٤٥٦٢)، والترمذي (٣٠٠٧، ٣٠٠٨)، والنسائي في الكبرى (٥٣/ ١٠)، وأحمد (٢٦/ ٢٧٧)، وأبو يعلى (٣/ ١٤)، والطبراني في الكبير (٥/ ٩٦، ٩٧)، وفي الأوسط (٣/ ٧١)، وابن حبان (١٦/ ١٤٥)، والحاكم (٢/ ٣٢٥).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَأَدْرُؤْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨])، ﴿قُلْ فَأَدْرُؤْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمُوتَ﴾: إذا نزل الموت، فلا أحد يدفعه، لابد أن يأخذ مجراه الذي قدره الله له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَأَدْرُؤْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] أَيْ: إِذَا كَانَ الْقُعُودُ يَسْلَمُ بِهِ الشَّخْصُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمُوتِ، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ لَا تَمُوتُوا، وَالْمُوتُ لَا بُدَّ آتٍ إِلَيْكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ، فَأَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، رد الله عليهم بأن قضاء الله نافذ، ولا يمنع منه فعل الأسباب، فهذا شيء بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قضاء وقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ مُجَاهِدٌ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، يَعْنِي: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ)، نزلت الآية في عبد الله بن أبي رأس المنافقين؛ أنهم هم الذين قالوا هذه المقالة؛ لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى الْمُنَافِقُونَ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، أَجِبْنُ قَوْمٍ وَأَرَعْبُهُ وَأَخَذْلُهُ لِلْحَقِّ، ﴿يَطْنُوتُ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَهْلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤])، أنها هم أهل شك وريبة في الله عَزَّجَلَّ، هذه المقالة صدرت عن المنافقين، هم الذين قالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: يُعرضون بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾، يعني: فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو السبب الذي أخرجهم للقتل؛ لأنهم -والعياذ بالله- لا يؤمنون بالقضاء والقدر.

ش: قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف، ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ - لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أبي في غزوة أحد - قال: فلما انْخَذَلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَالَ: يَدْعُ رَأْيِي وَرَأْيُهُ وَيَأْخُذُ بِرَأْيِ الصَّبِيَانِ - أَوْ كَمَا قَالَ -، انْخَذَلَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُتَأَفَّقْ قَبْلَ ذَلِكَ. فَأَوَّلِيكَ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَكَانَ مَعَهُمْ إِيْمَانٌ هُوَ الضَّوْءُ الَّذِي ضَرَبَ اللَّهُ بِهِ الْمَثَلَ.

فَلَوْ مَاتُوا قَبْلَ الْمِحْنَةِ وَالنِّفَاقِ مَاتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا الَّذِينَ أُمْتُحِنُوا فَتَبَتُوا عَلَى الْإِيْمَانِ وَلَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ حَقًّا الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ الْإِيْمَانِ بِالْمِحْنَةِ.

وَهَذَا حَالٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَانِنَا أَوْ أَكْثَرِهِمْ إِذَا أُبْتُلُوا بِالْمِحَنِ الَّتِي يَتَضَعَّضُ فِيهَا أَهْلُ الْإِيْمَانِ يَنْقُصُ إِيْمَانُهُمْ كَثِيرًا، وَيُنَافِقُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ الرَّدَّةَ إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ غَالِبًا؛ وَقَدْ رَأَيْنَا وَرَأَى غَيْرُنَا مِنْ هَذَا مَا فِيهِ عِبْرَةٌ.

وَإِذَا كَانَتْ الْعَافِيَةُ أَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِالرُّسُولِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا لَكِنْ إِيْمَانًا لَا يَتَبَيَّنُ عَلَى الْمِحْنَةِ،

وَلِهَذَا يَكْثُرُ فِي هَؤُلَاءِ تَرْكُ الْفَرَائِضِ وَانْتِهَاكَ الْمَحَارِمِ، وَهَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، أَي: الْإِيمَانُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي أَهْلُهُ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ إِذَا أُطْلِقَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ رَيْبٌ عِنْدَ الْحَنِ النَّبِيِّ تَقْلُقُ الْإِيمَانِ فِي الْقُلُوبِ. انتهى^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف: ﴿يَظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فالمسلمون غشيهم النعاس أَمَنَةً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهم في نفس الموقع المخيف، ومع هذا غشيهم النعاس، فجعل قوس أحدهم يأخذه، ثم يسقط من يده من النعاس، هذه أَمَنَةٌ من الله جَلَّ وَعَلَا، وأما المنافقون، فإنهم لم يأت عليهم النعاس؛ لأن الخوف أخذ قلوبهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ الرِّدَّةَ إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ غَالِبًا؛ وَقَدْ رَأَيْنَا وَرَأَى غَيْرُنَا مِنْ هَذَا مَا فِيهِ عِبْرَةٌ﴾، يقول الشيخ: رأينا ما فيه عبرة من مواقف المنافقين عند حلول المصائب؛ أنهم يلقون باللوم على المخلوقين، ولا يؤمنون بالقضاء والقدر، فتطمئن نفوسهم، ويعلمون أن ما قُدر لا بد أن يكون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَهَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي

قُلُوبِكُمْ ﴿١﴾، ﴿وَلَمَّا﴾: هذه فيها رجاء أنه يدخل فيما بعد، فدخل الإيمان في قلوبهم، وثبتوا على الإيمان، وأما المنافقون، فلا يزالون يترددون في ريبهم -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿قُلْ لَمْ تَزِمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، أي: الْإِيمَانُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي أَهْلُهُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ إِذَا أُطْلِقَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، الْإِيمَانُ الْمَطْلُوقُ هُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ، وأما الإيمان -إيمان المنافقين والإيمان الناقص-، فإنه يتذبذب عند المصائب، وقد يزول -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَلَمْ يَخْصُلْ لَهُمْ رِيبٌ عِنْدَ الْمَحَنِ الَّتِي تُقْلِقُ الْإِيمَانَ فِي الْقُلُوبِ)، فالمؤمنون حقًا ما تزيدهم المحن إلا إيمانًا بالله عَزَّوَجَلَّ، خلاف المنافق؛ فإنه كما قال الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، يعني: طرف. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].



ش: قول شيخ الإسلام: (وَقَدْ رَأَيْنَا وَرَأَى غَيْرُنَا مِنْ هَذَا مَا فِيهِ عِبْرَةٌ). قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو؛ من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشهامة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره. والله المستعان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو، من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشهامة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام)، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: نحن رأينا من ذلك ومن هؤلاء القوم الذين إذا نزلت المصائب، تزعزع إيمانهم، وضعف يقينهم، أو زال يقينهم، فبادروا باللوم والأقوال الفاسدة، تظهر ما في صدورهم عند المصائب وعند النكبات.

أما أهل الإيمان الثابت الراسخ، فإنه لا يتزعزع إيمانهم عند المصائب، ولا يزول يقينهم، بل هم ثابتون صامدون، ثم في النهاية تكون العاقبة لهم، ويخسر المنافقون.

الكلام على الإيمان الذي في القلب، إذا كان الإيمان الذي في القلب ثابتاً، فإنه لا يزعه شيء، أما الإيمان الضعيف وإيمان المنافق، فإنه يزول عند أول مصيبة، وتكشف سرائرهم وما كانوا يخفون في نفوسهم، فالمصائب هي التي تبين الرجال.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اُخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

ش: قوله: (فِي الصَّحِيحِ)، أي: صحيح مسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اُخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ...» الحديث.

اختصر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث، وتامه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اُخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»، أي: في معاشك ومعادك، والمراد: اُخْرِضْ عَلَى فَعَلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَنْفَعُ الْعَبْدَ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، مِمَّا شَرَعَهُ اللَّهُ -تعالى- لِعِبَادِهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ وَالْمُبَاحَةِ.

ويكون العبد في حال فعله السبب مستعيناً بالله وحده دون كل ما سواه؛ ليتم له سببه وينفعه، ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى، ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد، فإذا جمع بينهما، تم له مراده بإذن الله.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اُخْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)، هذا الحديث فيه بيان موقف المؤمن إذا أصابته المصائب، وأنه يظهر الإيمان بالله، ويقول: (قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ)، ولا يقول: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ)؛ كما يقول المنافق. المنافق عند المصائب يقول: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا)، أما المؤمن، فإنه يقول: (قَدَرُ اللَّهِ - أَوْ قَدَّرَ اللَّهُ - وَمَا شَاءَ فَعَلَ)، فيُظهر الإيمان بالله عَزَّجَلَّ، ويحاسب نفسه حين الوقوع في الأخطاء؛ ليتلافى المكاره مرة ثانية.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»)، المؤمن صادق الإيمان كلما كمل إيمانه، فهو أحب إلى الله عَزَّجَلَّ، وهو خير من المؤمن الضعيف، يعني: ضعيف الإيمان؛ فإن ضعيف الإيمان عرضة لظهور التأسف وظهور عدم الصبر؛ سببه ضعف الإيمان، بخلاف المؤمن؛ فإنه ثابت الإيمان، وإذا أصابه ما أصابه، فإنه يراجع نفسه، ويتلافى النقص في إيمانه.

وأما المنافق، فإنه -والعياذ بالله- الذي يُظهر الإيمان، ويبطن خلافه، فإنه ينكشف عند الشدائد كما انكشفت أحوال المنافقين في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وقعة أحد وفي غيرها.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»)، المؤمن القوي -القوي

في بدنه، والقوي في إيمانه - خير وأحب إلى الله من المؤمن ضعيف الإيمان، «وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»: في ضعيف الإيمان وفي قوي الإيمان في كُلِّ خير، بخلاف المنافقين؛ فإنهم - والعياذ بالله - ينكشفون عند أدنى مصيبة؛ لأن ليس فيهم خير، وإنما يُظهرون الخير، ويبطنون الشر.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: («اٰخِرِضْ عَلٰى مَا يَنْفَعُكَ»)، هذا حث من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «اٰخِرِضْ عَلٰى مَا يَنْفَعُكَ»، يعني: الشيء الذي فيه نفع فاحرص عليه، وتمسك به.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: («اٰخِرِضْ عَلٰى مَا يَنْفَعُكَ»)، أي: في معاشك ومعادك، والمراد: الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه، مما شرعه الله - تعالى - لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة)، وليس معنى الإيمان بالقضاء والقدر أنه يهمل الأسباب، بل يتخذ الأسباب الواقعة والنافعة، بخلاف المنافق؛ فإنه ليس عنده إيمان أصلاً، وإنما يُظهر الإيمان، ويعيش مع المؤمنين، لكن إذا جاءت مصيبة، تبين - والعياذ بالله - موقفه من المصائب؛ فالمؤمن يثبت عند المصائب، ويثبت على إيمانه، ويعلم أن ما أصابه إنما هو بقضاء الله وقدره، فيحاسب نفسه، بخلاف المنافق؛ فإنه يلقي باللوم على الآخرين، ويهمل الأسباب النافعة، ويتخذ الأسباب التي تضره أو لا تفيده شيئاً.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ويكون العبد في حال فعله السبب مستعيناً بالله وحده دون كل ما سواه)، ولا يعتمد على السبب، وإنما يعتمد على الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مع اتخاذ الأسباب، فلا بد من الأمرين: اتخاذ الأسباب النافعة، مع التوكل

على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فلا يأخذ بسبب -مثلاً: التوكل-، ويترك السبب الآخر، وهو الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعتمد على التوكل، ويترك الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وإنما يأخذ بالأمرين: اتخاذ الأسباب النافعة، مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ف فعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد، فإذا جمع بينهما، تم له مراده بإذن الله)، هذا هو المؤمن حقاً، لا يعتمد على التوكل على الله، ويترك الأسباب، ولا يعتمد على الأسباب، ويترك التوكل على الله، بل يجمع بينهما: اتخاذ الأسباب النافعة مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



ش: قوله: «وَلَا تَعْجَزَنَّ» النون نون التأكيد الخفيفة.

نهاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن العجز وذمه، والعجز مذموم شرعاً وعقلاً.

وفي الحديث: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(١).

فأرشده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره ألا يقول: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا»، ولكن يقول: «قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»، أي: هذا قدر الله، والواجب التسليم للقدر، والرضا به، واحتساب الثواب عليه.

قوله: «فَإِنَّ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»، أي: لما فيها من التأسف على ما فات، والتحسر، ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضا، والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿[الحديد: ٢٢، ٢٣].

(١) أخرجه أحمد (٣٥٠/٢٨)، والترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والطبراني في الكبير (٢٨١/٧)، والصغير (١٠٧/٢)، والحاكم (١٢٥/١)، (٢٨٠/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥١٦/٣)، وفي شعب الإيمان (١٢٩/١٣)، كلهم بدون لفظ: «الأمانى».

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»^(١).

وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من القرآن^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَلَا تَعْجَزَنَّ»)، لا تعجزن عن اتخاذ الأسباب النافعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَلَا تَعْجَزَنَّ»)، النون نون التأكيد الخفيفة)، نون التأكيد الخفيفة؛ لأنها ساكنة، وأما إذا شددت فهي نون التوكيد الثقيلة (وَلَا تَعْجَزَنَّ)

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الحديث: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»)، «الْكَيْسُ»، يعني: الحازم، «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ»، أي: حاسبها «وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»، هذا هو الكيس.

«وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»، هذا هو المنافق، العاجز عن مرتبة الإيثار الصادقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأرشده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره ألا يقول: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا»، ولكن يقول: «قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٩٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ١٩٥).

(٢) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ١٣٠)، وفي عدة الصابرين (١/ ١٢٩).

فَعَلَ»، أي: هذا قدر الله، والواجب التسليم للقدر، والرضى به، واحتساب الثواب عليه)، لا شك أن ما يقع فإنه بقضاء الله وقدره، سواء كان مما تحبه النفوس أو مما تكرهه النفوس، كله بقضاء الله وقدره، فعلى المؤمن أن يحاسب نفسه، وأما المؤمن، فإنه يلقي باللوم على القضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فَإِنْ لَوْ تَفَتَحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ». أي: لما فيها من التأسف على ما فات، والتحسر، ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضى، والصبر واجب)، هذا موقف المسلم أنه يرضى بقضاء الله وقدره، ويسلم مع اتخاذ الأسباب النافعة، فيجمع بين الإيثار بالقضاء والقدر واتخاذ الأسباب النافعة، وأما المنافق، فإنه يعتمد على الأسباب، وينسى التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾)، ﴿فِي كِتَابٍ﴾: الكتاب الذي كتب الله به مقادير الأشياء، فلا يحصل شيء إلا وهو مكتوب من خير أو شر، فعلى المسلم أن يفعل الأسباب النافعة، ويتجنب الأسباب الضارة، مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾)، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: من قبل أن نخلقها، ومن قبل وقوعها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾)، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، يعني: كون الأشياء مقدرة كلها خيرها وشرها، مقدرة في كتاب، هذا ﴿عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ؛ لأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وهو الغني الحميد
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾، المؤمن لا يأسى على
شيء فات؛ لأنه بقضاء الله وقدره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، ولا يفرح فرح
الأشر والبطر، وإنما يفرح بفضل الله، ولكن لا ينسى القضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ، الله جَلَّ وَعَلَا يحب ويكره ويبغض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ فَخُورٍ: مختال من الاختيال، والفخور من الفخر، فلا يفخر فخراً
ينسيه الإيمان بالقضاء والقدر، ولا يتأثر بالمصائب، وينسى الفرج من الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ إن فرج الله قريب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّبْرُ
مَنْ الْإِيمَانُ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ)، الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من
الجسد، فالجسم الذي ليس فيه رأس فلا فائدة فيه، كذلك الذي ليس معه
إيمان بالقضاء والقدر لا ينفعه -مثلاً- ما يفعله من الأمور النافعة، لا تنفعه
إذا لم يكن معه إيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من
القرآن)؛ لأهمية الصبر، تسعين موضع من القرآن، من الذي يعدها تسعين
موضعاً؟ الإمام أحمد عدها وعرفها.

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ - وذكر حديث الباب بتمامه -، ثم قال في معناه: لَا تَعْجِزْ عَنْ مَأْمُورٍ، وَلَا تَجْزَعْ مِنْ مَقْدُورٍ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَجْمَعُ كِلَا الشَّرَيْنِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِرْصِ عَلَى النَّافِعِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَالْأَمْرُ يَقْتَضِي الْوُجُوبَ، وَإِلَّا فَلَا اسْتِحْبَابَ. وَنَهَى عَنِ الْعَجْزِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُلَوِّمُ عَلَى ائْتِجَازِ»^(١)، وَالْعَاجِزُ ضِدُّ الَّذِينَ هُمْ يَنْتَضِرُونَ.

فَالْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْجَزَعِ مَأْمُورٌ بِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَمْرٍ أُمِرَ بِفِعْلِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَيَحْرِصَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَعِينَ اللَّهُ وَلَا يَعْجِزْ، وَأَمْرٍ أُصِيبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ فِعْلِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجْزَعَ مِنْهُ. وَهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ -ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَوْ غَيْرُهُ-: الْأُمُورُ أَمْرَانِ: أَمْرٌ فِيهِ حِيلَةٌ، فَلَا تَعْجِزْ عَنْهُ، وَأَمْرٌ لَا حِيلَةَ فِيهِ، فَلَا تَجْزَعْ مِنْهُ، وَهَذَا فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ؛ لَكِنْ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي فِيهِ حِيلَةٌ هُوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَأَحَبَّهُ لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْهُ، إِلَّا بِمَا فِيهِ حِيلَةٌ لَهُ؛ إِذَا لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَقَدْ أَمَرَهُ بِكُلِّ خَيْرٍ فِيهِ لَهُ حِيلَةٌ، وَمَا لَا حِيلَةَ لَهُ فِيهِ هُوَ مَا أُصِيبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ فِعْلِهِ. وَاسْمُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ يَتَنَاولُ الْقَسْمَيْنِ؛ فَالْأَفْعَالُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، وَمِثْلُ

(١) أخرجه أحمد (٤٠٨/٣٩)، وأبو داود (٣٦٢٧)، والنسائي في الكبرى (٢٣٢/٩)، والطبراني في الكبير (٧٥/١٨).

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]، إِلَى آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

والقسم الثاني: ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، والآية قبلها.

فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم، والسيئة: المصائب، هذا هو الثاني من القسمين.

وأظن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ذكره في هذا الموضع، ولعل الناسخ أسقطه والله أعلم.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ مَأْمُورًا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقَدَرِ عِنْدَمَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَلَكِنْ عِنْدَ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي لَا حِيلَةَ لَهُ فِي دَفْعِهَا، فَمَا أَصَابَكَ بِفِعْلِ الْأَدَمِيِّينَ أَوْ بِغَيْرِ فِعْلِهِمْ فَاصْبِرْ عَلَيْهِ وَارْضَ وَسَلِّمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، وَهَذَا قَالَ آدَمُ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «أَتَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرُهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»^(٢)؛ لِأَنَّ مُوسَى قَالَ لَهُ: لِمَ إِذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَلَامَهُ عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ بِسَبَبِ فِعْلِهِ،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٨ - ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٧٥١٥)، ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَا لِأَجْلِ كَوْنِهَا ذَنْبًا، وَأَمَّا كَوْنُهُ لِأَجْلِ الذَّنْبِ كَمَا يَظُنُّهُ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ فَلَيْسَ مُرَادًا بِالْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَدْ تَابَ مِنَ الذَّنْبِ وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَلَا يَجُوزُ لَوْمُ التَّائِبِ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ. انتهى^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَرَصِ عَلَى النَّافِعِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَالْأَمْرِ بِقُتْضِي الْوُجُوبِ، وَإِلَّا فَلَا اسْتِحْبَابَ)، الأصل في الأمر أنه للوجوب، وقد يكون الأمر للاستحباب إذا دلت على ذلك قرينة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَمْرٍ أَمَرَ بِفِعْلِهِ، فَعَلِيهِ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَيَحْرِصَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَعِينَ اللَّهَ وَلَا يَعْجِزُ، وَأَمْرٍ أُصِيبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ فِعْلِهِ، فَعَلِيهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجْزَعَ مِنْهُ)، فيجمع بين الأمرين: الإيثار بالقضاء والقدر مع الصبر على ما يصيبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ -ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَوْ غَيْرُهُ- الْأُمُورُ أَمْرَانِ: أَمْرٌ فِيهِ حِيلَةٌ، فَلَا تَعْجِزُ عَنْهُ، وَأَمْرٌ لَا حِيلَةَ فِيهِ فَلَا تَجْزَعُ مِنْهُ)، فلا تعجز عنه، وأمر ليس فيه حيلة فلا تجزع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَسْمُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ يَتَنَاولُ الْقِسْمَيْنِ فَلَا فَعَالَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠])، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: هذا فضل من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾، هذا عدل من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فتضمن هذا الحديث أصولاً عظيمة من أصول الإيمان:

أحدها: أن الله - سبحانه - موصوف بالمحبة، وأنه يحب حقيقة.
 الثاني: أنه يحب مقتضى أسائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي، ويجب المؤمن القوي، وهو وتر، ويجب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها: أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض.
 ومنها: أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاذه، والحرص هو: بذل الجهد، واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص، كان حرصه محموداً، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصاً، وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه، أو فعل ما ينفعه من غير حرص، فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

ولما كان حرص الإنسان، وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه، أمره أن يستعين بالله؛ ليجتمع له مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله - تعالى -، ولا يتم إلا بمعونته، فأمره أن يعبد، وأن يستعين به.

فالحرص على ما ينفعه، المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل

وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمه الأمور بيده، ومصدرها منه، ومردّها إليه.

فإن فاته ما لم يقدر له، فله حالتان:

عجز، وهو مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى (لو)، ولا فائدة من (لو) ههنا، بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح.

وأمره بالحالة الثانية، وهي النظر إلى القدر، وملاحظته، ولو أنه قدر له، لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له ها هنا أنفع من شهود القدر، ومشية الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإن انتفت، امتنع وجوده.

ولهذا قال: «فإن غلبك أمرٌ، فلا تقل: لو أي فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»، فأرشدته إلى ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول المطلوب، وحالة فواته.

فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبداً، بل هو أشد إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر، والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهراً وباطناً في حالتي حصول المطلوب وعدمه، وبالله تعالى التوفيق^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبداً، بل هو أشد إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر، والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهراً وباطناً في حالتي حصول المطلوب وعدمه)، ما شاء الله، كلام طيب.

(١) انظر: شفاء العليل (١/ ٦١-٦٢).

فِيهِ مَسَائِلُ :

- الأولى : تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ.
- الثَّانِيَّةُ : النَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنْ قَوْلِ : «لَوْ» ، إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ.
- الثَّالِثَةُ : تَعْلِيلُ الْمَسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ.
- الرَّابِعَةُ : الْإِزْشَادُ إِلَى الْكَلَامِ الْحَسَنِ.
- الخَامِسَةُ : الْأَمْرُ بِالْحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ مَعَ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ.
- السَّادِسَةُ : النَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ وَهُوَ الْعَجْزُ.



بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ (١).

ش: قوله: (بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ).

قوله: (عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ)؛ لأنها -أي: الرِّيح- إنما تهب عن إيجاد الله تعالى، وخلقه لها وأمره؛ لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمسبته مسبة للفاعل، وهو الله سبحانه كما تقدم في النهي عن سب الدهر، وهذا يشبهه، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه، وبما شرعه لعباده.

فنهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الرياح، فقال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ»، يعني: إِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا هَبَتْ، فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد،

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي في الكبرى (٢٣١ / ٦)، وأحمد في المسند (٧٥ / ٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧ / ٦).

وقولوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرْتُ بِهِ».

ففي هذا عبودية لله، وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافاً لحال أهل الفسوق والعصيان، الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ)، هذا من منقصات التوحيد؛ لأن الرِّيح مخلوقة مدبرة بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، والرِّيح تجري بأمر الله بالخير وبالشَّرِّ، ف«عاد» أهلكها الله بالرِّيح العقيم؛ ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢].

وتكون الرِّيح فيها خير؛ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، يعني: تأتي قبل السحاب، وتسوق السحاب إلى ما أمرها الله به، فينزل السحاب ماءً في الجهة التي أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي تأتي بالخير، وهذه الرياح، وأما الرِّيح -والعياذ بالله-، فهذه عذاب؛ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿[الذاريات: ٤١، ٤٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ

مَا فِيهَا وَشَرٌّ مَا أُمِرْتُ بِهِ»، هذا المشروع عندما ترى الريح أن تدعو الله من خيرها، وتستعيد بالله من شرها؛ فإنها مخلوقة مدبرة بأمر الله، تأتي بالخير، وتأتي بالشر حسب ما يأمرها الله به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرْتُ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ؛ لَأَنَّهُ -أَي: الرِّيحُ- إِنَّمَا تَهْبُ عَنِ إِيجَادِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَخَلَقَهُ لَهَا وَأَمَرَهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَهَا وَأَمَرَهَا، فَمُسَبَّتُهَا مُسَبَّةٌ لِلْفَاعِلِ، وَهُوَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ-، هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي النِّهْيِ عَنِ سَبِّ الرِّيحِ: أَنَّ سَبَّهَا سَبٌّ لِلَّذِي أَوْجَدَهَا وَأَرْسَلَهَا، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مَدْبُرَةٌ تَجْرِي بِأَمْرِ اللَّهِ؛ تَأْتِي بِالْخَيْرِ، وَتَأْتِي بِالشَّرِّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمُسَبَّتُهَا مُسَبَّةٌ لِلْفَاعِلِ، وَهُوَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- كَمَا تَقْدُمُ فِي النِّهْيِ عَنِ سَبِّ الدَّهْرِ وَهَذَا يَشْبِهُهُ)، فَمُسَبَّةُ الرِّيحِ تُشَبِّهُ النِّهْيَ عَنِ سَبِّ الدَّهْرِ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ كِلَا النُّوعَيْنِ، فَقَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ»، وَقَالَ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(١)، يَعْنِي: هُوَ الَّذِي خَلَقَ الدَّهْرَ، وَيَدْبُرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَمَا تَقْدُمُ فِي النِّهْيِ عَنِ سَبِّ الدَّهْرِ، وَهَذَا يَشْبِهُهُ، وَلَا يَفْعَلُهُ إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَدِينِهِ، وَبِمَا شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ)، لَا يَسْبُ الرِّيحَ إِلَّا الْجَاهِلُ

(١) سبق تخريجه (ص ١٤٠).

الذي يجهل حكمة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لمخلوقاته، والجهل آفة قاتلة؛ كما جاء في الأثر^(١).

فعلى المسلم إذا رأى الريح أن يسأل الله من خيرها، ويستعيذ به من شرها؛ فإنها تأتي بالخير، وتأتي بالشر بحسب ما أمرها الله جَلَّ وَعَلَا به.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فنهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الرياح، فقال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ»، يعني: إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد وقولوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرْتُ بِهِ»)، هكذا يُشرع عندما تأتي الريح، فلا تسب الريح؛ لأنها مأمورة مدبرة من الله سبحانه، ومسبته مسبة لله جَلَّ وَعَلَا، والمشروع إذا رأيت من الريح ما تكره أن تدعو الله، فتقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرْتُ بِهِ»، فتدعو الله جَلَّ وَعَلَا أن يصرف عنك شرها، وأن يعطيك من خيرها.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٠٠، ٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَرَاعًا يَنْتَرَعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَمَّتُوا بَعِيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ففي هذا عبودية لله، وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان)؛ أنه إذا رأى الريح، رأى منها ما يكره، فإنه لا يسبها، وإنما يدعو الله الذي أرسلها أن يعطيه من خيرها، وأن يكفيه شرها.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان، الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان)، فلا يسبها إلا من حُرِّمَ ذوق حقيقة التوحيد، وأما المؤمن فلا يسب الريح؛ فإنها مدبرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: النَّهْيُ عَنِ سَبِّ الرِّيحِ.

الثَّانِيَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى الْكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ.

الثَّالِثَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَدْ تُوْمَرُ بِخَيْرٍ، وَقَدْ تُوْمَرُ بِشَرٍّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، في هذا الباب مسائل، من عادة المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا فرغ من الباب وما ورد فيه أنه يذكر الفوائد المستفادة من النصوص المذكورة في الباب، وهذا هو فقه التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: النَّهْيُ عَنِ سَبِّ الرِّيحِ)، المسألة الأولى: النهي عن سب الرياح، فلا يجوز للمسلم أن يسب الرياح؛ لأنها مخلوقة مدبرة مأمورة، فيسأل الله من خيرها، ويستعيذ بالله من شرها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى الْكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ)، إذا رأى ما يكره من الرياح، فإنه يدعو الله الذي أرسلها، وأن يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ»^(١)، فتلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يجعلها رحمة، ولا يجعلها عذاباً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ)، إلى أن الريح مأمورة مدبرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الذي يرسلها، وهو الذي يصرفها، فهي تجري بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمسببتها مسبة للذي خلقها وأوجدها، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَدْ تُوْمَرُ بِخَيْرٍ وَقَدْ تُوْمَرُ بِشَرٍّ)، قد تؤمر بالخير والنفع للخلق، وقد تؤمر بالشر؛ كما أهلك الله عادًا بالريح العقيم؛ ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢]، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسْكِنَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥].



٥٧- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

[ش:] قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية). هذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أحد: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، يعني: أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينجز له مأموله؛ ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، يعني: لا يغشاهم النعاس من الجزع والقلق والخوف، ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤])،

هذا في غزوة أحد، لما أصاب المسلمين ما أصابهم مما يكرهون، فإنه تبين نفاق المنافقين، وقالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ يعرضون برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي خرج بهم للقاء العدو، وبسبب تفريط من المسلمين سلط الله عليهم العدو، وذلك بسبب منهم من المسلمين أنفسهم، وعدل من الله سبحانه، وتأديب من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، وهو عاقبته خير للمسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة)، فيختلف الموقف عند المصائب والشدائد، فالمؤمنون تزيدهم المصائب والشدائد إيماناً بالله وثقة بالله، ومحاسبة لأنفسهم، ويعلمون أن ما أصابهم مما يكرهون إنما هو بسبب ذنوبهم، وبسبب من قبلهم هم، فيرضون بما قدر الله، ويستدركون أمورهم، وينظمون شؤونهم للمستقبل.

ففي هذه الواقعة التي جرى فيها ما جرى من النكبة على المسلمين، يقولون: إنهم أصابهم النعاس في هذه الموقعة، يقول: «فجعل سيفي يسقط وأرفعه، ويسقط»^(١)، يعني: النعاس آمنة، آمن وواثق بوعد الله سبحانه وتعالى، وأنه سيفرج هذه الشدة بالفرج القريب العادل، وهذه الشدة إنما هي ابتلاء

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٠٦٨، ٤٥٦٢): عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ فِيمَنْ نَعَسَ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا؛ يَسْقُطُ وَأُخْذُهُ، وَيَسْقُطُ فَأُخْذُهُ».

وامتحان من الله جَلَّوَعَلَا؛ ولهذا يقول: «جعل سيفي يسقط وأخذه»، يعني: أخذه النعاس آمنة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فكأنه في قعر داره يأخذ السيف ويسقط منه؛ بالنعاس وبالنوم آمن.

وأما أولئك فطار عنهم النعاس والنوم -أهل النفاق-، وظنوا أنها الفيصلة وأنها النهاية، فرق بين من يسقط السيف منه ويأخذه بسبب النعاس؛ لأنه آمن وواثق بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وبين من طار قلبه من الرعب والخوف، ويقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فيعرضون بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أعطاه الله الأمر والنهي، فهم يعرضون بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هذا بسبب من الرسول، ولا يعتقدون أنه من الله جَلَّوَعَلَا.



ش: عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: «قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي: قُتِلَ بَنُو الْخَزَرَجِ الْيَوْمَ، قَالَ: وَهَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ؟»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: «قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي: قُتِلَ بَنُو الْخَزَرَجِ الْيَوْمَ قَالَ: وَهَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ؟»)، هذا رأس النفاق، ابن أَبِي هو رأس المنافقين، قال له الأشرار: قُتِلَ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَكَانَ جَوَابُهُ هَذَا الْقَوْلَ الشَّنِيعَ: (لَيْسَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾، رد الله عليه بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فالمؤمنون ما زادهم هذا الموقف إلا إيماناً بالله وثقة بالله، وأن ما أصابهم إنما هو بسبب من قبل أنفسهم، سببه من قبل أنفسهم، ﴿قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا أَقْلُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ^(١٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا^(١٧) [آل عمران: ١٦٥، ١٦٦].



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦٧/٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ وَعَظَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

[ش:] قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ وَعَظَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦٥])، هذا من سوء الظن بالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، والمسلم يحسن الظن بربه، «وَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١)؛ كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالواجب على المسلم إذا أصابه ما يكره أن يحتسب الأجر من الله، ويرضى بما قسم الله له، ويعرف السبب الذي من أجله أصابه ما يكره ويتجنبه، فهذا من حكمة الله فيما يجريه على عباده المؤمنين من النكبات.

وأما أهل النفاق، فإنهم بخلاف ذلك يسيئون الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ، ويلقون باللوم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من الكفر بالله -نسأل الله العافية- وعدم الاحتساب، فالؤمن يحتسب ما يصيبه من المكروه عند الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أن فيه حكمة إلهية أرادها الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بهذا الذي أصيب، وما أصابه من شيء إلا بسبب من قبله، بسبب ذنوبه؛ ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٦٥] وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتْيِ الْجَمْعَانِ ﴿[آل عمران: ١٦٥، ١٦٦].

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠٩، ٤٨٧، ١٨/٥)، والترمذي (٢٥١٦)، من حديث عبد الله بن

قال ابن القيم في الآية الأولى: (فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيُضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدْرِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدْرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُنَمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ).

وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوِّ الَّذِي ظَنَّ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنُّ السَّوِّ؛ لِأَنَّهُ ظَنٌّ غَيْرٌ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَبِوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقَرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدْرُهُ لِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدُ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بغيرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّيْبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنُّ السَّوِّ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَتُّيًا عَلَى الْقَدْرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذًا وَكَذًا، فَمُسْتَقِيلٌ وَمُسْتَكْبِرٌ، وَفَتَّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَلَا فَإِنِّي لَا إِخَالِكَ نَاجِيًا^(١)

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فُتِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيُضْمَحِلُّ، وَفُتِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدْرِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، فُتِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدْرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوِّءِ الَّذِي ظَنَّ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ)، هذا هو ظن السوء -والعياذ بالله-، يفسرون الأحداث بأنها بسبب من قبلهم هم، ولا ينسبونها إلى الله، وأن الله أجراها حكمة منه، ورحمة بعباده ليمحصهم ويطهرهم، وليذكرهم بالطريق الصحيح، فيرجعون إليه، ويسيرون عليه، ويعتبرون ما جرى موعظة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقَرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدُ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)، هذا هو الصواب والحق فيما يجريه الله من الأحداث التي قد يكون فيها شدة على المسلمين، ويكون فيها تخليص وتمحيص لهم، وفيها تنبيه لهم لأخذ الحيلة والحذر والرجوع إلى الله جَلَّ وَعَلَا، هذه حكم عظيمة.

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٠٥ - ٢١١)، وهذا البيت للصحابي الجليل الأسود بن سريع التميمي، المتوفى سنة اثنتين وأربعين، كان يقوله في قصصه، فسرقه الفرزدق، وهو أول من قص في مسجد البصرة. انظر: المعارف (ص ٥٥٧)، وانظر ترجمته في: الطبقات الكبرى (٧/ ٤١)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧٤).

وهناك من قال في هذا اليوم: «لَا تُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ»^(١)؛ أعجبوا بقوتهم، وأنهم لن يغلّبوا، فالله جَلَّوَعَلَا أخلف ظنونهم؛ ليمحص عباده وليخلصهم، ولينبهمهم لمستقبلهم، فيأخذوا بالاحتياط، يأخذوا بالحيلة، ويستدركوا الخطأ الذي حصل بطلب الصواب في الأمر، فكم لله من حكمة فيما يجريه على عباده!

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنًّا السَّوِّءَ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلُمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسَاءَهُ وَصِفَاتِهِ)، هذا ظن السوء؛ ﴿وَلَنَنْتَهُمْ ظَنًّا السَّوِّءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]، نسأل الله العافية!

فأما المؤمن فإن أصابه خيرٌ، فإنه يحمد الله ويشكره، وإن أصابه غير ذلك، فإنه يعلم أنه ما أصابه إلا بسبب من قبله، فيتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويستخلف، فهو في خير في كلا الحالتين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجُّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًّا)، هذا من كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مثل هذه الأمور التي يجريها الله على المسلمين؛ إما بسبب من قبلهم، وإما بأنها تأديب من الله لهم وتمحيص لهم وتخليص لهم، فما يجريه الله على المسلم خير له عاجلاً وأجلاً.



(١) أخرجه أبو عوانة في مستخرجه (٢٧٨/٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٧٣/٦). وانظر: مغازي الواقدي (٨٩٠/٣)، والطبقات الكبرى (١١٤/٢).

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الكلام على ما تضمنته وقعة أحد: وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيُضْمَحِلُّ، وَأَنَّهُ يُسَلِّمُهُ لِلْقَتْلِ. وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَا حِكْمَةٍ لَهُ فِيهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنَّ يُتِمَّ اللَّهُ أَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الكلام على ما تضمنته وقعة أحد)، وقعة أحد اسمٌ للوقعة التي حصلت من الكفار على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث غزوه في المدينة، وخطوا رحالهم وجنودهم وأسلحتهم في هذه الوقعة عند جبل أحد، الجبل الواقع شرقي المدينة المنورة، فهذه الغزوة اجتمعت العرب عن بكرة أبيهم، وجاءوا يغزون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليقضوا عليهم -بزعمهم^(١).

وهذه الوقعة من أشدِّ الوقائع على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى المسلمين؛ حيث إن العرب جاءوا عن بكرة أبيهم متوثبين ليقضوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى دعوته، ولكن الأمر حصل بالعكس، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع الجيوش من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقابل العدو

(١) انظر أخبار غزوة أحد في: سيرة ابن إسحاق (ص ٣٢٢)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٦٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٠١)، والروض الأنف (٥/ ٤٤٨)، والبداية والنهاية (٥/ ٣٣٧)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٨).

عند جبل أحد، الجبل المعروف شرقي المدينة، فحصلت الكائنة، وزعموا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قُتِلَ، عند ذلك حصل على أصحابه من الحزن الشيء العظيم، ولكنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اجتمعوا في وجه العدو، ووجدوا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ يرزق، لم يمسه أي سوء؛ لأن الله حماه منهم، ونصره عليهم، فخاب مسعاهم، والحمد لله.

والله وعد رسوله بالنصر على أعدائه دائماً وأبداً في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد موته؛ فإن هذه الدعوة المحمدية لا يقاومها أحد؛ لأنها لنصرة دين الله، والله مع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياً وميتاً، فاندحرت قبائل العرب، وعادوا خائبين، ونصر الله رسوله والمسلمين، والله الحمد والمنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيُضْمَحِلُّ)، فُسِّرَ هذا الأمر الذي هو أمر المشركين نحو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فُسِّرَ بأن الله لا ينصر رسوله، وأنه يترك العدو يبطشون به وبالمسلمين، ولكن الله خيب ظنهم، ونصر رسوله وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نصراً مؤزراً، وعاد الكفار خائبين مكسورين - والله الحمد والمنة -؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا تكفل بنصرة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلن يتغلب عليه أحد ما دام الله جَلَّ وَعَلَا قد تكفل بنصرته ونصرة أصحابه.

وهذا حاصل إلى أن تقوم الساعة، فدعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منتصرة على من عاداها، وكم مرّ في التاريخ من محاولات للقضاء على دعوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخيب الله أمر المشركين، وكل مرة ينحدرون؛ لأن الله وعد بنصرة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياً وميتاً - والله الحمد والمنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيُضْمَحِلُّ، وَأَنَّهُ يُسْلِمُهُ لِلْقَتْلِ)، ظن المشركون أن الله لا ينصر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاب ظنهم؛ فإن الله نصر رسوله، وهذا النصر مستمر إلى أن تقوم الساعة، فدعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منتصرة، ولن يغلبها أحد ما دام الله قد تكفل بنصرها.

وكم حصل من محاولات للمشركين لإطفاء دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخيب الله ظنهم، وفي كل مرة يعودون خائبين؛ سخر الله عليهم ريحاً شديدة قلعت خيامهم، وأتت عليهم في أنفسهم، فبادروا إلى الرحيل، وقد أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لسبر أحوال العدو، فجاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متنكراً، وجلس مع المشركين، ولما جلسوا قال أبو سفيان: ليعرف كل منكم جليسه، فأخذ بيد من بجانبه، قال: من أنت؟ قال: فلان بن فلان، ثم حضر ما أجراه الله على المشركين؛ لأن الله أرسل عليهم ريحاً وملائكة، فقلعت خيامهم، والملائكة أوقعوا الرعب في قلوبهم، فتبادروا إلى رحالهم، وحملوها على مركوبتهم، وعادوا مسرعين خائفين، ونصر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصراً مؤزراً، لا يزال التاريخ يذكره؛ عبرة للمسلمين، وإخافة لأعداء الله إلى يوم القيامة^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَا حِكْمَةٍ لَهُ فِيهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنَّهُ يُتِمُّ اللَّهُ أَمْرَهُ

(١) انظر أخبار غزوة الأحزاب في: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٢)، والروض الأنف (٦/ ٢٨١)، وتاريخ الإسلام (١/ ١٩٥)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٢١٨).

رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوِّءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي [سُورَةِ الْفَتْحِ]؛ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُتَفَقِّدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، هذا هو ظن السوء الذي يظنه المشركون والمنافقون دائماً وأبداً؛ ابتداءً من وقعة أحد؛ فإن هذا شأنه مستمرٌّ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَعْدَائِهِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ إِطْفَاءَ دَعْوَةِ الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقضاء عليها. وكم حصل على المسلمين من قتال لمحو الدعوة وإزالتها، ولا يزيدها ذلك إلا نصراً.

في هذه الوقعة حصل من العبر والعظات والبشرى للمسلمين ما هو مستمر - إن شاء الله - إلى يوم القيامة، فهذه الدعوة لا تطفأ أبداً؛ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ [التوبة: ٣٢]، فالله مع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع دعوة الرسول، ومع المسلمين إلى أن تقوم الساعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوِّءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي [سُورَةِ الْفَتْحِ]؛ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُتَفَقِّدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦])، هذا شأن الإسلام وشأن أَعْدَائِهِ؛ أن الله ينصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، وينصر دعوته بعد مماته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا أحد ينال من هذه الدعوة إلا أذاقه الله العذاب الشديد في الدنيا، وأعد له العذاب الشديد في الآخرة، فدعوة

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُمْكِنُ طَمْسُهَا، وَلَا يُمْكِنُ التَّغْلِبُ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ
تَكْفُلُ بِنَصْرِهَا؛ ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ
الدَّارِ ﴿ [غافر: ٥١، ٥٢].



ش: وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنُّ السَّوِّءِ، وَظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَى أَهْلِ الْجَهْلِ، وَظَنُّ غَيْرِ الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَذَاتِهِ الْمُبَرَّاةِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَسَوْءٍ، وَخِلَافِ مَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَتَفَرُّدِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَمَا يَلِيقُ بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا يُخْلِفُهُ سُبْحَانَهُ، وَبِكَلِمَتِهِ الَّتِي سَبَقَتْ لِرُسُلِهِ أَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخْذُلُهُمْ، وَلِجُنْدِهِ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْغَالِبُونَ.

فَمَنْ ظَنَّ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَلَا يُتِمُّ أَمْرَهُ، وَلَا يُؤَيِّدُهُ وَيُؤَيِّدُ حِزْبَهُ، وَيُعْلِيهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِأَعْدَائِهِمْ، وَيُظْهِرُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ دِينَهُ وَكِتَابَهُ، وَأَنَّهُ يُدِيلُ الشَّرْكَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِذَالَةً مُسْتَقَرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا التَّوْحِيدُ وَالْحَقُّ اضْمِحْلاً لَا يَقُومُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ، وَنَسَبَهُ إِلَى خِلَافِ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ، فَإِنَّ حَمْدَهُ وَعِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَإِلَهِيَّتَهُ تَأْبَى ذَلِكَ، وَتَأْبَى أَنْ يُذَلَّ حِزْبُهُ وَجُنْدُهُ، وَأَنْ تَكُونَ النُّصْرَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ وَالظَّفَرُ الدَّائِمُ لِأَعْدَائِهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ الْعَادِلِينَ بِهِ، فَمَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ، فَمَا عَرَفَهُ، وَلَا عَرَفَ أَسْمَاءَهُ، وَلَا عَرَفَ صِفَاتَهُ وَكَمَالَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنُّ السَّوِّءِ، وَظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَى أَهْلِ الْجَهْلِ، وَظَنُّ غَيْرِ الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَذَاتِهِ الْمُبَرَّاةِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَسَوْءٍ، وَخِلَافِ مَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَتَفَرُّدِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَمَا يَلِيقُ بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا يُخْلِفُهُ سُبْحَانَهُ، وَبِكَلِمَتِهِ

الَّتِي سَبَقَتْ لِرُسُلِهِ أَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخْذُلُهُمْ، وَلَجِنْدِهِ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْغَالِبُونَ)، هذا كله مذكور في القرآن الكريم؛ أن الله سبحانه سينصر رسوله حيًّا وميتًا، وينصر دعوته، وينصر المسلمين على أعدائهم، هذا دائمًا وأبدًا.

فإن أصاب المسلمين شيء مما يكرهون، فهو بسبب من قبل أنفسهم، وأما الله جَلَّوَعَلَا فإنه يصدق في وعده، إذا صدق العبد في دعوته إلى الله سُبْحَانَهُ وَوَعَالَى.

فهذه الدعوة لا تُغلب ولا تُطفأ إلى أن تقوم الساعة، وإن حصل على حملتها شيء، فهو بسبب من قبل أنفسهم، فيرجعون إلى الله، فيعيد الله لهم النصر والتوفيق والتأييد إلى يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنْ ظَنَّ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَلَا يُتِمُّ أَمْرَهُ، وَلَا يُؤَيِّدُهُ، وَيُؤَيِّدُ حِزْبَهُ، وَيُعْلِيهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِأَعْدَائِهِمْ، وَيُظْهِرُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ دِينَهُ وَكِتَابَهُ، وَأَنَّهُ يُدِيلُ الشَّرْكَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقَرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا التَّوْحِيدُ وَالْحَقُّ اضْمِحْلَالًا لَا يَقُومُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنًّا السَّوْءِ)، كل من ظن هذه الظنون الفاسدة فإن الله سيخلفها وسينصر رسوله، وينصر دعوته من بعده، وينصر عباده المؤمنين إلى أن تقوم الساعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّهُ يُدِيلُ الشَّرْكَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقَرَّةً)، مستقرة، أما الإدالة المؤقتة فقد تحصل بسبب من قبل المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَضْمَحِلُّ مَعَهَا التَّوْحِيدُ وَالْحَقُّ اضْمِحْلَالًا لَا يَقُومُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنًّا السَّوْءِ)، نعم، قد يصيب المسلمين مصائب، ويتنصر

عليهم عدوهم، لكن هذا مؤقت يزول سريعاً، ويعود النصر لدين الله ورسوله ولكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكما في الأثر: «وَلَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ»^(١)، يعني: غلبه الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّ حَمْدَهُ وَعِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَإِهْيَتَهُ تَأْبَى ذَلِكَ، وَتَأْبَى أَنْ يُذَلَّ حِزْبُهُ وَجُنْدُهُ، وَأَنْ تَكُونَ النُّصْرَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ)، لاحظ! المستقرة، وإلا المؤقتة قد يحصل على المسلمين شيء من الهزيمة، لكنه يزول ويبدله الله بضده، هذه سنة الله جَلَّ وَعَلَا مع من صدق في عبادته وتوحيده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ فَمَا عَرَفَهُ وَلَا عَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَلَا عَرَفَ صِفَاتِهِ وَكَمَالَهُ)، هذا ظن السوء الذي ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أن يظن أحد أن الله لا ينصر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينصر دعوته، وينصر عباده المؤمنين، حتى ولو حصل شيء مما يخالف ذلك، فإنه يزول قريباً - بإذن الله -، وتعود الحقائق إلى ما كانت.



(١) أخرجه البخاري (٣٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[ش:] وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَمَا عَرَفَهُ، وَلَا عَرَفَ رُبُوبِيَّتَهُ وَعَظَمَتَهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرٌ مَا قَدَرُهُ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لِحِكْمَةِ بِالْغَةِ وَغَايَةِ مَحْمُودَةٍ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْ مَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ حِكْمَةٍ، وَغَايَةِ مَطْلُوبَةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ فَوَائِهَا، وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْبَابَ الْمَكْرُوهَةَ الْمُفْضِيَةَ إِلَيْهَا لَا يَخْرُجُ تَقْدِيرُهَا عَنِ الْحِكْمَةِ؛ لِإِفْضَائِهَا إِلَى مَا يُحِبُّ، وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُوهَةً لَهُ، فَمَا قَدَرَهَا سُدَى، وَلَا شَاءَهَا عَبَثًا، وَلَا خَلَقَهَا بَاطِلًا، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَمَا عَرَفَهُ، وَلَا عَرَفَ رُبُوبِيَّتَهُ وَعَظَمَتَهُ)، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ مَا حَصَلَ أَوْ يَحْصِلُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَقَدْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْرِي شَيْءٌ فِي هَذَا الْكَوْنِ إِلَّا وَهُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَحِكْمَتِهِ دَائِمًا وَأَبَدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْبَابَ الْمَكْرُوهَةَ الْمُفْضِيَةَ إِلَيْهَا، لَا يَخْرُجُ تَقْدِيرُهَا عَنِ الْحِكْمَةِ، لِإِفْضَائِهَا إِلَى مَا يُحِبُّ، وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُوهَةً لَهُ فَمَا قَدَرَهَا سُدَى، وَلَا شَاءَهَا عَبَثًا، وَلَا خَلَقَهَا بَاطِلًا، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧])، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ! هَذَا ظَنُّ السَّوَاءِ.



[ش:] وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوِّءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلُمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَعَرَفَ مُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، فَمَنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَيَسَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فَمَنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَيَسَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ)، الواجب على المسلم أن يحسن الظن بربه، والله جَلَّوَعَلَا كما في الحديث: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ»^(١)، فيحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، ويتوقع حصول الخير، مهما اشتدت الأحوال، فإنه لا ييأس من انفراج الشدائد وزوال المصائب، فإن الله جَلَّوَعَلَا يبتلي عباده، ثم ينظر ماذا يعملون؛ فمن أحسن الظن بربه، وتوقع من الله الفرج، فإن الكُرب لا تدوم، يزيلها الله جَلَّوَعَلَا ويغيرها.

وأما من أيس من رحمة الله، وظن بالله ظن السوء، فإن الله عَزَّوَجَلَّ طيب عباده، فيعاملهم بحسب ما يعتقدونه وما يتوقعونه من قبل الله عَزَّوَجَلَّ؛ فمن ظن خيراً، جاءه الخير، ومن ظن غير الخير، جاءه ما توقع، وهذا بسبب ظنه وأعماله.

(١) أخرجه أحمد (٣٩٨/٢٥، ١٨٦/٢٨)، والدارمي في سننه (١٧٩٦/٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٠١-٤٠٢)، والطبراني في الكبير (٨٧/٢٢-٨٨)، من حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالمسلم يحسن الظن بالله دائماً وأبداً، ولا ييأس ولا يقنط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا أصابه شيءٌ، فإنه يدعو الله عَزَّوَجَلَّ، ويتقرب إليه، والله قريب مجيب، يزيل الشدائد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وأما إذا أيس العبد من رحمة الله، وظن أنها لا تنفرج، فإن الله يعامله بحسب ما توقع، والله جَلَّوَعَلَا يقول: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ» .



ش: وَمَنْ جَوَزَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَذَّبَ أَوْلِيَاءُهُ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ، وَيُسَوِّي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ. وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَتْرَكَ خَلْقَهُ سُدًى مُعْطَلِينَ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، لَا يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَلَا يُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، بَلْ يَتْرُكُهُمْ هَمَلًا كَالْأَنْعَامِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَجْمَعَ عِبِيدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِمُ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي دَارٍ يُجَازِي الْمُحْسِنَ فِيهَا بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَيُبَيِّنَ لَخَلْقِهِ حَقِيقَةَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَيُظْهِرُ لِلْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ صِدْقَهُ وَصِدْقَ رُسُلِهِ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ كَانُوا هُمُ الْكَاذِبِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ جَوَزَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَذَّبَ أَوْلِيَاءُهُ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَيُسَوِّي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ)، من ظن أن الله يسوي بين عباده - بين المحسنين والمسيئين -، فيقول: كلهم عبادُ الله، فهذا ظن بالله ظن السوء، هم كلُّ عبادُ الله، لكن من أحسن، أحسن الله إليه، ومن أساء، فإن الله يجزيه بإساءته وسوء ظنه بالله عَزَّجَلَّ.

من ظن أن الله جَلَّ وَعَلَا يترك عباده، ولا يحسن إلى من أحسن منهم، فإنه ظن بالله ظن السوء؛ لأن الله حكمٌ عدلٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَتْرَكَ خَلْقَهُ سُدًى مُعْطَلِينَ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، لَا يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَلَا يُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، بَلْ يَتْرُكُهُمْ هَمَلًا

كَالْأَنْعَامِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ)، بلا شك الله لا يترك عباده ويهملهم، بل هو يراقبهم، ويعاملهم بأعمالهم؛ كما في الأثر: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(١).

فعلى المسلم أن يظن بالله ظن الخير، وأن يحسن الظن بالله، وأن يتوقع الفرج من الله، ولا ييأس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَجْمَعَ عَيْدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِمُ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي دَارِ مُجَازِي الْمُحْسِنِ فِيهَا بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ، وَيُبَيِّنَ لِحَلْقِهِ حَقِيقَةَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَيُظْهِرَ لِلْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ صِدْقَهُ وَصِدْقَ رُسُلِهِ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ كَانُوا هُمُ الْكَاذِبِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ)، من ظن أن الله يترك عباده على ما هم عليه، ولا يحاسب المسيء منهم على إساءته، ويجازي المحسن منهم بإحسانه، فقد ظن بالله ظن السوء.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ش: وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُضَيِّعُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ الصَّالِحَ الَّذِي عَمِلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَيُطِيلُهُ عَلَيْهِ بِلا سَبَبٍ مِنَ الْعَبْدِ، أَوْ أَنَّهُ يُعَاقِبُهُ بِمَا لَا صُنْعَ لَهُ فِيهِ وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ وَلَا إِرَادَةَ فِي حُصُولِهِ، بَلْ يُعَاقِبُهُ عَلَى فِعْلِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ بِهِ.

أَوْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَيَّدَ أَعْدَاءُهُ الْكَاذِبِينَ عَلَيْهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي يُؤَيَّدُ بِهَا أَنْبِيَاءُهُ وَرُسُلُهُ، وَيُجَرِّبَهَا عَلَى أَيْدِيهِمْ يُضِلُّونَ بِهَا عِبَادَهُ، وَأَنَّهُ يَحْسُنُ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى تَعَذِيبُ مَنْ أَفْنَى عُمْرُهُ فِي طَاعَتِهِ، فَيَحْلِلُهُ فِي الْجَحِيمِ فِي أَسْفَلَ سَافِلِينَ، وَيَنْعَمُ مَنْ اسْتَنْفَدَ عُمْرُهُ فِي عِدَاوَتِهِ وَعِدَاوَةِ رُسُلِهِ وَدِينِهِ، فَيَرْفَعُهُ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ عِنْدَهُ فِي الْحُسْنِ سَوَاءٌ، وَلَا يَعْرِفُ امْتِنَاعُ أَحَدِهِمَا وَوُقُوعُ الْآخَرِ إِلَّا بِخَيْرٍ صَادِقٍ، وَإِلَّا فَالْعَقْلُ لَا يَقْضِي بِقُبْحِ أَحَدِهِمَا وَحُسْنِ الْآخَرِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ - سُبْحَانَهُ - ظَنَّ السَّوَاءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَا ظَاهِرُهُ بَاطِلٌ وَتَشْبِيهُ وَتَمَثِيلٌ، وَتَرَكَ الْحَقَّ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ، وَإِنَّمَا رَمَزَ إِلَيْهِ رُمُوزًا بَعِيدَةً، وَأَشَارَ إِلَيْهِ إشاراتٍ مُلْغِزَةً لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ، وَصَرَّحَ دَائِمًا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمَثِيلِ وَالبَّاطِلِ، وَأَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يُتَّبِعُوا أَذْهَانَهُمْ وَقَوَاهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ فِي تَحْرِيفِ كَلَامِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَتَأْوِيلِهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَيَتَطَلَّبُوا لَهُ وَجُوهَ الْإِخْتِمَالَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ، وَالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي هِيَ بِالْأَلْفَازِ وَالْأَحَاجِي أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْكَشْفِ وَالْبَيَانِ، وَأَحَالَهُمْ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى عَقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ لَا عَلَى كِتَابِهِ، بَلْ أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَحْمِلُوا كَلَامَهُ

عَلَى مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ خِطَابِهِمْ وَلُغَتِهِمْ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى أَنْ يُصَرِّحَ لَهُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي
يَنْبَغِي التَّصْرِيحُ بِهِ، وَيُريَحُهُمْ مِنَ الْأَلْفَافِ الَّتِي تُوقِعُهُمْ فِي اعْتِقَادِ الْبَاطِلِ، فَلَمْ
يَفْعَلْ، بَلْ سَلَكَ بِهِمْ خِلَافَ طَرِيقِ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ.

فَإِنَّهُ إِنْ قَالَ: إِنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْحَقِّ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ الَّذِي
عَبَّرَ بِهِ هُوَ وَسَلَفُهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِقُدْرَتِهِ الْعَجْزَ.

وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ قَادِرٌ وَلَمْ يُبَيِّنْ، وَعَدَلَ عَنِ الْبَيَانِ وَعَنِ التَّصْرِيحِ بِالْحَقِّ إِلَى مَا
يُوهِمُ؛ بَلْ يُوقِعُ فِي الْبَاطِلِ الْمُحَالِ وَالْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ، فَقَدْ ظَنَّ بِحُكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ
-سبحانه- ظَنَّ السَّوِّءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ هُوَ وَسَلَفُهُ عَبَّرُوا عَنِ الْحَقِّ بِصَرِيحِهِ دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّ
الْهُدَى وَالْحَقَّ فِي كَلَامِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ، وَأَمَّا كَلَامُ اللَّهِ فَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ ظَاهِرِهِ
التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ وَالضَّلَالِ، وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمُتَهَوِّكِينَ وَالْحَيَارَى هُوَ الْهُدَى
وَالْحَقُّ، فَهَذَا مِنْ أَسْوَأِ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَمِنَ الظَّانِّينَ بِهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنُّ
الْجَاهِلِيَّةِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ قَادِرٌ وَلَمْ يُبَيِّنْ، وَعَدَلَ عَنِ الْبَيَانِ وَعَنِ
التَّصْرِيحِ بِالْحَقِّ إِلَى مَا يُوهِمُ؛ بَلْ يُوقِعُ فِي الْبَاطِلِ الْمُحَالِ وَالْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ،
فَقَدْ ظَنَّ بِحُكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ -سبحانه- ظَنَّ السَّوِّءِ)، هذه كلها ظنون باطلة
وفاسدة، فالواجب أن يحسن العبد ظنه بربه عَزَّجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ هُوَ وَسَلَفُهُ عَبَّرُوا عَنِ الْحَقِّ بِصَرِيحِهِ دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّ الْهُدَى وَالْحَقَّ فِي كَلَامِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ، وَأَمَّا كَلَامُ اللَّهِ فَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ ظَاهِرِهِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالضَّلَالُ، وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمُتَهَوِّكِينَ وَالْحَيَارَى هُوَ الْهُدَى وَالْحَقُّ، فَهَذَا مِنْ أَسْوَأِ الظَّنِّ بِاللَّهِ)، هذا هو -والعياذ بالله- الذي يصوب آراء الناس وعقلياتهم، وَيُخْطِئُ كَلَامَ اللَّهِ وَكَلَامَ رَسُولِهِ وَأَنْبِيَائِهِ -كما يفعلُه الضلال والصوفية ومن شابههم-، فقد ظن بربه ظن السوء -والعياذ بالله.



ش: وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَشَاءُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِيجَادِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ كَانَ مُعْطًى مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ عَنْ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَا يُوصَفُ حِينَئِذٍ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْفِعْلِ، ثُمَّ صَارَ قَادِرًا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ - سَبْحَانَهُ - أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَعْلَمُ الْمَوْجُودَاتِ وَلَا عَدَدَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا النُّجُومِ وَلَا بَنِي آدَمَ وَحَرَكَاتِهِمْ وَأَفْعَالَهُمْ، وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْأَعْيَانِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَشَاءُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِيجَادِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ)، من وصف ربه بالعجز على أن يُغير ما يقع في الكون وفي الناس، فهو لاء ظنوا بالله ظن السوء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ كَانَ مُعْطًى مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ عَنْ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَا يُوصَفُ حِينَئِذٍ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْفِعْلِ، ثُمَّ صَارَ قَادِرًا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ)، هذه كلها أقوال لأهل الضلال، وهي كلها من ظن السوء بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ - سُبْحَانَهُ - أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَعْلَمُ
الْمَوْجُودَاتِ، وَلَا عَدَدَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا النُّجُومِ وَلَا بَنِي آدَمَ وَحَرَكَاتِهِمْ
وَأَفْعَالَهُمْ، وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْأَعْيَانِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوِّءِ)،
كذلك هذا من ظن السوء بالله.



ش: وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ - سبحانه - لَا سَمْعَ لَهُ وَلَا بَصَرَ، وَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا إِرَادَةَ، وَلَا كَلَامَ يَقُولُ بِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ أَبَدًا، وَلَا قَالَ وَلَا يَقُولُ، وَلَا لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ يَقُومُ بِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ - سبحانه - ظَنًّا السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ - سبحانه - أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ نِسْبَةَ ذَاتِهِ إِلَى عَرْشِهِ كَنِسْبَتِهَا إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَإِلَى الْأَمْكِنَةِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا، وَأَنَّهُ أَسْفَلُ كَمَا أَنَّهُ أَعْلَى، وَأَنْ مَنْ قَالَ: سبحانه ربي الأسفل كان كمن قال: سبحانه ربي الأعلى، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ - سبحانه - أَنَّهُ يُحِبُّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَيُحِبُّ الْفَسَادَ كَمَا يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَالْبِرَّ وَالطَّاعَةَ وَالْإِصْلَاحَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنًّا السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ وَلَا يَرْضَى، وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَسْخَطُ، وَلَا يُوَالِي وَلَا يُعَادِي، وَلَا يَقْرُبُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَحَدٌ، وَأَنَّ ذَوَاتِ الشَّيَاطِينِ فِي الْقُرْبِ مِنْ ذَاتِهِ كَذَوَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُفْلِحِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنًّا السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُسَوِّي بَيْنَ الْمُتَضَادِّينَ، أَوْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُتَسَاوِينَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، أَوْ يُجَبِّطُ طَاعَاتِ الْعُمَرِ الْمَدِيدِ الْخَالِصَةِ الصَّوَابِ بِكَبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ تَكُونُ بَعْدَهَا، فَيَخْلُدُ فَاعِلُ تِلْكَ الطَّاعَاتِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ بِتِلْكَ الْكَبِيرَةِ، وَيُجَبِّطُ بِهَا جَمِيعَ طَاعَاتِهِ، وَيُخَلِّدُهُ فِي الْعَذَابِ كَمَا يُخَلِّدُ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ،

وَاسْتَنْفَدَ سَاعَاتِ عُمْرِهِ فِي مَسَاحِطِهِ وَمُعَادَاةِ رُسُلِهِ وَدِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوِّءِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ - سبْحَانَهُ - لَا سَمْعَ لَهُ وَلَا بَصَرَ، وَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا إِرَادَةَ، وَلَا كَلَامَ يَقُولُ بِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ وَلَا يَتَكَلَّمُ أَبَدًا، وَلَا قَالَ وَلَا يَقُولُ، وَلَا لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ يَقُومُ بِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ - سبْحَانَهُ - ظَنُّ السَّوِّءِ)، هذه كلها أقوال لأهل الضلال في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنهم أهل ضلال وشبهات، فوقعوا فيها وقعوا فيه، ولو أنهم اتبعوا كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما عليه سلف الأمة وأئمتها، لعرفوا الحق من الباطل والهدى من الضلال، وميزوا بين هذا وهذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ - سبْحَانَهُ - أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ نِسْبَةَ ذَاتِهِ إِلَى عَرْشِهِ كَنِسْبَتِهَا إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَإِلَى الْأَمْكِنَةِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا، وَأَنَّهُ أَسْفَلُ كَمَا أَنَّهُ أَعْلَى وَأَنْ مِنْ قَالَ: سَبْحَانَ رَبِّي الْأَسْفَلُ كَانَ كَمَنْ قَالَ: سَبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَفْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ)، من سوى بين المتناقضات والمتضادات في حق الله جَلَّ وَعَلَا في أفعاله وتصرفاته، فقد ظن بالله ظن السوء؛ ﴿يَطْنُوتُ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ كما ذكر الله ذلك عنهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ - سبْحَانَهُ - أَنَّهُ يُحِبُّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَيُحِبُّ الْفَسَادَ كَمَا يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَالْبِرَّ وَالطَّاعَةَ وَالْإِصْلَاحَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوِّءِ)، من ظن أن الله لا يميز بين الطيب والخبيث وبين الضار

والنافع، وبين الحق والباطل، كلها بالنسبة له سواء، فقد ظن بالله ظن السوء، بل أسوأ الظن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ وَلَا يَرْضَى، وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَسْخَطُ، وَلَا يُؤَالِي وَلَا يُعَادِي، وَلَا يَقْرُبُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَحَدٌ، وَأَنَّ ذَوَاتَ الشَّيَاطِينِ فِي الْقُرْبِ مِنْ ذَاتِهِ كَذَوَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُفْلِحِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ)، أنواع كثيرة لأهل الضلال وأهل التخبط والجهل بالله، وكل هذا بسبب أنهم لم يحكموا كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يفرقوا بين الضار والنافع، والحق والباطل، والهدى والضلال، بل كله عندهم سواء، هذا من عمى البصيرة، ومن وصف الله عَزَّجَلَّ بالظلم، ونفي العلم عنه -سبحانه-، وهذه مسالك باطلة ومناهج منحرفة؛ لأنها مخالفة لما ثبت عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالقرآن واضح، والسنة واضحة في بيان الحق والحث عليه والأخذ به، وبيان الباطل والنهي عنه وإبعاد العباد عنه، هذا شيء واضح في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولن تحيط بما وقع فيه هؤلاء بسبب عمى البصيرة والجهل بالله جَلَّ وَعَلَا، وبما يليق به سبحانه وما لا يليق به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُسَوِّي بَيْنَ الْمُتَضَادِّينِ، أَوْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُتَسَاوِينَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ أَوْ يُخِطُّ طَاعَاتِ الْعُمَرِ الْمَدِيدِ الْخَالِصَةِ الصَّوَابِ بِكَبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ تَكُونُ بَعْدَهَا، فَيُخْلَدُ فَاعِلُ تِلْكَ الطَّاعَاتِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ بِتِلْكَ

الْكَبِيرَةِ، وَيُحْبِطُ بِهَا جَمِيعَ طَاعَاتِهِ، وَيُخَلِّدُهُ فِي الْعَذَابِ كَمَا يُخَلِّدُ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَاسْتَنْفَدَ سَاعَاتِ عُمُرِهِ فِي مَسَاخِطِهِ وَمُعَادَاةِ رُسُلِهِ وَدِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنًّا السَّوْءِ، أَنْوَاعَ كَثِيرَةٍ ظَنُّ السَّوْءِ فِي حَقِّ اللَّهِ، وَفِيمَا يَجْرِيهِ عَلَى عِبَادِهِ، أَنْوَاعَ كَثِيرَةٍ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أَمْثَلَةٌ مِنْهَا - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ!

والواجب على العبد دائماً وأبداً أن يحسن الظن بربه، والله جَلَّ وَعَلَا يقول:

«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ»^(١).



ش: وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ شَرِيكًا، أَوْ أَنَّ أَحَدًا يَشْفَعُ عِنْدَهُ بِدُونِ إِذْنِهِ، أَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَسَائِطَ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ إِلَيْهِ، أَوْ أَنَّهُ نَصَبَ لِعِبَادِهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إِلَيْهِ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَيْهِ، وَيَجْعَلُونَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَيَدْعُونَهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَيَخَافُونَهُمْ وَيَرْجُونَهُمْ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَيَدْعُونَهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَيَخَافُونَهُمْ وَيَرْجُونَهُمْ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ)، ففي قوله تعالى: ﴿يَطُغُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] من ذلك أنه سبحانه جعل بينه وبين خلقه - كما يزعمون - وسائط؛ يرفعون حوائجهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويشفعون عنده، فقد ظن بربه غير الحق ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يجعل بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إلى الله؛ بل إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شرع لهم أن يرفعوا حوائجهم إلى الله مباشرة بدون وسائط، وإنما هذا من ظن غير الحق ومن ظن الجاهلية، والجاهلية خلاف الإسلام.



ش: وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَّتِهِ وَتُخَالَفَتِهِ؛ كَمَا يَنَالُهُ بِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ حِكْمَتِهِ، وَخِلَافَ مُوجِبِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَهُوَ مِنْ ظَنِّ السَّوِّءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعَوِّضْهُ خَيْرًا مِنْهُ أَوْ مَنْ فَعَلَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنِّ السَّوِّءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَغْضَبُ عَلَى عَبْدِهِ وَيُعَاقِبُهُ وَيَحْرِمُهُ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَلَا سَبَبٍ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا بِمُجَرَّدِ الْمَشِيئَةِ وَتَحْضِ الْإِرَادَةِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنِّ السَّوِّءِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَّتِهِ وَتُخَالَفَتِهِ كَمَا يَنَالُهُ بِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ حِكْمَتِهِ)، كذلك من ظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ يَنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَّتِهِ وَتُخَالَفَتِهِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنِّ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ فَإِنْ ذَلِكَ هُوَ السَّبِيلُ إِلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَوْ مَنْ فَعَلَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنِّ السَّوِّءِ)، كذلك من ظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَوِّضُ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ أَجْلِهِ، أَنْ يُعَوِّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ فَإِنَّهُ قَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنِّ الْجَاهِلِيَّةِ، وَظَنِّ السَّوِّءِ ظَنِّ الْجَاهِلِيَّةِ.

فإنه سبحانه من ترك شيئاً من أجله، فإنه ينال من الله أحسن مما ترك أو أكثر مما ترك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بِغَيْرِ جُرْمٍ وَلَا سَبَبٍ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا بِمُجَرَّدِ الْمَشِئَةِ وَمَحْضِ الْإِرَادَةِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوِّءِ)، من ظن أنه يحجب عبده مطالبه ولا يعطيه من غير سبب من العبد، وإنما من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه يحجب عباده، ولا يجيبهم لما طلبوا، فقد ظن بالله ظن السوء ظن الجاهلية.



ش: وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا صَدَقَهُ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ، وَاسْتَعَانَ بِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُحْيِيهِ وَلَا يُعْطِيهِ مَا سَأَلَهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُشْبِيهِ إِذَا عَصَاهُ بِمَا يُشْبِيهِ بِهِ إِذَا أَطَاعَهُ، وَسَأَلَهُ ذَلِكَ فِي دُعَائِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ وَخِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَمَا لَا يَفْعَلُهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا أَغْضَبَهُ وَأَسْخَطَهُ، وَأَوْضَعَ فِي مَعَاصِيهِ، ثُمَّ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا، وَدَعَا مِنْ دُونِهِ مَلَكًا أَوْ بَشَرًا حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، يَرْجُو بِذَلِكَ أَنْ يَنْفَعَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَيُخَلِّصَهُ مِنْ عَذَابِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَذَلِكَ زِيَادَةٌ فِي بُعْدِهِ مِنَ اللَّهِ وَفِي عَذَابِهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاسْتَعَانَ بِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُحْيِيهِ وَلَا يُعْطِيهِ مَا سَأَلَهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ)، كذلك من ظن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يجيب عبده إذا أقبل عليه صادقًا بالدعاء والتقرب إليه، فقد ظن بالله ظن السوء وظن الجاهلية؛ فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبر أن من جاءه يمشي جاءه هرولة^(١)، ومن دعاه صادقًا خلصًا، أجابه إلى ما طلب وزاده من

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا =

فضله، فإنه سبحانه قريب مجيب، يعطي العبد ما سأل وأكثر مما سأل؛ فضلاً منه سبحانه وتعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسَأَلَهُ ذَلِكَ فِي دُعَائِهِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ وَخِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَمَا لَا يَفْعَلُهُ)، كذلك من أنواع الظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، هذه المسألة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَعَا مِنْ دُونِهِ مَلَكًا أَوْ بَشَرًا حَيًّا أَوْ مَيِّتًا يَرْجُو بِذَلِكَ أَنْ يَنْفَعَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَيُخَلِّصَهُ مِنْ عَذَابِهِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوِّءِ)، كذلك من سوء الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ ومن ظن الجاهلية أنه إذا العبد عصى ربه وخالف أمره أنه ينال مغفرة الله ورحمته، فقد ظن بالله ظن السوء وظن الجاهلية؛ فإنه لا يعطي فضله ونعمته إلا لمن أطاعه واتفقه، وتقرب إليه بما شرعه له وحده له من أسباب الإجابة ومن أسباب الفضل من الله جلَّ وعَلا.



= دَكَرَنِي، فَإِنْ دَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ دَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.

ش: وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْدَاءَهُ تَسْلِيطًا مُسْتَقَرًّا دَائِمًا فِي حَيَاتِهِ وَفِي مَمَاتِهِ، وَابْتِلَاةً بِهِمْ لَا يُفَارِقُونَهُ، فَلَمَّا مَاتَ، اسْتَبَدُّوا بِالْأَمْرِ دُونَ وَصِيَّتِهِ، وَظَلَمُوا أَهْلَ بَيْتِهِ، وَسَلَبُوا حَقَّهُمْ وَأَذَلُّوهُمْ، وَكَانَتِ الْعِزَّةُ وَالْغَلْبَةُ وَالْقَهْرُ لِأَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِهِمْ دَائِمًا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَلَا ذَنْبٍ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ الْحَقِّ، وَهُوَ يَرَى قَهْرَهُمْ لَهُمْ وَغَضَبَهُمْ إِيَّاهُمْ حَقَّهُمْ وَتَبْدِيلَهُمْ دِينَ نَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ وَحَزْبِهِ وَجُنْدِهِ، وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يُدِيلُهُمْ، بَلْ يُدِيلُ أَعْدَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، أَوْ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ حَصَلَ هَذَا بِغَيْرِ قُدْرَتِهِ وَلَا مَشِيئَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الْمُبْدِلِينَ لِدِينِهِ مُضَاجِعِيهِ فِي حُفْرَتِهِ، تُسَلِّمُ أُمَّتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ كُلٌّ وَقَتٍ - كَمَا تَظُنُّهُ الرَّافِضَةُ -، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَفْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ، سَوَاءٌ قَالُوا: إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُمْ، وَيَجْعَلَ لَهُمُ الدَّوْلَةَ وَالظَّفَرَ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى ذَلِكَ، فَهُمْ قَادِحُونَ فِي قُدْرَتِهِ أَوْ فِي حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَذَلِكَ مِنْ ظَنِّ السَّوِّءِ بِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الرَّبَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بَغِيضٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ غَيْرُ مَحْمُودٍ عِنْدَهُمْ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَفْعَلَ خِلَافَ ذَلِكَ، لَكِنْ رَفَوْا هَذَا الظَّنَّ الْفَاسِدَ بِخَرْقِ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَاسْتَجَارُوا مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ، فَقَالُوا: لَمْ يَكُنْ هَذَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَلَا لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى دَفْعِهِ وَنَصْرِ أَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ، وَلَا هِيَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، فَظَنُّوا بِهِ ظَنِّ إِخْوَانِهِمُ الْمَجُوسِ وَالشَّنَوِيَّةِ بَرَبِّهِمْ، وَكُلٌّ مُبْطِلٌ وَكَافِرٌ وَمُبْتَدِعٌ مَقْهُورٌ مُسْتَذَلٌّ، فَهُوَ يَظُنُّ بِرَبِّهِ هَذَا الظَّنَّ وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَالْعُلُوِّ مِنْ خُصُومِهِ، فَأَكْثَرَ الْخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ

يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوِّءِ، فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الْحَقِّ نَاقِصُ الْحِظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَكْثَرَ الْخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوِّءِ)، وكذلك إذا ظن بربه أنه يمنعه مما يريد وما يطلب، فإنه ظن بربه ظن السوء ظن الجاهلية؛ فإن من أحسن الظن بالله، وتضرع إليه وأطاعه، زاده خيراً مما يطلب، وأعطاه أكثر مما يريد؛ تفضلاً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



[ش:] فَأَكْثَرَ الْخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السُّوءِ، فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الْحَقِّ نَاقِصُ الْحِطِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ، وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغَلَّغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دَفَائِنِهَا وَطَوَايَاها، رَأَى ذَلِكَ فِيهَا كَامِنًا كُمُونَ النَّارِ فِي الزَّنَادِ، فَاقْدَحَ زِنَادَ مَنْ شِئْتَ، يُبْنِئُكَ شَرَّارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ، لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَبُّبًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَبْغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِيلٌ وَمُسْتَكْبِرٌ، وَفَتَّشَ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ.

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ)، كذلك من مواقف العباد مع ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعْطِيهِمْ مَا يَسْتَحِقُّونَ، وَأَنَّهُ يَمْنَعُ فَضْلَهُ عَنْهُمْ، وَأَنَّهُ وَأَنَّهُ، وَهَذَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَمِنْ ظَنِّ الْجَاهِلِيَّةِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَبُّبًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ)، كل هذا في ابن آدم كامن في نفسه، إذا لم يوفق لمعرفة قدر ربه وفضله وإحسانه وحبه الخير لعباده.

أما الذين يبتعدون عن الله بذنوبهم ومعاصيهم، لو أنهم تابوا إلى الله وأنابوا وتقربوا إلى الله، لوجدوا عنده الخير الكثير الذي لا ينفد.

وكل يعامله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحسب ما في نفسه من النية والظن بالله غير الحق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذًا وَكَذًا، فَمُسْتَقِيلٌ وَمُسْتَكْثَرٌ، وَفَتَشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ)، فتش نفسك مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: هل أنت مقبل على الله راغب فيما عنده، مصدق بوعدته ووعيدته، أو أنك تتلوم على الله، وتظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، وأنه حرملك فضله وإحسانه من غير سبب من نفسك؟ فتش نفسك: هل أنت سالم؟

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا



[ش:] فَلْيَعْتَنِ اللَّيْبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَلْيَظُنَّ السَّوِّءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ وَمَنْبِعُ كُلِّ شَرٍّ الْمُرْكَبَةِ عَلَى الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، فَهِيَ أَوْلَى بِظَنِّ السَّوِّءِ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلِ الْعَادِلِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ الْغِنَى التَّامُّ وَالْحَمْدُ التَّامُّ وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ سُوءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَذَاتُهُ هَا الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ، وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فَهِيَ أَوْلَى بِظَنِّ السَّوِّءِ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلِ الْعَادِلِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ الْغِنَى التَّامُّ وَالْحَمْدُ التَّامُّ وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ)، فَتَشْ نَفْسَكَ وَمَوْقِفَكَ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: هَلْ أَنْتَ مُعْتَرِفٌ بِذُنُوبِكَ وَتَقْصِيرِكَ فِي حَقِّ اللَّهِ، وَأَنْ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُوَاخِذْكَ بِكُلِّ مَا تَسْتَحِقُّ، أَوْ أَنْكَ كَامِنٌ فِي نَفْسِكَ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَمْ تَقْصُرْ فِي شَيْءٍ، وَهَذَا أَمْرٌ يَجِبُ التَّفَطُّنَ لَهُ؛ أَنَّ الْعَبْدَ يَحَاسِبُ نَفْسَهُ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَكَيْفَ كَانَ مَوْقِفُهَا مَعَ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ؟ قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَلْيَظُنَّ السَّوِّءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ، وَمَنْبِعُ كُلِّ شَرٍّ الْمُرْكَبَةِ عَلَى الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ)، يَلْقَى الْعَبْدُ الصَّادِقُ هَذِهِ الْمَلَامَاتِ وَهَذِهِ الْمَعَاتِبَاتِ عَلَى نَفْسِهِ هُوَ، وَيَنْفِيهَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَرِيبٌ

مجيب، سميع الدعاء، عفو يحب العفو عن عباده؛ ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فموقف العبد هو موضع الملامة وموضع الانتقاد، وأما الله جَلَّ وَعَلَا،
فإنه قريب من عباده مجيب، من أتاه يمشي، أتاه هرولة؛ فإنه قريب مجيب،
يسرع في رحمة عباده وقضاء حوائجهم وتفريج كرباتهم، وهذا شيء مشاهد
ومعروف من فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفعل عباده معه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَذَاتُهُ لَهَا الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ،
وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى)، أسماء
الله كلها حسنى، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فعليك أن تتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته، وأن تتوسل إليه بها،
وأن تدعوه بها؛ فإنه قريب مجيب، فتح لك الباب، ويسر لك الأسباب،
وحثك على إنقاذ نفسك وإنجائها من مواطن العطب والهلاك.



ش:

فَلَا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ
وَلَا تَظُنَّنْ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولٍ
وَقُلْ يَا نَفْسُ مَا أَوَى كُلُّ سَوْءٍ أَيْرَجَى الْخَيْرُ مِنْ مَيِّتٍ بِخِيلٍ
وَوُظْنٌ بِنَفْسِكَ السُّوْأَى تَجِدُهَا كَذَاكَ وَخَيْرُهَا كَالْمُسْتَحِيلِ
وَمَا بِكَ مِنْ تَقَى فِيهَا وَخَيْرٍ فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ
وَلَيْسَ بِهَا وَلَا مِنْهَا وَلَكِنْ مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَلَا تَظُنَّنْ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا * وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولٍ)،
فعليك أن تلقي بالملامة على نفسك، وأن تعرف فضل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عليك
وإقباله عليك إذا أقبلت عليه، فإنه قريب مجيب، سميع الدعاء، قاضي
الحاجات، فارج الكربات، مجيب الدعوات.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فَلَا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ * فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ)؛ أولى
منك بالجميل، فأنت الذي تبتعد عن الله، وتحالف أوامره، ومع هذا ترجو أو
تطمع في أن يعطيك الله ما تريد منه، وأنت لا تعطي الله جَلَّ وَعَلَا ما يريد من
من طاعته ومحبته والإقبال عليه، وكل ذلك لحفظ نفسك، أما الله جَلَّ وَعَلَا فإنه
غني عنك؛ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ﴾

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا تَظُنَّنَّ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا * وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولٍ)، هذه صفاتك مع ربك، فعليك أن تعترف بذلك، وأن تتوب إلى الله مما يحوك فيها من الظنون والهواجس والوساوس، التي يلقيها شياطين الإنسان والجن عليك ليعبدوك عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقُلْ يَا نَفْسُ مَا أَوْى كُلُّ سُوءٍ * أَيْرَجَى الْخَيْرُ مِنْ مَيِّتٍ بَخِيلٍ)، وصف نفسك بذلك: أنها ميتة بخيلة، واطنن بربك أنه قريب مجيب وأن فضله واسع وكريم، هذا الذي يجب عليك مع نفسك ومع ربك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَا بِكَ مِنْ تُقَى فِيهَا وَخَيْرٍ * فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ)، ما رزقك الله من تقى وحسن ظن بالله وجميل مع الله، فإنه من فضله وإحسانه عليك، وأما نفسك فإنها أمارة بالسوء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَيْسَ بِهَا وَلَا مِنْهَا وَلَكِنْ * مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ)، ما كان فيك من خير، فهو من الله، ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وما بك من سوء وبعد عن الله، فإنه من نفسك، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



ش: قوله: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَرَئًا السَّوْءُ﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن جرير في تفسيره: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُتَفَقِينَ وَالْمُتَفَقِتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَةِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَرَئًا السَّوْءُ﴾ [الفتح: ٦]، الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَنْ يَنْصُرَكَ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِكَ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَلَنْ يُظْهِرَ كَلِمَتَهُ فَيَجْعَلَهَا الْعُلَيَّا عَلَى كَلِمَةِ الْكَافِرِينَ بِهِ، وَذَلِكَ كَانَ السَّوْءُ مِنْ ظُنُونِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الَّذِينَ ظَنُّوا هَذَا الظَّنَّ دَائِرَةَ السَّوْءِ، يَعْنِي: دَائِرَةَ الْعَذَابِ تَدَوُّرُ عَلَيْهِمْ بِهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُظْهِرَ كَلِمَتَهُ، فَيَجْعَلَهَا الْعُلَيَّا عَلَى كَلِمَةِ الْكَافِرِينَ بِهِ، وَذَلِكَ كَانَ السَّوْءُ مِنْ ظُنُونِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ)، الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية هذا من ظنونهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أَنَّهُ لَا يَنْصُرُهُمْ، أَنَّهُ لَا يَرْزُقُهُمْ، أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ دَعَاءَهُمْ، وَهَذَا مِنْ وَسَاوِسِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَبَاعِدُوا عِبَادَ اللَّهِ عَنْ رَبِّهِمْ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (دَائِرَةُ السَّوْءِ، يَعْنِي: دَائِرَةُ الْعَذَابِ تَدَوُّرُ عَلَيْهِمْ بِهِ)، فهذا نتيجة ظنونهم بالله، سوء ظنهم بالله، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].



ش؛ واختَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْكُوفَةِ: ﴿دَائِرَةُ السَّوِّ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ، وَقَرَأَ بَعْضُ قُرَاءِ الْبَصْرَةِ: ﴿دَائِرَةُ السَّوِّ﴾ بِضَمِّ السِّينِ. وَكَانَ الْفَرَاءُ يَقُولُ: الْفَتْحُ أَفْشَى فِي السِّينِ؛ وَقَلَّمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: دَائِرَةُ السَّوِّ بِضَمِّ السِّينِ، وَالْفَتْحُ فِي السِّينِ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنَ الضَّمِّ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: هُوَ رَجُلٌ سَوٌّ، بِفَتْحِ السِّينِ؛ وَلَا تَقُولُ: هُوَ رَجُلٌ سُوءٌ.

وقوله: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يَقُولُ: وَنَالَهُمُ اللَّهُ بِغَضَبٍ مِنْهُ، ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ يَقُولُ: وَأَبْعَدَهُمْ فَأَقْصَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ يَقُولُ: وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦] يَقُولُ: وَسَاءَتْ جَهَنَّمَ مَنْزِلًا يَصِيرُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتُ^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْكُوفَةِ: ﴿دَائِرَةُ السَّوِّ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ، وَقَرَأَ بَعْضُ قُرَاءِ الْبَصْرَةِ: ﴿دَائِرَةُ السَّوِّ﴾ بِضَمِّ السِّينِ)، وكلاهما صحيح؛ السَّوِّ والسَّوِّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَانَ الْفَرَاءُ يَقُولُ: الْفَتْحُ أَفْشَى فِي السِّينِ؛ وَقَلَّمَا تَقُولُ الْعَرَبُ دَائِرَةُ السَّوِّ بِضَمِّ السِّينِ)، الفراء من أئمة اللغة يقول: غالب العرب على «السَّوِّ» بالفتح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَقُولُ: وَسَاءَتْ جَهَنَّمَ مَنْزِلًا يَصِيرُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ، وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتُ)، ظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/٢٤٨-٢٤٩).

ش: وقال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُتَنَفِّقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ﴾، أَي: يَتَّهِمُونَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ، وَيَظُنُّونَ بِالرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ أَنْ يُقْتُلُوا وَيَذْهَبُوا بِالْكُلِّيَّةِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ﴾ [الفتح: ٦]: أَي: أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ^(١)، وذكر في معنى الآية الأخرى نحوًا مما ذكره ابن جرير - رحمهما الله تعالى.

قوله: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ الذي ذكره المصنف في المتن قدمته لاندراجه في كلامه الذي سقته من أوله إلى آخره ^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (أَي: يَتَّهِمُونَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ، وَيَظُنُّونَ بِالرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ أَنْ يُقْتُلُوا وَيَذْهَبُوا بِالْكُلِّيَّةِ)، الذين يظنون بالله أنه لا ينصر أوليائه ولا يحميهم من كيد أعدائهم هؤلاء ظنوا بالله ظن السوء، وعليهم دائرة السوء، فما ظنوه واقع بهم.



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٣٢٩).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/٢٠٥ - ٢١٢).

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ.

الثانية : تَفْسِيرُ آيَةِ الْفَتْحِ.

الثالثة : الْإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ.

الرابعة : أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ)، وهي: ﴿يَظُنُّوكَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، تفسيراها: أي: يظنون أنه لا ينصر أولياءه، وأنه يتخلى عنهم وأنهم، وأنهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانية: تَفْسِيرُ آيَةِ الْفَتْحِ)، وهي: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللهِ ظَرْبُ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]؛ جزاء على ما ظنوه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثة: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ)، أن هذه المفاصد التي جنوها على أنفسهم بسبب سوء ظنهم بالله عَزَّجَلَّ أنها لا تحصر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابعة: أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ)، لا يسلم من ذلك إلا من عرف أسماء الله وصفاته الكريمة، وعرف صفات نفسه.



٥٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكَرِي الْقَدْرِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكَرِي الْقَدْرِ)، أي: من الوعيد الشديد ونحو ذلك.

أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»^(١).

وَعَنْ عُمَرَ، مَوْلَى غُفْرَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَنْ حَذِيفَةَ - وَهُوَ ابْنُ الْيَمَانِ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرَضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ، وَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمُ بِالْدَّجَالِ»^(٢).

(١) ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة، منهم: ابن عمر، وحذيفة، وجابر، وأنس، وأبو هريرة، وابن عباس، وسهل بن سعد، وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. أخرجه أبو داود (٤٦٩١، ٤٦٩٢)، وابن ماجه (٩٢)، وأحمد في المسند (٨٦/٢، ١٢٥)، والبزار في مسنده (٣٣٨/٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٤/١ - ١٥١)، وابن المستفاض في القدر (ص ١٧٣ - ١٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥/٣)، (٢٨١/٤)، والصغير (٣٦٨/١)، (٧١/٢)، والحاكم في المستدرک (١٥٩/١)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٣/١٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٢)، وأحمد (٤٤٣/٣٨)، والبزار (٣٣٨/٧)، والطيالسي (٣٤٧/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٤٢/١٠)، وفي القضاء والقدر (٢٨٢/١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكَرِي الْقَدْرِ)، القدر: هو ما قدره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما يجري في هذا الكون، وهو ثابت في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق على أن كل شيء بقضاء وقدر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الذي ينكر القدر هذا يُعجز الله عَزَّجَلَّ في أوامره ونواهيه، وما يجريه الله جَلَّ وَعَلَا على عباده من خير أو شر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، هذه أركان الإيمان بالله عَزَّجَلَّ، ومنها: أن تؤمن بالقدر خيره وشره، فالذي ينكر القدر هذا لم يتكامل إيمانه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكَرِي الْقَدْرِ)، أي: من الوعيد الشديد ونحو ذلك)، فالذي ينكر القدر هذا لم يتكامل إيمانه؛ لأنه أنكر ركناً من أركان الإيمان بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»، القدرية - كما في هذا الحديث - أنهم مجوس هذه الأمة، والمجوس فرقة كافرة معروفة، فمن أنكر القدر، فإنه يكون من مجوس هذه الأمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُوا لَهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوا لَهُمْ)، فلا تشهدوا جنازتهم؛ لأنهم ليسوا مسلمين، بل هم مجوس، والمجوس فرقة كافرة مارقة معروفة في الخلق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ حُدَيْفَةَ - وَهُوَ ابْنُ الْيَمَانِ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ»، فمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ هُمُ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ الْقَدَرَ، وَيَقُولُونَ: لَا قَدَرَ، وَالْأُمُورُ لَمْ تُقَدَّرْ، فَهَؤُلَاءِ كُفْرَةٌ وَمَجُوسٌ كَمَا فِي هَذَا الْأَثَرِ أَنَّهُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ)، هَذِهِ أَوْصَافُهُمْ، مَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُهُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَحْضَرُوا جَنَازَتَهُ، وَهُمْ شِيعَةُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَالِ)، حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَالِ، فَإِذَا خَرَجَ الدَّجَالُ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَهُمْ شَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ أَوْ فِي الْأَثَرِ.



وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ؛ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ».

ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

[ش:] قوله: (وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ...) إلخ حديث

ابن عمر، أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال: «كَانَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيرِيُّ حَاجِبِينَ - أَوْ مُعْتَمِرِينَ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِّنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوَقَّعَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَكَتَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا أَنَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنْفٌ. فَقَالَ: فَإِذَا لَقَيْتَ أَوْلِيكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، فَانْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ

(١) أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي في الكبرى (٤٤٦/٣)، وابن ماجه (٦٣).

بُنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا أَمْسُئِلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْأَنْبِيَانِ. قَالَ: فَاَنْطَلِقْ، فَلَبِثْتُ ثَلَاثًا - فِي رَوَايَةِ مُسْلِمَ - فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

ففي هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلاً من أصول الدين وجحدته، فيشبهه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] الآية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ؛ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»)، هذا وعيد شديد على من أنكر القدر، وبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، وَهَلْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفِقَ مِثْلَ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا، مَا تَقَبَلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، هذا أثرٌ عظيم في منكري القدر أنهم ليسوا من المسلمين، لو أنفق مثل أحد ذهبا، جبل أحد من أكبر الجبال في المدينة، لو أنفق أحدهم ما يوازن جبل أحد ذهبا، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، فدل على أن من أنكر القدر فهو كافر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا أَنَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَفَقَّرُونَ الْعِلْمَ)، يعني: يتبعون العلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ)، أن الأمر أنف: لم يسبق أن قُدِّرَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ)، فدل هذا الحديث على أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ومن جحد القدر ليس له إيمان ولا دين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ففي هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلاً من أصول الدين وجحده، فيشبهه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] الآية)، يشبه الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه، فهؤلاء ليس له دين حتى يؤمنوا بأركان الإيمان كلها، ويؤمنون بأركان الإسلام وأركان الإيمان كلها، فمن لم يؤمن بهذه الأركان، فليس بمسلم وليس بمؤمن؛ لأنه جحد ركنًا من أركان الإيمان.



وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ
الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ
لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ،
فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ
حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ
مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ -تعالى- الْقَلَمَ، فَقَالَ:
اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ
بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّارِ»^(٣).

ش: قوله: (وَعَنْ عُبَادَةَ) قد تقدم ذكره في باب فضل التوحيد.

وحديثه هذا رواه أبو داود، ورواه الإمام أحمد بكامله قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ
ابْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ زَيْادٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَادَةُ
ابْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَحَايِلُ
فِيهِ الْمَوْتَ. فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُونِي. قَالَ: يَا بُنَيَّ!
إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/٣٧٨).

(٣) أخرجه ابن وهب في القدر (ص ١٢١).

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قُلْتُ: يَا أَبْتَاهُ وَكَيْفَ أَعْلَمُ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَا بُنَيَّ! إِنَّ مِثَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ^(١).

ورواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عباد، عن أبيه، وقال: حسن صحيح غريب^(٢).

وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى، وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَفْعَلُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّارِ»)، (فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ)، هذا محل الشاهد من الحديث، من لم يؤمن بالقدر أحرقه الله بالنار، ولا يحرق بالنار إلا من هو كافر، فدل على أن من أنكر القدر أنه كافر - والعياذ بالله - الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/٣٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٥٥).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قُلْتُ: يَا أَبْنَاهُ وَكَيْفَ أَعْلَمُ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ)، هذا حقيقة الإيثار بالقدر (تَعْلَمُ) يعني: تتقن أن ما أخْطَأَكَ لم يكن ليصيبك، وما أَصَابَكَ لم يكن ليخطئك، فهذا دليل على أن الإيثار بالقدر أنه ركنٌ من أركان الإيثار الستة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَا بُنَيَّ! إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ)، هذا دليل على أن من لم يؤمن بالقضاء والقدر، أنه يكن من أهل النار، ودل على أن الإيثار بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيثار الستة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال: حسن صحيح غريب)، يعني: حسن من طريق، وصحيح من طريق آخر، يعني: جاء من طريقين، حسن صحيح.

(غريب)، الغريب: هو ما انفرد بروايته واحد، شخص واحد، وهو من أقسام الصحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى، وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة)، هذا هو مفاد الحديث: إحاطة علم الله تعالى بما كان وما يكون في هذا الكون، وهو كله داخلٌ في قضاء الله وقدره، لا يخرج من ذلك شيء عن قضاء الله وقدره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢])، هذا حقيقة الإيثار بالقضاء والقدر.

ش: وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لما سئل عن القدر قال: «الْقَدْرُ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ»^(١)، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

والمعنى: أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء.

ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله - تعالى - فضلوا سواء السبيل.

وقد قال بعض السلف: (ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا)^(٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: والنَّاسُ - فِي بَابِ خَلْقِ الرَّبِّ وَأَمْرِهِ وَلَمْ فَعَلَ ذَلِكَ - عَلَى طَرَفَيْنِ وَوَسْطٍ: فَالْقَدَرِيَّةُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ قَصَدُوا تَعْظِيمَ الرَّبِّ - تعالى - بَتَنْزِيهِهِ عَمَّا ظَنُّوهُ فَيُبْحَا مِنَ الْأَفْعَالِ وَظُلْمًا؛ فَأَنْكَرُوا عُمُومَ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، بَلْ قَالُوا: يَشَاءُ مَا لَا يَكُونُ وَيَكُونُ مَا لَا يَشَاءُ. ثُمَّ إِنَّهُمْ وَضَعُوا لِلرَّبِّهِمْ شَرِيعَةً فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَحْرُمُ - بِالْقِيَاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ - وَتَكَلَّمُوا فِي التَّقْدِيرِ وَالتَّجْوِيزِ بِهَذَا الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ الَّذِي شَبَّهُوا فِيهِ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

(١) انظر: الإبانة لابن بطة (١/ ١٤١).

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٣٠٢)، وجامع العلوم والحكم (ص ٢٧)، ومجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٩)، وطريق المجرتين (٢٤٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لما سئل عن القدر قال: «الْقَدْرُ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ»، (الْقَدْرُ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ)، الله جَلَّ وَعَلَا قدر كل شيء، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، فما يكون في هذا الكون مما سبق ومما يلحق، فإنه بقضاء الله وقدره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ)، استحسن ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ هذا القول من أحمد، فدل على أنه حق، وأنه ثابت في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمعنى: أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء)، لا يمنع عن قدرة الله شيء، كل شيء، فإن الله على شيء قدير، الله قادر على كل شيء، هذا هو معنى الإيثار بالقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَالْقَدَرِيَّةُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ قَصَدُوا تَعْظِيمَ الرَّبِّ - تعالى - بِنَزِيهِهِ عَمَّا ظَنُّوه قَبِيحًا مِنَ الْأَفْعَالِ وَظُلْمًا؛ فَأَنكَرُوا عُمُومَ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، بَلْ قَالُوا: يَشَاءُ مَا لَا يَكُونُ وَيَكُونُ مَا لَا يَشَاءُ)، وهذا كفر بالله عَزَّجَلَّ جرهم إليه إنكار القدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ إِنَّهُمْ وَضَعُوا لِرَبِّهِمْ شَرِيعَةً فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَحْرُمُ - بِالْقِيَاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ -)، وضعوا لله شريعة، تقولوا على الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ما لم يقول، وما لم يشرع، فوقعوا في الكفر من حيث لا يشعرون بسبب جهلهم، وعدم إيمانهم بالقضاء والقدر.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ثُمَّ إِنَّهُمْ وَضَعُوا لِرَبِّهِمْ شَرِيعَةً فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَحْرُمُ - بِالْقِيَاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ -)، وضعوا لله شريعة من عند أنفسهم، قاسوه على أنفسهم - والعياذ بالله - فشبها الله بخلقه.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَتَكَلَّمُوا فِي التَّقْدِيرِ وَالتَّجْوِيزِ بِهَذَا الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ الَّذِي شَبَّهُوا فِيهِ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)، نسأل الله العافية.



وَفِي الْمُسْنَدِ وَسْنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: «أَتَيْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ؛ فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحَدٍ ذَهَبًا؛ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ؛ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ ^(١).

[ش:] قوله: (وَفِي الْمُسْنَدِ وَسْنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ)، وهو أبو بسر - بالسین المهملة، وبالباء المضمومة - ويقال أبو بشر - بالشین المعجمة وكسر الباء، وبعضهم صحح الأول، واسمه عبد الله بن فيروز.

ولفظ أبي داود قال: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذْبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحَدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا؛ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ:

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد في المسند (٤٦٥/٣٥)، (٥١١)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٤/١٠)، والحاكم في المستدرک بنحوه (٦٢٤/٣).

ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ. وأخرجه ابن ماجه^(١).

قوله: (لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)، الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، الإيمان بالقدر خيره وشره كله من الله، وذلك بأن تؤمن بأن: «مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، كما في الحديث.

فالإيمان بالقضاء والقدر واجب على كل مسلم، وذلك يؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن هذا شيء مفروغ منه، سابقاً فلا تغيير فيه، ولا تبديل منه، فهو واجب على كل مسلم ومسلمة أن يؤمن به، ويصدق به، فإن لم يؤمن بالقضاء والقدر فليس بمؤمن.

قوله: (لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ)، لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم سبحانه وهو غير ظالم لهم؛ لأنهم يخطئون ويذنبون ويسيئون، ولكن رحمة الله واسعة، فمن رحمته أنه لا يعذبهم في ذلك، بل يغفر لهم مغفرته أوسع من غضبه سبحانه وتعالى.

قوله: (وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ)، ولو رحم الخلق لكانت رحمة الله لهم خيراً من أعمالهم؛ لأن أعمالهم قليلة بالنسبة لما

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧).

يجب عليهم، ولكن الله يغفر عن الخطأ والزلل، ولا يعاجل سبحانه بالعقوبة، وذلك من رحمته بعباده.

قوله: (وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، يقول حذيفة: «وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ»، مثل جبل أحد، الجبل العظيم الذي حول المدينة، لو انفقت ما يزن أحد من الذهب.

«مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»، فدل على أن الإيمان بالقدر لابد منه لكل مسلم ومسلمة.

قوله: (وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ)، هذا تفسير الإيمان بالقضاء والقدر: «أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

قوله: (وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا؛ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)، لو مت وأنت لا تؤمن بالقضاء والقدر لكنت من أهل النار؛ لأنك فاقد لهذا الواجب العظيم، وهو الإيمان بالقضاء والقدر.

قوله: (قَالَ: فَاتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ)، وافق عبد الله بن زيد فيما قال في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر

قوله: (قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ)، هؤلاء الصحابة وافقوا على أن الإيمان بالقضاء والقدر أمر واجب متحتم، فمن لم يؤمن بالقضاء والقدر لأكبه الله في النار.

قوله: (قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ)، قال: أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك.

قوله: (قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ)، كل هؤلاء الصحابة الكرام توافقوا على أن الإيمان بالقضاء والقدر أمرٌ متحتم، وأن من لم يؤمن بالقضاء والقدر لأكبه الله في النار.

وما معنى الإيمان بالقضاء والقدر؟

أن تؤمن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ذلك مكتوب في القضاء والقدر.



ش: وقال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ خِرَاشٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ، بِهِ. وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ رَبِيعٍ، عَنْ عَلِيٍّ، فَذَكَرَهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي هَانِيٍّ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبْلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

زَادَ ابْنُ وَهْبٍ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ^{(٣) (٤)}.

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٥)، وابن ماجه (٨١)، والطيالسي (١٠٣/١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤٨٥/٧).

قوله: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)، الإيمان بالقدر خيره وشره ركنٌ من أركان الإيمان التي لا يصح الإيمان إلا بها؟

قوله: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)، فالقضاء والقدر الإيمان به حتم لازم على كل مسلم.

قوله: (كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ)، عرش الله جَلَّ وَعَلَا «عَلَى الْمَاءِ»، وهو ماء فوق السماوات.

قوله: (وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ)، حسنٌ غريب، الحسن: ما كان دون الصحيح، وغريب، الغريب: ما انفرد بروايته شخص واحد.



ش: وكل هذه الأحاديث وما في معناها، فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي.

وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار، إن لم يتوبوا.

وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل هذه الأحاديث وما في معناها، فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر)، كل هذه الأحاديث وما جاء في معناها فيها أن من لم يؤمن بالقضاء والقدر لم يكن مؤمناً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم)، وهذه الأحاديث الصحيحة في الإيمان بالقضاء والقدر حجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم.

المعتزلة، سُمُّوا معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ فسموا معتزلة، اعتزلوا مجلس الحسن؛ لأنه لم يوافقهم على معتقدهم الباطل، وهو الإيمان بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار)، من مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا ضلال مبين؛ لأن أهل المعاصي يتفاوتون، فمن كانت معصيته تخرجه من الإسلام فهو خالد في النار، ومن كانت معصيته دون ذلك؛ فإما أن يعذبه الله بها، وإما أن يغفرها له، ويتوب عليه، وهذا أقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن مغفرته سبقت غضبه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي)، تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا ضلال مبين، فالمعاصي التي دون الكفر، دون الشرك تحت المشيئة، إن شاء الله غفرها، وإن شاء الله عذب بها بقدرها، ولا يخلد صاحبها في النار كما يعتقدون.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار، إن لم يتوبوا وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا)، والعياذ بالله، فهم حكموا على أنفسهم بأنهم مخلدون في النار.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار)، عدم تخليد أهل الكبار من الذنوب في النار؛ فالله إما أن يغفر لهم ويتوب عليهم، وإما أن يعذبهم في النار بقدر ذنوبهم، لكنه لا يخلدهم فيها.

فِيهِ مَسَائِلُ :

- الأولى : بَيَانُ فَرَضِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ .
- الثانية : بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ .
- الثالثة : إِحْبَاطُ عَمَلٍ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ .
- الرابعة : الْإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنْ بِهِ .
- الخامسة : ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ .
- السادسة : أَنَّهُ جَرَى بِالْمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .
- السابعة : بَرَاءَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ .
- الثامنة : عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ الْعُلَمَاءِ .
- التاسعة : أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ الشُّبْهَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَطَّ .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: بَيَانُ فَرَضِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ)، وأن من لم يؤمن بالقدر أكبه الله في النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانية: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ)، هو أن تؤمن «أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ»، هذا معنى الإيثار بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثة: إِحْبَاطُ عَمَلٍ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ)، من لم يؤمن بالقضاء والقدر؛ لقوله: «لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، الإخبار بأن من لم يؤمن بالقضاء والقدر، فإن الله يكبه في النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: الإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ)، لا أحد لا يجد طعم الإيْمَانِ حتى يؤمن بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ)، «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّادِسَةُ: أَنَّهُ جَرَى بِالمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)، أن القلم جرى بكتابة المقادير إلى قيام الساعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّابِعَةُ: بَرَاءَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ)، براءته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن لم يؤمن بالقضاء والقدر، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتبرأ إلا من الكافر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ الْعُلَمَاءِ)، أنهم سألوا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعادة السلف أنهم يسألون أهل العلم فيما أشكل عليهم، ولا يعتمدون على أفكارهم ولا على أقوال الجهال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّاسِعَةُ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ شُبْهَتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَطُّ)، أزالوا شبهته بالحديث الثابت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تزول الشبهات إلا بذلك، إلا بالكتاب والسنة.



٦٠- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَصُورِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً». أَخْرَجَاهُ^(١).

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ»^(٢).

وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٣).

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُفِّ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»^(٤).

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَصُورِينَ)، أي: من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه.

وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العلة وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٥) بلفظ مختلف، وأخرجه مسلم (٢١١٠) بنحو هذا اللفظ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۖ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة: ٧-٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ)، يعني: ما جاء من الوعيد الشديد، وهم الذي يضاهئون خلق الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً»)، هذا حديث عظيم في الوعيد على المصورين الذين يضاهئون خلق الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد عجزهم الله بقوله: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً»، فالله عجزهم، ووصفهم بأنهم أظلم الظالمين؛ لأنهم يضاهئون خلق الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، يعني: يحاولون أن يشبهوا خلق الله، أو أن يوجدوا صورة تشبه خلق الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد أستمثني من ذلك من التصوير ما دعت الحاجة، أو الضرورة إليه لضبط الأمن وما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ»)، «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا»: هذا وعيد شديد أن المصورين أشد الناس عذابًا يوم القيامة.

فالواجب الحذر من ذلك، والابتعاد عن التصوير إلا ما دعت إليه الضرورة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»)، وهذا وعيد شديد، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ»: هذا وعيد شديد - والعياذ بالله -.

«يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»، وهذا وعيد شديد في الذين يتخذون التصوير مهنة، ويتخذونه فناً من الفنون بزعمهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُفِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»)، (مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُفِّفَ) يوم القيامة.

(أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ)، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتكم، ولن يستطيعوا ذلك؛ لأن هذا من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الذي يحيي الأرواح، ويحيي الأموات، وهذا وعيد شديد في حق المصورين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العلة وهي المضاهاة بخلق الله)، العلة التي من أجلها عَذِبَ المصورون؛ لأنهم يضاهئون بخلق الله، يحاولون أن يوجدوا صورة تشبه خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة)، هذا من شأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المصور، وهو الخالق

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا أحد يستطيع وإن حاول أن يوجد صورة تشبه خلق الله، فإنه لن يستطيع أن ينفخ فيها الروح.

جاء الوعيد في أنه يقال له: أحيي ما خلقت يوم القيامة، ولن يستطيع أن يحييها الميت.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾)، فالصورة خلق من خلق الله جَلَّ وَعَلَا، خلق هذه المخلوقات بصورها التي هي عليها، وهذا لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا وعيد شديد في حق المصورين.

قوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، ولن يستطيع أحد أن يقدر على أن يخلق مثل خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾، ﴿وَبَدَأَ﴾ سبحانه ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ابن آدم، أو آدم وذريته ﴿مِنْ طِينٍ﴾، وهذا من قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التي لا يقدر عليه إلا هو.

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾، خلق آدم بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وجعل نسل آدم ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾، يعني: ضعيف، وهو الماء الذي ينزل من الرجل في رحم المرأة، ثم يخلق الله منه هذا المخلوق.

قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ﴾، ﴿سَوَّاهُ﴾، يعني: كمله، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ﴾ جَلَّ وَعَلَا ﴿مِنْ رُّوحِهِ﴾: من روح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فصار حيًّا يمشي ويتصرف.

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾
[السجدة: ٩٠]، الله هو الذي جعل هذه الصورة بها فيها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾: فجعل فيها السمع، ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾:
وهي القلوب.

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، قليلاً شكركم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الذي
أوجد لكم هذه المخلوقات.



ش: فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله -تعالى- من إنسان وبهيمة صار مضاهياً لخلق الله، فصار ما صوره عذاباً له يوم القيامة، وكُلِّفَ أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ، فكان أشد الناس عذاباً؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب.

فإن كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة التي ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه.

فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكاً له فيما اختص به -تعالى وتقدس- هو أعظم ذنب عُصِيَ الله تعالى به. ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى فنجى الله تعالى رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جهل التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد، فما أعظمه من ذنب.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]
[النساء: ١١٦]. ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١].

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان، وبهيمة صار مضاهياً لخلق الله، فصار ما صورته عذاباً له يوم القيامة، وكُلِّفَ أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)، هذا وعيد شديد على المصورين في أنهم يوم القيامة يعذبون بهذه الصورة التي صوروها في الدنيا، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، ولن يستطيعوا.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فكان أشد الناس عذاباً؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب)، ذنب المصور من أكبر الذنوب؛ لأنه يحاول أن يضاهي خلق الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فإن كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه)، (سوى المخلوق)، يعني: سواء برب العالمين يعني: ساوي بينه وبين الرب، فإذا صور الصورة، فكأنه يحاول أن يفعل فعل الله جَلَّ وَعَلَا الذي صور الصور ونفخ فيه الروح.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة التي ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره)، فإذا كان لا يستطيع هذا الإنسان وإن صور الصورة، لا يستطيع أن ينفخ فيها الروح، وأن يجعلها حية متحركة متصرفة، فهذا عجز واضح، فكيف له في أن يتكلف هذا الشيء، ويتعرض لغضب الله، والوعيد الشديد في ذلك.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فكيف بحال من سوى المخلوق برَب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة التي ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه)، إذا كان هذا فيمن صور الصورة، هذا الوعيد فيمن صور الصورة التي تشبه ما خلق الله، فكيف بمن جعل للمخلوق شيئاً من حق الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأشرك به، ودعاه من دون الله، وطلب منه ما لا يطلب إلا من الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكاً له فيما اختص به - تعالى وتقدس - هو أعظم ذنب عُصِي الله تعالى به)، هذا أعظم ذنب، ذنب المصورين أعظم ذنب؛ لأنهم يضاهئون خلق الله جَلَّ وَعَلَا، ويحاولون أن يجعلوا هذه الصور يجعلوها مضاهية لخلق الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى)، فالله خلق الخلق لعبادته كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذَّارِيَاتِ: ٥٦-٥٨﴾.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فنجى الله تعالى رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جهل التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد، فما أعظمه من ذنب)، ما أعظم الشرك من ذنب، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لُقْمَانَ: ١٣]، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فالمصور عرض نفسه لهذا الوعيد الشديد - والعياذ بالله -.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

[النساء: ٤٨]، إذا كان هذا فيمن مجرد صور صورة هذا العذاب، فكيف بمن جعل المخلوق بمنزلة الخالق، صرف له شيئاً من أنواع العبادة مثل عباد القبور والأضرحة، يطلبون منهم المدد، يطلبون منهم الإغاثة، ويطلبون منهم تفريج الكربات -والعياذ بالله- وهم أموات لا يقدرُونَ على شيء، ولهذا صار هذا من أعظم الظلم.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

[النساء: ٤٨]، الشرك لا يُغفر إلا بالتوبة، لا يغفره الله إلا لمن تاب منه وتركه خوفاً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾: فالشرك لا يُغفر إلا لمن تاب منه قبل

الممات، تاب إلى الله توبة نصوحة، وأما من استمر على الشرك، فهذا لا نجاة له من عذاب الله يوم القيامة.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

[النساء: ٤٨]، وأما الذنوب التي دون الشرك، فإنها يُرجى أن يغفرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأصحابها إذا تابوا إلى الله، وأنابوا إلى الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ

الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٢١]، شبه التوحيد بأنه علو وارتفاع، فإذا أشرك العبد بالله سقط من هذا الارتفاع، وتعرض إما

للريح التي تحمله وتلقيه في مكان سحيق، يعني: بعيد، أو أنه يهلك في مهاوي
الهلاك - والعياذ بالله -.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾، يعني: سقط، ﴿فَتَخَطَفُهُ
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، يعني: بعيد إن سلم
من الطير.



وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتُهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(١).

ش: قوله: (وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ)، أي: الْأَسَدِيِّ - حيان بن حصين - قال: «قَالَ لِي عَلِيٌّ». هو أمير المؤمنين على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتُهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

فيه تصريح بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عليًا لذلك.

أَمَّا الصور فلمضاهاتها لخلق الله، وَأَمَّا تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.

ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والندور، وغير ذلك من كل شرك محرم محذور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً

إِلَّا طَمَسَتْهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ»، أبو الهياج الأسدي قال له علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَلَا تَدَعُ صُورَةً إِلَّا طَمَسَتْهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا»، يعني: مرتفعًا «إِلَّا سَوَّيْتُهُ»، يعني: ارتفاع القبور أكثر مما يحتاج إليه هذا من الغلو، وهذا يغري الجهال بهذه القبور ويتعلق بأصحابها.

فالقبور لا ترفع أكثر من الحاجة، فكيف بالذين يبنون عليها المشاهد، ويجعلون لها السدنة، ويجعلون لها من الدعايات ما يجعلون -نسأل الله العافية-.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه تصريح بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عليًا لذلك)، فيه تصريح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عليًا، أي: أرسله بذلك في أنه لا يدع صورة إلا طمسها، ولا قبرًا مشرفًا، يعني: مرتفعًا إلا سواه، وأزال ارتفاعه؛ لأن هذه من وسائل الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَمَّا الصور فلمضاهاتها خلق الله)، المصور يضاهي خلق الله عَزَّ وَجَلَّ، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها)، تعلية القبور: رفع القبور هذه فتنة للناس يتعلقون بها إذا رُفِعَتْ، والقبر لا يُرْفَع أكثر من الحاجة التي يُعرف أنه قبر؛ فيجتنب ولا يداس، وأما

أن يُرفع ذلك، أو يُبنى عليه بنية، أو يُجعل له سدة- والعياذ بالله- فهذا من فعل المشركين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته)، صرف الهمم في ذلك، في إزالة هذه القبور المرتفعة، وفي إزالة الصور التي تنصب وتقام، ويعظمها الناس ويتعلقون بها، كل ذلك مما بعث الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإزالته، وأوصى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحابته كما أوصى علياً بن أبي طالب وغيره بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور)، لما وقع التساهل في هذه الأمور- في نصب الصور والمغلاة فيها، ورفع القبور والبناء عليها- لما حصل هذا- والعياذ بالله- حصل المحذور وهو الشرك بالله، تعلق قلوب الناس بها، وصرفوا العبادة لها، وجعلوا لها السدة الذين يجمعون الأموال من الناس عند هذه القبور ويأكلونها، ويجعلونها مصدراً لمعيشتهم وأرزاقهم- والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها)، لما عَظُمَت القبور وزُخِرَتْ، وجُعِلَ لها السدة حصل الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، هذا محذور عظيم من الغلو في القبور والتعلق بها، وجعلها في صور تلفت النظر من البناء عليها وزخرفتها وغير ذلك مما حصل مع القبور، وجر الناس، أو كثيراً من الناس إلى الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

القبور نعم لا تداس، ولا يوطأ عليها ولا تمتهن، ولكن لا يغلى فيها وتعظم، ويُجعل لها من الدعايات الباطلة مع يصرف الأنظار إليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها)، وهذا شيء مشاهد في القبور التي تُركت للجهال يزخرفونها ويعظمونها، ويجعلون لها السدنة، وجني الأموال، هذا من أعمال المشركين، ومن تغيير العقيدة والدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والندور، وغير ذلك من كل شرك محرم محظور)، كما هو مشاهد وحاصل في البلاد التي عظموا فيها القبور، وجعلوها مزاراً للناس، فتعلقت قلوبهم بها، وصاروا يدعون أصحابها من دون الله عَزَّجَلَّ.

القبور نعم لا تهان ولا تداس، ولا يوطأ عليها، ولكن لا تُعظم أكثر من ذلك، وتصرف الأنظار والندور الكثيرة لها، هذا مما أوقع الكثير من الناس في الشرك الأكبر.



ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن جمع بين سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًا للآخر، مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدًا).

فنهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها.

ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذها مساجد^(١)، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٣٥، ٣٤٥٣، ٤٤٤٣، ٥٨١٥)، ومسلم (١٩) (٥٢٩) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرُقُ حَيْصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ؛ يُحْذَرُ مَا صَنَعُوا. قَالَتْ: فَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». وأخرج مسلم (٥٣٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ النَّجْرَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُنْدُبٌ، قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ».

ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إيقاد السرج عليها^(١)، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها.

ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن تتخذ عيداً^(٢)، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجمعون لها كاجتماعاتهم للعيد أو أكثر.

وأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي - فذكر حديث الباب -، وحديث ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيْيٍّ، وهو عند مسلم أيضاً، قَالَ: «كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودَسَ، فَتَوَفَّى صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بِقَبْرِهِ فَسَوَّى، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا»^(٣).

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تخصيص القبر والبناء عليه، كما روى مسلم في

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٤٧١/٣) و(٣٦٣/٤) و(١٢٨/٥)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢١٨١)، وابن ماجه (١٥٧٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالشُّرُجَ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٤٠٣/١٤)، وابن أبي شيبة (٦٠/٢)، والطبراني في الأوسط (٨١/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢/٦) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ بَلَّغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ».

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٨).

صحيحه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»^(١).

ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر: «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا». قال الترمذي: حديث حسن صحيح^(٢).

وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره. ونهى أن يزداد عليها غير تراها؛ كما روى أبو داود عن جابر أيضًا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ، أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ»^(٣). وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار. قال إبراهيم النخعي: «كَانُوا يَكْرَهُونَ الْآجَرَ عَلَى قُبُورِهِمْ»^(٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن جمع بين سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًا للآخر، مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدًا)، ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان) بيّن هذا أوضح بيان للناس في أن الغلو في القبور جر الناس إلى الشرك الأكبر، وعود الجاهلية التي أبطلها الإسلام.

(١) أخرجه مسلم (٩٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢٥)، والترمذي (١٠٥٢)، والنسائي في المجتبى (٢٠٢٧) وفي الكبرى (٤/٨٦، ٨٧، ٨٨)، وأحمد (٢٣/٥٥، ٤٢٧، ٢٣/١٧، ٤٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٢٦)، والترمذي (١٠٥٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/٢٥).

القبور لا تُعظم، ولا يغلى فيها، ولا تهان وتداس، وإنما هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها هو أكمل الهدي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فنهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة إلى القبور)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الصلاة عند القبور؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، وتعظيم القبور التعظيم الذي يؤول على الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهؤلاء يصلون عندها وإليها)، وهؤلاء المشركون يصلون عند القبور يقصدون هذا؛ لأن القبور تنفعهم، وتصرف عنهم السوء وغير ذلك مما زينه شياطين الإنس والجن لهم.

فالقبور المذهب فيها الوسط في أنها لا تهان ولا تؤذى، ولا تُعظم ويغلى فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهؤلاء يصلون عندها)، يصلون عند القبور؛ رجاء أن تقبل صلاتهم، وأن تغفر ذنوبهم، وهذا وسيلة من وسائل الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهؤلاء يصلون عندها وإليها)، يصلون إلى القبور -والعياذ بالله- يستقبلونها ويعظمونها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبوت الله)، وهؤلاء بنوا على القبور مشاهد، وصارت هذه المشاهد مساجد، في الظاهر مساجد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها)، القبور لا تضاء، وإنما إذا أراد أن يدفنوا الميت في الليل يأتون معهم بسراج على قدر الحاجة ويذهبون به، ولا تضاء المقابر بأن يجعل عليها أعمدة الكهرباء وما أشبه ذلك؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك الأكبر.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها)، هؤلاء القبوريون يوقفون الأوقاف على إيقاد السرج على القبور؛ ليضلوا الناس، ويصرفوا أنظارهم إليها.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن تتخذ عيداً)، تتخذ عيداً، يعني: يعتاد المجيء إليها والتردد عليها.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر)، بل صنف بعضهم مصنفاً سماه «حج المشاهد» -والعياذ بالله-.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي -فذكر حديث الباب-، وحديث ثُمَامَةَ بِنْتِ شُعْبَةَ، وهو عند مسلم أيضاً، قَالَ: «كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتَوَفَّى صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بِقَبْرِهِ فَسَوَّى، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَأْمُرُ بِتَسْوِيَّتِهَا»)، تسويتها، يعني: عدم رفعها أكثر من الحاجة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب)، هذا شيء مشاهد فيما عُمِلَ على القبور في غير هذه البلاد - والله الحمد - أما هذه البلاد فإن الله صانها وحفظها من الغلو في القبور؛ بسبب دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تخصيص القبر والبناء عليه)، تخصيص القبر بجعل الجص عليه، والبناء عليه، كل هذا من وسائل الغلو في القبور، فالقبور لا تهان، ولا يغلى فيها، وإنما تعمل فيها سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما روى مسلم في صحيحه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُحَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»)، تخصيص القبر هذا من الغلو.

(وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ)، هذا من إهانة القبر، فالاعتدال هو السنة في القبور، فالقبور لا تهان ولا يغلى فيها، وإنما القبور يزال عنها الضرر والأذى الذي يؤذي الأموات، ويفتن الأحياء، يزال هذا عن القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونهى عن الكتابة عليها)، الكتابة على القبور؛ لأن الكتابة على القبور تصرف الأنظار إليها، وأنها تنفع وتضر، فيقبل العوام عليها، فالقبور في الوسط، يعني: لا يغلى فيها ولا تمتهن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر: «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُحَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا».) قال

الترمذي: حديث حسن صحيح)، نهى أن تخصص القبور، وأن يكتب عليها؛ لأن هذا وسيلة إلى الغلو فيها، وصرف الأنظار إليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره)، هؤلاء المشركون أو الجهال يكتبون عليها الألواح، ويعظمونها مما يؤول بها إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونهى أن يزداد عليها غير ترابها)، القبر يدفن بترابه فقط، ولا يزداد عليه تراب آخر بحيث يزداد ارتفاعه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما روى أبو داود عن جابر أيضاً أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ»، أن يجصص القبر: يُجعل عليه الجص، أو يكتب عليه اسمه، كل هذا مما لا يجوز، ويزال إذا وُجد. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ)، أو يزداد تراباً غير ترابه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهؤلاء يزدون عليه الآجر والجص والأحجار)، هؤلاء الغلاة الجهال يجعلون عليه الأحجار والجص ونحو ذلك من البناء. قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال إبراهيم النخعي: «كَانُوا يَكْرَهُونَ الْأَجْرَ عَلَى قُبُورِهِمْ»)، كانوا يكرهون جعل الآجر على قبورهم.



ش: والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين ينون عليها المساجد والقباب، مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي: ولو أبيع اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله؛ ولأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام.

قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر؛ ولأن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحْذَرُ مَا صَنَعُوا». متفق عليه^(١)؛ ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها). انتهى^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين ينون عليها المساجد والقباب، مناقضون لما

(١) أخرجه البخاري (٥٣٤، ٣٤٥٣، ٤٤٤٣)، ومسلم (٥٣١).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٩٥-١٩٧).

أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محادون لما جاء به)، لا شك أن الغلو في القبور لا سيما قبور الصالحين، أو من يُدعى أنه من الصالحين حصل بسبب ذلك فتنة عظيمة، وجاء الشرك من هذا الطريق من تعظيم القبور.

ولهذا يجب أن تُتبع السنة في شأن القبور؛ فلا تهان وتُداس، ولكنها تصان عن الامتهان، ولا يُغلى فيها، ويعتقد فيها أنها تنفع، أو أن أصحابها ينفعون ويضرون، فهذا بابان خطيران: الغلو في قبور الصالحين، وإهانة القبور والمشي عليها والجلوس عليها وامتهانها، كلا طرفي الأمور ذميم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر)، إذا غلا الناس في القبور وعظموها واعتقدوا فيها، وبنوا عليها المساجد، فهي في الحقيقة مشاهد وليست مساجد؛ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

ولا يُدفن الأموات في المساجد، أو في مكان متصل بالمساجد؛ لأن هذا مدعاة إلى الغلو فيها، ووسيلة على الشرك، فالمساجد يُعمل فيها الوسط، وهو السنة، فلا تُهان وتُداس، ولا يُغلى فيها وتُرفع، ويُبنى عليها وتُعظم أكثر من الواجب، هذا هو السنة الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه)، الغلو فيها، وإيقاد السرج عليها، ورفعها، وجعل مباني عليها، وجعل السدنة عندها كل هذا مما نهى عنه الإسلام، وحرمه الدين؛ لأنه وسيلة إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أبو محمد المقدسي: ولو أبيع اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله)، لو أبيع جعل السرج عليها لم يُلعن من فعلها، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن الذين يسرجون القبور، ويجعلون عليها السدنة، والمصابيح التي تغري الجهال والعوام بالاعتقاد فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة)، ومن المفاسد التي تنتج عن تعظيم القبور: صرف الأموال في تعظيمها، وتزينها، والبناء عليها، وإيقاد السرج عليها، فهذا صرف للمال في غير وجهه، وهو يؤول إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام)، الإفراط في تعظيم القبور، يعني: الزيادة في تعظيم القبور، والغلو فيها يشبه عبادة الأصنام، الأصنام إنما كانت أصناماً بسبب تعظيمها، والغلو فيها، واعتقاد أنها تنفع وتضر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر؛ ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحْذَرُ مَا صَنَعُوا»). متفق عليه)، لا يُبنى عليها مساجد، وهي التي يسمونها المشاهد، هذا يؤول إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الناس إذا رأوا هذه المباني وهذه الزخارف، وهذه الإضاءات عليها تعلق قلوبهم بها، وقالوا: لم يُعمل هذا عندها إلا لأنها تنفع وتضر، فهذا وسيلة إلى الشرك -والعياذ بالله-.

لا مانع أن الذين يأتون بالجنائز في الليل يستصحبون معهم مصباحاً؛ من أجل أن يروا الطريق، ومن أجل أن يروا القبر ويهيئوه؛ ليكون صالحاً

للدفن، ولا يزداد على ذلك، ويذهبون بالسراج معهم، فلا تبقى المقابر مضاعة، ويقال هذا من أجل الدفن في الليل. لا، إذا جاء ناس بالجنائز يأتون معهم بمصباح على قدر الحاجة، ويذهبون به معهم إذا فرغوا من الدفن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»). متفق عليه)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا باللعنة على اليهود والنصارى بسبب أنهم اتخذوا القبور مساجد، جعلوا كل مسجد فيه قبر، يُعَظَّمُ المسجد من أجل هذا القبر ويزار، وربما تُجَعَلُ عليه الأوقاف، والأموال تُصرف في غضب الله ومعصيته.

فلا يغلى في القبور وتُعَظَّمُ، ولا تُتَمَتَّنُ القبور وتُدَّاسُ، وإنما تُعَمَلُ فيها سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنة المسلمين دائمٌ وأبدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»). متفق عليه)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى»، السبب؟

«اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يعني: مصليات يُصَلِّي عندها، وتُبنى عليها المساجد، «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها)، تعظيم القبور بالصلاة عندها وإن الصلاة لله، فلا يُصَلَّى عند القبور؛ لأن هذا يجر الناس إلى الغلو فيها، ويعتقدون أن هؤلاء

الأموات ينفعون ويضرون، ويتعلقون بهم، هكذا جاء الإسلام بسد الوسائل المفضية إلى الشرك والكفر.

فالقبور لا تُهان وتُداس، ولا يُغلى فيها، وإنما تُطبق فيها السنة التي جاء بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء بها الأنبياء من قبله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها)، ذكر الشيخ في هذا أن تصوير الأموات، ونصب صورهم على قبورهم أن ذلك يجر إلى الشرك الأكبر -والعياذ بالله-.

الشيطان إنما يأتي عن طريق البدع، وعن طريق المحدثات، فيجر الناس شيئاً فشيئاً إلى أن يعلموا بسنة الجاهلية وسنة المشركين في القبور والغلو فيها.



ش: وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا، ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه «مناسك حج المشاهد» مضاهاة منه القبور بالبيت الحرام.

ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام. فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصده، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز عن حصره. فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها. ومنها: اتخاذها أعيادًا.

ومنها: السفر إليها.

ومنها: مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها وسدانتها، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفى القنديل المعلق عليها. ومنها: النذر لها ولسدنتها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا، ووضعوا لها مناسك)، بلغ الأمر بهؤلاء الغلاة الذين غلوا في

القبور والأموات إلى أن وضعوا لها كتباً لزيارتها، والدعاء عندها، أو الدعاء بها، كل ذلك من استدراج شياطين الإنس والجن لهم حتى عُبدت القبور، وإقامة الأضرحة في بلاد المسلمين حتى هيئ الله لها من دعاة الحق والهداية من أنكروا هذا، وبينوه للناس، وأزالوا ما قدروا على إزالته مما عُمل على القبور، فأصبحت القبور على السنة المحمدية من غير غلو وإفراط، ومن غير تفريط وإهانة للقبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حَجًّا، ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه «مناسك حج المشاهد» مضاهاة منه القبور بالبيت الحرام)، وصل الأمر بهؤلاء الضلال والغلاة في القبور أن صنفوا لها مناسك لزيارتها، والجلوس عندها كما عُمل لبيت الله -الكعبة المشرفة والمسجد الحرام- مناسك للحجاج؛ يدعون بها في الطواف، ويقرؤونها ويتعلمون ما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَحْوُ القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام)، من غلا في القبور، وخرج عن السنة في القبور، فقد خرج عما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها أولاً، ويتجاوز به الشيطان إلى أن يعبدوها من دون الله، ويعتقد فيها أنها تنفع وتضر كما حصل لكثير ممن استدرجهم شياطين الإنس والجن فعبدوا القبور، ودعوا إلى عبادتها، والغلو فيها، وزعموا أنها تنفع وتضر من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه)، هذا فرق عظيم بين ما شرعه الله وبينه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأن القبور، وبين ما ابتدعه هؤلاء، وزينوا للناس الغلو في القبور وتعظيم القبور، حتى تدرج بهم الشيطان إلى أن عبدوها، وجعلوا لها السدنة، وجمعوا عندها الأموال التي يأخذونها من الجهال، فيأكلون أموال الناس بالباطل، ويشركون بالله عَزَّجَلَّ، ويصبحون قدوة سيئة في دين الإسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها)، من الفتن: تعظيم الموقع - موقع القبور - وأنها يُعمل لها الزخارف والمظاهر الخلابية، ويُجعل لها السدنة، ويحبون منها أموالاً بالباطل - والعياذ بالله - ويتخذونها مجلبة لأكل أموال الناس بالباطل، ومدعاة للشرك بالله عَزَّجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: اتخاذها أعياداً)، اتخاذها أعياداً، يعني: يُرتب لها الزيارة في وقت معين، وتُنصب حولها دعايات، وتُعمل الأطعمة وغير ذلك؛ لأجل إطعام الزائرين، كل هذا تدرج من الشيطان ببني آدم.

نعم، القبور تُحترم، وتُزار للسلام عليها، والدعاء للأموات من غير غلو فيها، ومن غير اعتقاد فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: السفر إليها)، ومنها السفر لزيارة القبور، لا يجوز السفر لزيارة قبر، حتى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُسافر من أجل زيارته، ولا غيره من قبور الأنبياء والصالحين، لا يُشرع السفر من أجل زيارة قبر.

وإنما إذا أتيت إلى البلد الذي فيه قبور الصالحين فأنت تزورها للسلام عليهم، والدعاء لهم لا لدعائهم، وإنما للدعاء لهم والسلام عليهم فقط.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها)، وصل الحال بهم إلى أن أشبهوا عباد الأصنام الذين يعملون لأصنامهم دعايات، ويقيمون حولها زخارف تغرغر بالجهال والعوام، فيعتقدون فيها، فهؤلاء سلكوا مسلك الضلال في القبور، وخالفوا السنة، وآل بهم الأمر إلى الوقوع في الشرك بالله عَزَّجَلَّ، واعتقاد أن هؤلاء الأموات ينفعون ويضرون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتعليق الستور عليها وسدانتها)، آل بهم الأمر على أن علقوا الستور على القبور، وجعلوا لها سدنة، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويأخذون ما يقدمه الزوار من الأموال، فيأخذون دينهم ويأخذون أموالهم -والعياذ بالله- يأخذون دينهم في أنهم أضلوهم، وجعلوهم يعتقدون في هذه القبور أنها تنفع وتضر، ويأخذون أموالهم بغير حق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام)؛ لأن المسجد الحرام ليس فيها أكل لأموال بالباطل، وإنما فيه الطواف والسعي والصلاة والحج والعمرة، والاعتكاف فيه، هذا المشروع في المسجد الحرام والمسجد النبوي وسائر المساجد عند المسلمين.

وأما عند أهل الضلال فيتخذون القبور لسلب أموال الناس.

وأيضاً: جر الناس إلى الشرك والاعتقاد في الأموات أنهم ينفعون ويضرون إلى غير ذلك -والعياذ بالله- مما يسلبون به دين الناس، ويأكلون أموالهم بالباطل.

ودين الإسلام دين الوسط بين الغلو والجفاء؛ فلا غلو ولا جفاء، وإنما متابعة لسنة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام)، بلغ بهم الغلو إلى أن رجحوا زيارتها، والجلوس عندها على زيارة المسجد الحرام للحج والعمرة والاعتكاف في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويرون سدانيتها أفضل من خدمة المساجد)، يرون سدانيتها القبور، يعني: خدمة القبور أفضل من خدمة المساجد التي شرع الله خدمتها، وتهيئتها للمصلين والمعتكفين، فجعلوا المشاهد تضاهي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، بل ربما تترجح عند الجهال على المساجد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويرون سدانيتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفئ القنديل المعلق عليها)، الويل، يعني: يتوعدون من يطفئ القناديل التي عليها، ويؤدبون القائم عليها إذا فُعل ذلك، أو فعل هو ذلك؛ لأن هذا يصرف الأنظار عنها مع أنه هو الحق أنها لا تضاء المقابر، لا تضاء المقابر، ويُجعل فيها مصابيح كهربائية، أو يُجعل فيها محلات للسدانة، بل هي مقابر لا تُهان ولا يُغلى فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: النذر لها ولسدنتها)، وهذا أشد، صرف النذور لها ولسدنتها وهم الذين يقيمون على رعاياتها والدعاية لها، فهذا نذور باطلة

شركية يجب إبطالها، والنذر إنما يكون لله عزَّ وجلَّ ولعبادته، قال تعالى في وصف الصالحين المتقين: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِرِّ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

فالوفاء بالنذر -نذر الطاعة- أمر مطلوب وعبادة، ونذر الطاعة هو اذلي يكون على وفق سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: نذور الطاعة.



ش: ومن المفسد: اعتقاد المشركين فيها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك.

ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله اتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها.

ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن المفسد: اعتقاد المشركين فيها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك)، فإن اعتقاد المشركين في القبور اعتقاد واسع وطويل؛ لأنهم يلتمسون منها المدد والنصر على الأعداء، وغير ذلك من اعتقادات الجاهلية.

والأموات مشغولون بأنفسهم وما أمامهم من الحساب والعذاب، فليسوا من الشئون الأحياء بشيء، وإنما هذا عمل زينه لهم الشياطين الإنس والجن ليشغلوهم به عن عبادة الله وحده لا شريك الله.

فالواجب الحذر كل الحذر من الاعتقاد في الموتى والمقبورين أنهم ينفعون أو يضرّون كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ

أَتُنْفِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿[يونس: ١٨].

فسمى هذا شركاً بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الأموات مشغولون بأنفسهم وما قدموه
من الأعمال التي يجازيهم الله عليها في الآخرة، فهم ليسوا من مَنْ اعتقاد فيهم
في شيء مما اعتقده بهم أنهم ينفعون أو يضرّون، وأن لهم تصرفاً في الكون وما
أشبه ذلك من اعتقادات الجاهلية الكافرة الضالة - نسأل الله العافية -.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله اتخاذ المساجد عليها،
وإيقاد السرج عليها)، هذا من أعظم المفاسد: الوعيد الوارد في حق عباد
القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها)، أعظم المفاسد:
ما يُفعل عندها من الشرك الأكبر من الاستغاثة بالأموات، طلب الحوائج
منهم وغير ذلك مما لا يملكونه ولا يستطيعونه، وهم مشغولون بأنفسهم
وما قدموه.

فعباد القبور يستغيثون بالأموات، ويطلبون منهم المدد، ويطلبون منهم
ما لا يقدرّون عليه، كانوا لا يقدرّون عليه في الدنيا، فكيف يقدرّون عليه
وهم في القبور، موسدون في إلحادهم، مشغولون بما هم فيه من العذاب
الأيّيم - نسأل الله العافية - هذا إذا كانوا رضوا بما يُفعل عند قبورهم.

أما إذا كانوا لم يرضوا بهذا، وهو حال الأموات المسلمين من أهل السنة،
فإن الأمر أشد، وما يُفعل عندهم عبث لا يفيدهم شيئاً، وإنما يبعدهم عن الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ش: ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يكره ما يفعله النصارى عند قبره.

وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايع يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرؤون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨]، وقال الله تعالى للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِنَّا كَرَّمْنَاكُمْ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [سبا: ٤٠، ٤١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم

يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يكره ما يفعله النصارى عند قبره، فهم إن كانوا على التوحيد والإخلاص لله فهم لا يرضون بما يُفعل عند قبورهم، بل يتألمون جدًا كما يفعله النصارى عند قبر المسيح عيسى بن مريم الذي قال الله له: ﴿عَانتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَخَذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عََلَمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

ثم يبين عَلَيْهِ السَّلَامُ ما قاله لهم: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١١٧) ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَا تُهِنُّمُ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨].

قوله: (كما أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يكره ما يفعله النصارى عند قبره) يقصد بذلك القبر المزعوم في فلسطين، وإلا فإن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ، رفعه الله، وذلك في القرآن، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِي مَرْيَمُ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ وَارْفَعْكَ إِلَىٰ مَوْجِدِكَ وَارْفَعُكَ إِلَىٰ مَوْجِدِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايع يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرؤون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا

أَنْ تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاؤَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٧﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨]، يوم القيامة يتبرأ هؤلاء المعبودون من دون الله ممن عبدتهم، أحوج ما يكون أولئك العباد للقبور إلى ما ينقذهم من عذاب الله عَزَّجَلَّ، وأن لهم ذلك، هذا إذا كانوا قد رضوا بما يُفعل عند قبورهم.

أما إذا كانوا يكرهونه وينهون عنه في حياتهم كحال المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنهم يتبرؤون منهم، ويتبرؤون من عبادتهم، ويرفعون قلوبهم بالإنكار على هذا العمل في يوم كان عباد القبور بحاجة إلى ما ينصرهم، ومن ينقذهم من عذاب الله عَزَّجَلَّ، وأتى لهم ذلك؟!!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال الله تعالى للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٩])، يكذب يوم القيامة هؤلاء الذين عبدوا من دون الله، يكذبون من عبدتهم، ويقولون: نحن لم نأمركم بذلك، ولم نرض به، فيبوء هؤلاء بالخسارة والندامة والحسرة على ما ضيعوه في حياتهم من عبادة القبور، والالتجاء إليها في الشدائد والكربات - نسأل الله العافية -.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [سبا: ٤٠، ٤١]، إذا سألهم الله يوم القيامة، سأل الله هؤلاء المعبودين: ﴿أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴿١٧﴾، فينكرون هذا، ويخبرون أن هذا ليس من حقهم، وإنما هو من حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هكذا يقولون يوم القيامة.

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا ﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨]: أن نقول ما ليس لنا بحق، أو ندعي ما ليس لنا بحق، فيتبرؤون منهم ومن عبادتهم أحوج إلى ما يكونون إلى من ينقذهم وينصرهم يوم القيامة، فيبوؤون بالخسارة الملازمة الدائمة - نسأل الله العافية -.

لو يعقلون في هذه الدنيا هذا المصير يتبرأ من عبادتهم، وهم ينكرون هذا في حياتهم، ينكرون على من غلا فيهم، وطلب منهم ما لا يملكونه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤١]، يعبدون الجن الذين أمروهم بهذا.

من الشياطين هم الذين أمروهم بهذا فأتاعوهم، فصار ذلك عبادة لهم من دون الله عَزَّجَلَّ، وكفى بذلك حسرة وندامة لهم يوم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.



ش: ومنها: إِمَاطَةُ السِّنَنِ وإِحْيَاءُ الْبَدْعِ.

ومنها: تَفْضِيلُهَا عَلَى خَيْرِ الْبَقَاعِ، وَأَحْبَابُهَا إِلَى اللَّهِ، فَإِنْ عَادَ الْقُبُورَ يَقْصِدُونَهَا مَعَ التَّعْظِيمِ، وَالْإِحْتِرَامِ، وَالْخُشُوعِ وَرَقَّةِ الْقَلْبِ، وَالْعُكُوفِ بِالْهَمَّةِ عَلَى الْمَوْتَى بِمَا لَا يَفْعَلُونَهُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَلَا يَحْصِلُ لَهُمْ فِيهَا نَظِيرُهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: إِمَاطَةُ السِّنَنِ وإِحْيَاءُ الْبَدْعِ)، مِنْ مَفَاسِدِ عِبَادَةِ الْقُبُورِ: إِمَاطَةُ السِّنَنِ، وإِحْيَاءُ الْبَدْعِ؛ لِأَنَّ الْمَشْرُوعَ فِي الْقُبُورِ -قُبُورِ الصَّالِحِينَ- أَنْ نَدْعُو لَهُمْ، وَأَنْ نَتَرَحَّمْ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ نَزُورَ قُبُورَهُمْ زِيَارَةً شَرْعِيَّةً، نَسْلَمُ عَلَيْهِمْ، وَنَدْعُو لَهُمْ، وَإِذَا دُفِنُوا نَقُومُ عَلَى قُبُورِهِمْ بَعْدَ الدَّفْنِ، وَنَدْعُو لَهُمْ، وَنَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، هَذَا الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَنَا مَعَ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، لَا أَنْ نَتَّخِذَهَا أَوْثَانًا تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَلَكِنْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَضَلُّوا النَّاسَ عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ، وَزَيَّنُوا لَهُمْ هَذَا الشَّرْكَ الْأَكْبَرَ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- وَعَلَقُوهُمْ بِالْقُبُورِ، وَشَغَلُوهُمْ بِذَلِكَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْعِبَادَةُ لِلْقُبُورِ وَبِالْأَعْيُنِ مِنْ أَعْتَقَدَهَا وَأَمَرَ بِهَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: تَفْضِيلُهَا عَلَى خَيْرِ الْبَقَاعِ، وَأَحْبَابُهَا إِلَى اللَّهِ، فَإِنْ عَادَ الْقُبُورَ يَقْصِدُونَهَا مَعَ التَّعْظِيمِ، وَالْإِحْتِرَامِ، وَالْخُشُوعِ وَرَقَّةِ الْقَلْبِ،

والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره، ولا قريباً منه)، هؤلاء يفعلون عند القبور -والعياذ بالله- من العبادة والتضرع ما لا يفعلونه في المساجد التي هي بيوت الله عَزَّجَلَّ، ومحل عبادته سبحانه.

اتخذوا القبور معابد يعبدونها ويستغيثون بها، وينادون الأموات، ونسوا المساجد التي هي بيوت الله عَزَّجَلَّ، ومحل دعائه، والاستغاثة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتقرب إليه.

دعاة الكفر والضلال شغلهم عن عبادة الله في المساجد إلى عبادة الله عند القبور، وهذا لا ينفعهم، بل يعود عليهم بالوبال والحسرة والندامة يوم القيامة.



ش: ومنها: أن الذي شرعه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارة القبور، إنها هو تذكّر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت.

فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعائه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركة منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى أنفسهم، وإلى الميت.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى الرجال عن زيادة القبور سدًّا للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم، أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولًا وفعلاً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها: أن الذي شرعه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارة القبور، إنها هو تذكّر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت)، زيارة القبور الزيارة الشرعية المقصود منها: الدعاء للأموات، والاستغفار لهم، فيعود ذلك بالنفع عليهم وعلى من زارهم.

وأما الذين عكسوه من عباد القبور، فجعلوا المقصود بزيارة القبور سؤال الأموات، والتضرع إليهم، وطلب الحوائج منهم، فهذه زيارة شركية شرعها لهم شياطين الإنس والجن، وهي تضرهم ولا تنفعهم، وسيندمون عليها يوم القيامة.

قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴿[الفرقان: ١٧، ١٨] هذا إذا كانوا صالحين، كما قاله المسيح عَلَيْهِ السَّلَام، قال: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ ﴿[المائدة: ١١٦].

إذا سأله الله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي﴾: مريم عَلَيْهَا السَّلَام ﴿إِلَّاهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۝١٣١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿[المائدة: ١١٦، ١١٧].

قال الله جلَّ وعلا: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿[المائدة: ١١٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعائه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركة منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك، فصاروا مسيئين

إلى أنفسهم، وإلى الميت)، صاروا مسيئين بهذه الزيارة إلى أنفسهم؛ حيث عبدوهم من دون الله، وأساءوا إلى الميت؛ حيث رفعوه فوق منزلته، وطلبوها منه ما لا يطلب إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عند ذلك تبين لهم ضلالهم، وتبين لهم أنهم على شرك أكبر.

ولكن ماذا يفعلون، فات الأوان؛ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْكَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ، يعني: من هؤلاء الذين كنا نعبدهم من دون الله، ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧]، والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى الرجال عن زيادة القبور سداً للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم، أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه)، نهى عن زيارة القبور في الأول يوم أن كان الناس يزرون الزيارة الشركية؛ سداً للذريعة، ثم لما زال المحذور أذن لهم بزيارة القبور الزيارة الشرعية التي القصد منها الدعاء للميت، والاستغفار لهم، وتحصيل الأجر والثواب بالزيارة الشرعية للقبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونهاهم أن يقولوا هجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولاً وفعلاً)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ،

فَزُورُوهَا»، لما تمكن التوحيد وزال الخوف من الشرك عليهم، «فَزُورُوهَا»، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(١).

الزيارة الشرعية للقبور هي التي يعود نفعها على الميت أولاً بالدعاء له، والترحم عليه، وعلى الحي الذي زارهم بتحصيل الأجر والثواب من زيارة إخوانه والدعاء لهم.



ش: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ». رواه أحمد والترمذي وحسنه^(٢).

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأئمة، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجد لها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ». رواه أحمد والترمذي وحسنه)، لما مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قبور المدينة أقبل عليهم بوجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسلم عليهم ودعا لهم، هذه هي الزيارة الشرعية التي ينتفع بها الميت أولاً، وينتفع بها الحي الزائر.

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٣)، وأحمد (٨٩/٣٨)، (١٤٧).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فَأَقْبِلْ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالْآثَرِ». رواه أحمد والترمذي وحسنه)، هذا بيان ما يقال عند زيارة القبور، قبور الصالحين، بأن يقول: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ»، يسلم عليهم كما يسلم على الأحياء (ورحمة الله وبركاته). «أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالْآثَرِ»، «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ، وعافهم واعف عنهم»... إلى آخر الدعاء، فهذه الزيارة ينتفع بها الزائر وينتفع بها المزور، بخلاف زيارة المشركين للقبور، فإنها تغضب المزور إذا كان رجلاً صالحاً فتضايقه، وأيضاً تعود على الزائر بالضرر والعقوبة العاجلة والآجلة، ويكون عمله هذا سنة باطلة يضل بها الناس.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟)، لا تجد فيها شيئاً؛ لأن الزائر يقول: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، يسلم عليهم، ثم يدعو لهم، ولا يدعوهم، يدعو لهم بالمغفرة والرحمة.

ويقول: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَنَاكُمْ مَا تُوْعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»^(١)، يَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تَضِلَّنَا بَعْدَهُمْ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ»^(٢)، هذا ما يقال عند زيارة القبور مما شرعه الله مما يعود بالنفع على الزائر والمزور.

(١) أخرجه مسلم (١٠٣) (٩٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٤ / ٤٦٣)، ومسلم (٢٤٩)، والنسائي (١٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، =

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأئمة، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟)، فإذا رجعت إلى ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارة القبور، فإنك لا تجد فيها شيئاً مما يقوله ويعتقده هؤلاء المشركون الذين يدعون الأموات، ويتضرعون إليهم، ويطلبون حوائجهم

= أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلِ دُهِمٍ بِهِمْ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيْدَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُدَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِيَّاهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا».

وأخرجه مسلم (٩٧٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي حَدِيثٍ لَهَا طَوِيلٍ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ»، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَفْدِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأَخِرِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ».

وأخرجه أحمد (٣٨ / ٨٩)، ومسلم (٩٧٥)، وابن ماجه (١٥٤٧) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، كَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ».

وأخرجه أحمد (٤١ / ٢٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَأْتِي بَعْضَ نِسَائِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَتَى الْمَقَابِرَ، ثُمَّ قَالَ: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ».

منهم، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا؛ لأنهم قد ماتوا،
وانقطعت أعمالهم، فهم لا يملكون لمن زارهم ضرًّا ولا نفعًا، وإنما يتألمون إذا
كانوا مسلمين مؤمنين يتألمون من هذه الزيارة في قبورهم.

وهم في قبورهم يتألمون منها؛ لأنهم لا يرضون بها، ولأنهم يؤلمهم
الشرك بالله أحياء وأمواتًا.



ش: وما أحسن ما قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَنْ يُصْلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلُهَا) ^(١)، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ^(٢).
ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحملوا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا، ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما أحسن ما قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: لَنْ يُصْلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلُهَا)، كلمة الإمام مالك هذه عظيمة رَحِمَهُ اللَّهُ جاءت من عالم جليل يقول: (لَنْ يُصْلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلُهَا)، والذي أصلح أولها هو دين الإسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له.

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٣ / ١٠) عن مالك، قال: «كَانَ وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ يَقْعُدُ إِلَيْنَا وَلَا يَقُومُ أَبَدًا حَتَّى يَقُولَ لَنَا: اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلُهُ»، انظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق لابن عبد الهادي (٢ / ٤٢٣). وأخرج الخطيب البغدادي نحوه من كلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبة له، في موضح أوهام الجمع والتفريق (١ / ٢٦٣)، قال: «إِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلَحُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ»، وعند ابن عساكر من كلام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تاريخ دمشق (٤٤ / ٢٥٦)، قال: «إِنْ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ أَمْلَكُ بَنَاءً، لَا يَصْلَحُ آخِرُهُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ».

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١ / ١٩٧ - ٢٠٠).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما أحسن ما قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَنْ يُصْلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)، هذه كلمة عظيمة: (لَنْ يُصْلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)، وهو اتباع السنة، اتباع الشرع القويم، ومن ذلك زيارة القبور، فإنها تعود بالنفع على الزائر والمزور، المزور وهو الميت يدعى له، ويستغفر له، ويترحم عليه، والزائر ينال الثواب بإحياء هذه السنة النبوية بزيارة القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك)، كلما بعد الناس عن سنن الأنبياء -مع الأحياء والأموات- فيستعاض عن ذلك بما هو ضده مما يضر الأحياء ولا ينفع الأموات، بل يؤلم الأموات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحوا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا)، في هذا السياق ينقل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن السلف أنهم كانوا إذا سلموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني: سلموا على قبره- وأرادوا الدعاء، فإنهم يتوجهون إلى القبلة، ويدعون الله جَلَّ وَعَلَا بما شاءوا، وذلك ابتعاداً عن الابتداع في الدين، وابتعاداً عن التوجه بالدعاء إلى قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه ليس قبلة للدعاء، وإنما هو قبلة للسلام عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإذا أراد الدعاء، فإنه يتنحى إلى جهة القبلة ويدعو الله بما شاء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة)، الدعاء عبادة، والعبادة

يُستقبل بها القبلة، وهي الكعبة، ولا يُستقبل لا قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غيره من القبور، وإنما هذا شأن المبتدعة، وشأن القبوريين الذين يدعون الميت، ويستغيثون به، وهذا من أمور الجاهلية لا من الشريعة الإسلامية.

فمن أراد الدعاء بعد السلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يتوجه إلى القبلة، ويتبعد عن القبر، بل ينحاز إلى المسجد، ويدعو الله بما شاء متوجهًا إلى القبلة.



ش: وفي الترمذي وغيره: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١).

فجرد السلف العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الدعاء لأصحابها، والاستغفار لهم، والترحم عليهم^(٢).

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». وإسناده جيد ورواته ثقات^(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الترمذي وغيره: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»)، عند الإمام الترمذي صاحب السنن أنه قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

«هُوَ الْعِبَادَةُ»، فدل على أن الدعاء ما دام أنه هو العبادة، فإنه تُستقبل له القبلة، ولا يُستقبل القبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فجرد السلف العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الدعاء لأصحابها، والاستغفار لهم،

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٢٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٢٩٨/٣٠) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٤٠٣/١٤)، وابن أبي شيبة (٦٠/٢)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢).

والترحم عليهم)، هذا ما يُفعل عند القبر بعد السلام عليه أنه يُدعى له، ويُستغفر له، ويُترحم عليه، ولا يُدعى نفس الميت، أو يُستقبل القبر وقت الدعاء، وإنما تُستقبل القبلة، ويبتعد عن القبر، هذا ما عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»)، يعني: لا يُدعى عندها، ولا يُدعى بداخلها؛ فإن هذا شأن القبور، وإنما المسلم يعمر بيته بدعاء الله والاستعانة به، تسبيحه وتعظيمه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِ عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»)، هذا ما ثبت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، يعني: لا تدعون الله فيها، فدل على أن القبور لا يُدعى عندها ولا بها.

وإنما يُدعى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويكون ذلك في بيوته وهي المساجد التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ بَحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿[النور: ٣٦-٣٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِ عِيْدًا»)، («وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِ عِيْدًا»)، يعني: تكرر زيارته، وتعتادونه في وقت متقارب، وإنما الشأن مع قبره

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كسائر القبور، يُسلم عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وينصرف الزائر، وإذا أراد أن يدعو الله فإنه يدعو في المسجد، في مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوجهاً إلى القبلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ((وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ))، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَصَلُّوا عَلَيَّ»، وهذا مما أمر الله جَلَّ وَعَلَا به، وبدأ بنفسه، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد، وهذا ليس له مكان خاص، بل هذا يفعله المسلم في أي مكان حينما يصلي على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ((وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ))، «وَصَلُّوا عَلَيَّ»: ليس خاصاً عند القبر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»، يبلغه الله الصلاة والسلام عليه، فيُسر بذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



ش: قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا». أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحري النافلة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم.

ثم إن في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ما يغضب الله لأجله كل من في قلبه وقار الله، وغيره على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميت إيلام.

فمن المفاسد: اتخاذها أعيادًا، والصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية، وقضاء الدين، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»). أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، يعني: خالية من ذكر الله، ومن الصلاة النافلة فيها، ومن تلاوة القرآن، اعمروها بذلك، ونوروها بذلك.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا». أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحري النافلة عند القبور)، أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَحَرَى البيوت بالدعاء، تُعْمَر بالدعاء، ولا تكون خامدة خاملة لا يُدْعَى الله فيها، وإنما تُعْمَر بدعاء الله فيها، وبالصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تكون مستنيرة بذكر الله عَزَّجَلَّ، والصلاة والسلام على رسول الله.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحرير النافلة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم)، أمر أَنْ تُثْمَرَ البيوت بالدعاء، والصلاة النافلة فيها، أَنْ تُعْمَر بذلك وتُنَوَّرَ، ولا تُجْعَلَ مثل القبور لا يُصَلَّى عندها، ولا تتخذ للدعاء عندها.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (ثم إن في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاصد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ما يغضب الله لأجله كل من في قلبه وقار الله، وغيره على التوحيد، وتمجيد، وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميت إيلام)، المبتدعة عكسوا الأمر، فجعلوا الدعاء والصلاة عند القبور مشاهين للمشركين الذين يدعون الأموات، ويستغيثون بهم في الملمات.

فالمسلم يُسَلِّم على القبور، ويدعو للأموات، وإذا أراد الدعاء وأراد الصلاة يذهب إلى المسجد فيدعو الله فيه ويصلي، ويفعل ما يشاء من العبادات المشروعة الطيبة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فمن المفاصد: اتخاذها أعيادًا)، من المفاصد: اتخاذ القبور أعيادًا يأتون إليها في وقت محدد، ويجدعون عندها، ويفعلون عندها من

المبتدعات ما لم يشرعه الله عَزَّوَجَلَّ مشاهين بذلك فعل النصارى عند قبور أنبيائهم وصالحهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن المفاسد: اتخاذها أعيادًا، والصلاة إليها)، من المفاسد التي تُفعل عند القبور: الدعاء عندها، والصلاة إليها وهذا أشد يستقبل القبور في الصلاة، والله جَلَّوَعَلَا شرع استقبال القبلة بالصلاة، وجعل ذلك من شروط صحة الصلاة استقبال القبلة، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والطواف بها)، والطواف بها وهذا أشد، صارت مضاهية للعبة المشرف، الطواف إنما يكون بالكعبة المشرفة خاصة التي هي بيت الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتقبيلها)، تقبيل القبور، وهذه القبور لا تُقبل لا قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا غيره، لا تُقبل القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (واستلامها)، واستلامها باليد؛ بأن يمسح بيده على القبر، وهذا لا يُشرع عند القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتعفير الخدود على ترابها)، وهذا أشد، تعفير الخدود على ترابها؛ بأن يمرغ وجهه على القبر، وهذا أمرٌ باطل مبتدع -نسأل الله العافية-.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم)، وهذا أشد، دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم.

الدعاء خاصٌّ بالله عَزَّجَلَّ هو الذي يُدعى، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، فسمى الدعاء عبادة لا تُفعل إلا في بيوت الله، وهي المساجد، ولا يتوجه على القبور بالدعاء، وإنما يتوجه على القبلة هذا الدعاء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية، وقضاء الدين، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحَذِّرُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا صَنَعُوا^(١).

فالمسلمون إنما يتوجهون بالصلاة والدعاء في المساجد التي هي بيوت الله عَزَّجَلَّ، وأما القبور - قبور المسلمين - إنما يُسلم عليها، ويُدعى لأصحابها فقط.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم)، لا فرق في هذا بين الذين يدعون عند القبور ويتضرعون إليها، ويتوجهون بالدعاء للميت، لا فرق بينه وبين عباد الأصنام الذين يدعون أصنامهم من دون الله.



ش: فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم، بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورووا أنهم قد أربوا في الريح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلى إلى القبلتين فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسراناً.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم، بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج)، وهذا من البدع المحدثه عند القبور؛ بأن يتوجه إليها بالدعاء، ويحضر البكاء عند زيارتها وغير ذلك.

إنما المشروع عند القبور أن يُسلم على أصحابها، وأن يدعى لهم، لا يُدعون وإنما يُدعى لهم؛ لأنهم بحاجة إلى من يدعو الله لهم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس)، وهذا شأن عباد القبور -نسأل الله العافية-.

القبور - قبور المسلمين - إنما تُزار للسلام على أصحابها والدعاء لهم، فإذا أراد الدعاء، فإنه يذهب إلى المسجد.

كان الصحابة يُسلمون على الرسول ﷺ وعلى صاحبيه، ثم ينصرفون إلى المسجد ويصلون فيها، ويدعون الله بما شاءوا، ولا يفعلون ذلك عند قبر النبي ﷺ، وقبري صاحبيه مما يدل على أن هذا من البدع المنكرة، ومما لم يشرعه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ولا رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم، بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورووا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج)، يعني: زادوا في الحج على الحجيج لبيت الله؛ فإن هذه الأمور إنما تُفعل في الحج وعند بيت الله العتيق، الكعبة المشرفة والمسجد الحرام، والمسجد النبوي وسائر المساجد التي هي بيوت الله هي محل الدعاء، وتلاوة القرآن ومحل العبادات، وليست المقابر، لا قبور الأنبياء ولا غيرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاستغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد)، استغاثوا بما بلا يبدئ ولا يعيد وهو الميت، الميت لا يبدئ ولا يعيد، فكيف يدعونه مع الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ويستغيثون به، ويفعلون عنده ما لم يشرعه الله ولا رسوله مما هو من المنكرات والمبتدعات مشابهين بذلك فعل النصارى عند قبور أنبيائهم وصالحهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاستغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد)، استغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، وهو الميت، نادوه من مكان

بعيد، ونسوا أن ينادوا الله جَلَّ وَعَلَا، وأن يدعوا الله ويتوجهوا بدعائهم على الله القريب المجيب الذي أمر بدعائه الذي قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

ثم قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ [غافر: ٦٠]، فدل على أن الدعاء عبادة، وما دام أنه عبادة، فإنه لا يُفعل فيه إلا ما ثبت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يثبت أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا عند القبور، ولا أمر بالدعاء عندها، فكيف بدعائها؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين)، كما يُفعل في المسجد، وهذا من البدع المنكرة، الصلاة عند القبر ممنوعة، لا يُصلى عند القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلى إلى القبليتين)، نسأل الله العافية، (من صلى إلى القبليتين)، يعني: بيت المقدس ومساجد المسلمين في البلاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسراناً)، نسأل الله العافية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسراناً)، لا شك أن هذا خيبة وخسارة، التوجه لغير الله والدعاء لغير الله، وغير ذلك من أنواع الطاعات التي تُفعل عند القبور كلها من الأمور الباطلة المحرمة المنهي عنها.

ش: فلغير الله - بل الشيطان - ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات.

ثم انشوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل، والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والحدود، التي يعلم الله أنه لم تعفر كذلك بين يديه في السجود.

ثمكملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقتهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقد قربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضاً ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجراً وافراً وحظاً.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فلغير الله - بل الشيطان - ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات)، نسأل الله العافية. كل هذا من الأمور الباطلة؛ لأن هذا لم يشرعه الله ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا الأموات يرضون بهذا إذا كانوا من الصالحين فإنهم لا يرضون بهذا. الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً»^(١)، فكيف بغيره؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين)، يعني: حولوا العبادات التي شرعها الله في المسجد الحرام حولوها إلى القبور، وصاروا يفعلونها عند القبور متوجهين إلى أصحابها، يدعونهم ويتوسلون بهم، ويتقربون إليهم، وهذا إملاء من شياطين الإنس والجن الذين أضلوهم عن سواء السبيل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم أخذوا في التقبيل، والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام)، صاروا يفعلون بالقبر من التمسح به، والدعاء عنده ما يفعل في المسجد الحرام الذي جعله الله ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

فهذا هو الذين شرعه الله لعباده، وأمر به، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، فسمى الدعاء عبادة، بل هو أخص أنواع العبادة التي توجه بها إلى الله، وفي بيته العتيق.

﴿فِي يُؤْتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾ وهي المساجد.

﴿وَيَذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحَرُّ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [النور: ٣٦-٣٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنه لم تعفر كذلك بين يديه في السجود)، هذا ما يفعله القبوريون عند قبور

أمواتهم أنهم يعفرون خدودهم بترابها، ويمرغون وجوههم عليها، ويدعون عندها ويبكون بكاء لو كان في المساجد لرحمهم الله به، ولكنهم وجهوه إلى الأموات - والعياذ بالله -.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثمكملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق)، يحنمون ما يفعلونه عند القبور بتقصير رؤوسهم وحلقها كما يفعل في الحج إلى بيت الله العتيق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق)، خلاق النصيب، (استمتعوا بخلاقهم)، يعني: بنصيبهم الذي وجهوه إلى القبور - والعياذ بالله - ﴿كَمَا أَسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٩].

فسنة المشركين واحدة يتوارثونها ويحرصون عليها؛ لأن الشيطان يشجعهم، شياطين الإنس والجن من علماء السوء وعلماء الضلال هم الذين يقادونهم إلى هذه المخازي عند القبور، وينسون بيوت الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق)، (واستمتعوا بخلاقهم)، يعني: نصيبهم عند هذا الوثن الذي هو القبر الذي اتخذوه وثناً، وليس لهم عند الله من خلاق - والعياذ بالله - ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد قربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين)، هكذا حالهم - والعياذ بالله -

حولوا العبادات إلى مبتدعات وإلى توجه بها إلى غير الله فخابوا وخسروا،
وتعبوا ولم يربحوا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلو رأيتهم يهني بعضهم بعضاً ويقول: أجزل الله لنا
ولكم أجراً وافراً وحظاً)، يهني بعضهم بعضاً بما فعلوا -والعياذ بالله- عند
القبور والأضرحة التي اتخذوها مساجد، ومعابد، وشغلوا أنفسهم بما هو
من شقائهم وخيبتهم.



ش: فإن رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولا بحجك كل عام.

هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال، ويدور في الخيار، وهذا مبدأ الأصنام في قوم نوح كما تقدم.

وكل من شم أدنى رائحة من العلم، والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه، وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه، وتوعده عليه، وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته. اهـ. كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولا بحجك كل عام)، هكذا يزين لهم شياطين الإنس والجن أن حجهم إلى القبور أفضل من الحج إلى بيت الله العتيق، ويأبى أن يبيعه بأغلى الأثمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال، ويدور في الخيار، وهذا مبدأ

الأصنام في قوم نوح كما تقدم)، قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جاءهم نوح يدعوهم إلى الله، ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤]، نسأل الله العافية، وهؤلاء كانوا رجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا، ماتوا في عام واحد فحسنوا فحزنوا عليهم، فجاءهم الشيطان فقالوا: ابنوا على قبورهم، فإنها تذكركم بالله عَزَّجَلَّ، فبنوا على قبورهم، ومن ذلك الوقت انتشرت عبادة الأوثان وعبادة القبور، هذا أمر حدث في عهد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أنه يحذرهم وينهاهم عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل من شم أدنى رائحة من العلم، والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور)، أعظم الأمور: سد الذريعة التي تفضي إلى هذا المحذور الذي هو التعلق بالقبور والاستغاثة بها، والالتجاء إليها، فهذا أمرٌ جلل أصاب الأمة في دينها، ولكن الحمد لله لا يزال من أهل العلم والدين من يحذر من ذلك، وينهى عنه أشد التحذير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه، وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه، وتوعده عليه)، صاحب الشرع هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعلم بما يؤول إليه هذا الفعل عند القبور، حذر منه أشد التحذير، وجاهد في إزالته جهادًا عظيمًا، وهذا كله من إملاء شياطين الإنس والجن الذين يزينون للناس عبادة غير الله، ودعاء غير الله، وتعظيم مشاعرهم والتي بنوها أفضل مما يُتوجه إلى البيت العتيق.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَأَنْ الْخَيْرَ وَالْهَدَى فِي اتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ)، الْخَيْرَ وَالْهَدَى فِي اتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي طَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠].

فَالرَّسُولُ بَلَغَ عَنِ اللَّهِ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا، لَا يَزِغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَالشَّرَّ وَالضَّلَالَ فِي مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ)، كُلَّ الشَّرِّ وَالضَّلَالَ فِي مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ، وَفِي مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ، كُلَّ الشَّرِّ فِيهَا، فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْفَهْمَ وَالْمَعْرِفَةَ وَبَصَرَهُ بِالْدِّينِ، فَإِنَّهُ يَقْتَفِي أَثَرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ ابْنِ الْقَيْمِ رَحْمَةُ اللَّهِ)، جَزَاهُ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ.



فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي الْمَصُورِينَ .

الثَّانِيَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَى الْعِلَّةِ ، وَهُوَ تَرْكُ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي» .

الثَّالِثَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِمْ ، لِقَوْلِهِ : «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً» .

الرَّابِعَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا .

الخَامِسَةُ : أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ بَعْدَ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذِّبُ بِهَا الْمَصُورَ فِي جَهَنَّمَ .

السَّادِسَةُ : أَنَّهُ يُكَلِّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ .

السَّابِعَةُ : الْأَمْرُ بِطَمَسِهَا إِذَا وَجِدَتْ .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : (الأولى : التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي الْمَصُورِينَ) ؛ لأنَّ الرُّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن المصورين .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : (الثَّانِيَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَى الْعِلَّةِ ، وَهُوَ تَرْكُ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي») ، ومن آفات التصوير : أَنَّ المصور يحاول أن يخلق كخلق الله عَزَّجَلَّ الذي انفراد به ، فالمصور يحاول ذلك أن يوجد صورة تشبه خلق الله عَزَّجَلَّ .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : (الثَّالِثَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِمْ ، لِقَوْلِهِ : «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً») ، يقول الله جَلَّوَعَلَا : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً» ، وَأَنَّى لَهُمْ ذَلِكَ ! .

الذرة الصغيرة أو حبة الشعيرة لا يقدرّون على أن يخلقوا مثلها؛ لأن الخلق خاص بالله جَلَّوَعَلَا هو القادر على الخلق والإيجاد، وإنما المصور أن يضاهي خلق الله.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (الرَّابِعَةُ: التَّضَرِّيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا)، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»^(١).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (الخَامِسَةُ: أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا الْمُصَوِّرُ فِي جَهَنَّمَ)، نسأل الله العافية، يخلق الله بكل صورة نفسًا يعذب بها المصور في نار جهنم، ويقال لهم: «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكَلِّفُ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ)، يُكَلِّفُ يوم القيامة، تُحْضَرُ الصور كلها التي صورها في الدنيا، فيكلف أن ينفخ في كل واحدة الروح، وليس بنافع، هذا من شأن الله جَلَّوَعَلَا.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (السَّابِعَةُ: الْأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ)؛ لئلا تضل الناس، فهي وسيلة إلى الشرك، وعبادة غير الله جَلَّوَعَلَا، ولهذا لعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصورين، وأخبر أنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة.



٦١ - بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلْفِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلْفِ).

أي: من النهي عنه والوعيد.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

قال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير^(١).

وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا.

وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحتثوا^(٢).

والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلْفِ)، يعني: ما جاء من النهي

عن كثرة الحلف؛ لأن هذا يدل على التهاون في الحلف، وهو من علامات

المنافقين، قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤].

(١) انظر: تفسير الطبري (٣١/٧)، وتفسير ابن كثير (٩٢/٢).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٥/٤)، وتفسير البغوي (٦٢/٢)، والدر المنثور

(٧١٣/٢).

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾) قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أي: لا تحلفوا، وقيل: لا تحلفوا إلا وأنتم صادقون؛ تعظيماً لليمين بالله عَزَّجَلَّ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلْفِ) أي: من النهي عنه والوعيد.

(مَا جَاءَ) يعني: من الوعيد، ومن النهي عن كثرة الحلف، فالمسلم يعظم اليمين بالله، ولا يكثر من الحلف؛ لأن الإكثار من الحلف يدل على التهاون بها، وهذا من النفاق.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]. قال ابن جرير: لا تركوها بغير تكفير) ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ يعني: بالكفارة إذا حلفتם وعلمتم أن حلفكم ليس بمحله، فكفروا ذلك بالصدقة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا) ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ يعني: لا تحلفوا، احفظوها بعدم الحلف؛ تعظيماً لها، وتوقيراً للحلف بالله عَزَّجَلَّ، وهذا يدل على صدق الإيثار.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقال آخرون: احفظوا أيانكم عن الحنث فلا تحنثوا) احفظوا أيانكم عن الحنث، إذا حلفتם فاحفظوا أيانكم، بمعنى: لا تنقضوا هذه اليمين بمخالفة ظاهرها.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من

الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب،
أو عدمه) كأنه يترجح عند الشارح رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أي:
لا تحلفوا إلا عند الحاجة التي تدعو إلى ذلك، فالتقليل من الحلف دليل على
تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فالذي يكثر من الحلف هذا دليل على تهاونه بها؛ لأنه
لو كان يعظم الحلف بالله لم يحلف، أو لم يكثر من الحلف بالله عَزَّوَجَلَّ؛ تعظيماً
لها، وحفظاً لها من أن تبذل وأن تمتهن.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسُّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخْرَجَاهُ^(١).

ش: قوله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسُّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»). أَخْرَجَاهُ أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود والنسائي.

والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أعطى فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقاً فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب، وحلف طمعاً في الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأساً. وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي، فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسُّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»). أَخْرَجَاهُ يعني: ينفق يرغب في السلعة، فإذا حلف صاحبها، فإن الطرف الآخر يعظم اليمين، وتزوج عنده هذه السلعة التي حلف صاحبها أنها طيبة، وأنها خيرة، وأنها مفيدة... إلى آخره، فهو مروج للسلعة، لكنها من الطرف الآخر ممحقة للبركة، وذلك

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)، وأبو داود (٣٣٣٥)، والنسائي (٦/٤).

لأن كثرة الحلف تدل على التهاون في اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا نقص في دين الحالف؛ لأنه لو كان يعظم اليمين لاحترمها، ولم يكثر منها إلا بقدر الحاجة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلْفُ مَنْقَعَةٌ لِلْسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخْرَجَاهُ) أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود والنسائي). هذا يدل على ثبوت وعلى معنى أن حفظ اليمين ألا يحلف، احفظوها أي: لا يحلف إلا عند الحاجة، أو على قدرها؛ تعظيماً لليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، وبراءة من النفاق، لأن المنافقين يكثرون من الحلف بالله وهم كاذبون، فلا يحترمون اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، بخلاف أهل الإيمان، فإنهم لا يحلفون إلا وهم صادقون، ولا يحلفون إلا بقدر الحاجة، فلا يكثرون من الحلف بالله عَزَّوَجَلَّ تعظيماً له.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أعطى فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقاً فيما حلف عليه، فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب، وحلف طمعاً في الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة) يعاقبه الله بمحق البركة؛ لأنه تهاون بالحلف، فراجت سلعته؛ لأن الناس يغترون بيمينه، فيثقون به، وهو متهاون بالحلف، ولا يعظمها حق عظيمها، فهذا علامة النفاق -والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه) نعم هو يظن أن الحلف سيروج سلعته، في حين أنه ينقصها ويهضمها؛ لأن صاحبها تهاون

بالحلف بالله، فلم يعظم اليمين حق تعظيمها، فلذلك عوقب بنزع البركة من كسبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسًا) يعني: أصلًا، فلم يحصل على كسب من وراء هذه اليمين، فلا سلمت له يمينه، ولا توفر له ماله، وهذا حرمان وعقوبة له؛ بسبب تهاونه باليمين بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما عند الله لا ينال إلا بطاعته) ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولا ينال بكثرة الحلف، ومعصية الله، والتهاون باليمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإن تزخرت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب) إن تزخرت الدنيا ووثق الناس في حلف هذا الرجل، وراحت سلعته، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يعاقبه، وعقاب الله ممحقة لبركة هذه السلعة، وإثم على هذا الحالف الذي تهاون باليمين؛ ليروج هذه السلعة، فإنها وإن راجت بالكذب، فإن البركة نزعت منها.



وَعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أَشْيَمُطُ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِبَيْمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِبَيْمِينِهِ».

رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ^(١).

ش: و«سَلْمَانَ» لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وشهد الخندق، روى عنه أبو عثمان النهدي، وشرحبيل ابن السمط، وغيرهما.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ»^(٢)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةٌ: عَلِيٌّ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَسَلْمَانُ، وَالْمِقْدَادُ». أخرجه الترمذي، وابن ماجه^(٣).

قال الحسن: كان سلمان أميراً على ثلاثين ألفاً يخطب بهم في عبادة يفترش نصفها، ويلبس نصفها^(٤).

توفي في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو عبيدة سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤٦/٦) رقم (٦١١١)، وفي الصغير (٨٢/٢) رقم (٨٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٧/٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٣/٢١)، والطبراني في الكبير (٦٠٤٠)، والحاكم في المستدرک (٦٩١/٣) من حديث عمرو بن عوف المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧١٨)، وابن ماجه (١٤٩)، وأحمد (١٢١/٣٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨٧/٤)، أبو نعيم في الحلية (١٩٧/١).

ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أَشْنِمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ». رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ).

«أَشْنِمِطٌ زَانٍ» يعني: من بان فيه الشيب، شمطه الشيب، فإن هذا حري أن يعظم اليمين ويحترمها، لكنه كان على العكس -والعياذ بالله-، فإن وثق به الناس وراجت سلعته، فإنها سلعة محوقة البركة لا خير فيها؛ بسبب أن صاحبها روجها باليمين الكاذبة.

«أَشْنِمِطٌ زَانٍ» يعني: من كبرت سنه، لأن هذا حري أن تضعف شهوته، وحري أن يكون يخاف من الله عَزَّجَلَّ، لأنه ما بقي من عمره إلا القليل.

«وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»: العائل هو: الفقير، فإذا كان مستكبراً مع كونه فقيراً، فهذا دليل على قلة الأمانة فيه، ودليل على قلة خوفه من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

«وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»: الثالث رجل جعل الله بضاعته، بمعنى: لا يبيع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه، فهذا دليل على قلة خوفه من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه إذا تهاون باليمين، فهذا دليل على عدم تعظيمه لليمين، ودليل على قلة خوفه من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (و «سَلْمَانَ» لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة) سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا الرجل صاحب السابقة في الإسلام، والصدق والأمانة توفرتا فيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو سلمان الفارسي يعني: من أهل فارس، ليس عربياً، ولكن الله منَّ عليه بصحبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدقه في ذلك، فهذا فضل من الله يؤتیه من يشاء، فقد يؤتي هذا الفضل لمن ليس من العرب، وقد يحرم كثيراً من العرب لتهاونهم بالله عَزَّجَلَّ، ويمنُّ على هؤلاء الفرس بالصدق، فضل الله يؤتیه من يشاء، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وشهد الخندق، روى عنه أبو عثمان النهدي، وشر حبيل بن السمط، وغيرهما) شهد سلمان الفارسي غزوة الخندق، حينما تألب المشركون على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزوه بالمدينة؛ ليقضوا على دعوته، فأشار سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحفر خندقاً حول المدينة؛ لأجل ألا تقدر الخيل على اقتحام الخندق، وحينئذٍ يبطل كيد المشركين، فنفع الله بهذه المشورة، وحفر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خندقاً حول المدينة، فلما رآه المشركون -رأوا هذا الخندق- قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها، وذلك من فضل الله، ثم بسبب مشورة هذا الرجل الصادق سلمان الفارس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»)، وحاز على هذا الفضل العظيم، فقال: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ» يعني: بيت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكفاه شرفاً أن الرسول نسبه إلى أهل البيت، وأنه من أهل

البيت، فشرّف له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما ضرّه أنه غير عربي، فضل الله يؤتيه من يشاء، يؤتيه للصادقين من العرب وغيرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً: عَلِيًّا، وَأَبُو ذَرٍّ، وَسَلْمَانَ، وَالْمِقْدَادُ». أخرجه الترمذي، وابن ماجه). هذا فضل عظيم لهؤلاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(عليّ): علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَأَبُو ذَرٍّ): أبو ذرّ الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَسَلْمَانُ): الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَالْمِقْدَادُ): المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الحسن: كان سلمان أميراً على ثلاثين ألفاً يخطب بهم في عبادة يفترش نصفها، ويلبس نصفها. توفي في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عبيده سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة). رضي الله عنه وأرضاه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي). احتمال، ولكن الأرجح أنه سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ش: قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ». الله نفى كلام الرب - تعالى وتقدس - عن هؤلاء العصاة دليل على أن يكلم من أطاعه، وأن الكلام صفة كماله، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين قيام الأفعال بالله - سبحانه -، وأن الفعل يقع بمشيئته - تعالى -، وقدرته شيئاً فشيئاً، ولم يزل متصفاً به.

فهو حادث الآحاد، قديم النوع، كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث، وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

فاتى بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضاً، وذلك في القرآن كثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا قالوا لنا يعني: النفاة فهذا يلزمه أن تكون الحوادث قائمة به قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل.

ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الإعراض، والنقائص، والله - تعالى - منزّه عن ذلك، ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله، ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة.

والقول الصحيح: هو قول أهل العلم والحديث الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من أئمة السنة). اهـ^(١).

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها، وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم.

قوله: «وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات.

قوله: «أَشْمِطُ زَانَ». صغره تحقيرًا له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية، والفجور، وعدم خوفه من الله، وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية، فينتهي ويراجع.

وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر؛ لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة، والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبع له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته، لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي.

قوله: «وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بَضَاعَةً». بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه، وهذه أعمال تدل على أن صاحبها

إن كان موحداً فتوحيده ضعيف، وأعماله ضعيفة، بحسب ما قام بقلبه، وظهر على لسانه، وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، نعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا، ولا يرضاه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ». الله نفى كلام الرب - تعالى وتقدس - عن هؤلاء العصاة دليل على أن يكلم من أطاعه) يكلم من أطاعه تكرمة له، ورفعاً لشأنه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وأن الكلام صفة كماله، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين قيام الأفعال بالله - سبحانه -، وأن الفعل يقع بمشيئته - تعالى -، وقدرته شيئاً فشيئاً، ولم يزل متصفاً به، فهو حادث الآحاد، قديم النوع) يعني: كلام الله، كلام الله حادث الآحاد، قديم النوع، فنوع الكلام قديم، وأما أفراد الحوادث التي تكلم الله بها فهي حادثة، فكلام الله قديم النوع، حادث الآحاد كسائر صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث، وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]: هذا دليل على أن الله يتكلم إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويتكلم بمناسبة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال

والاستقبال أيضًا، وذلك في القرآن كثير) كلام الله جَلَّ وَعَلَا حادث الآحاد، قديم النوع، يعني: أفراد الأحوال التي تكلم الله بها حادثه، وأما نوع الكلام القائم بذات الله، فإنه قديم لا بداية له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا قالوا لنا يعني: النفاة فهذا يلزمه أن تكون الحوادث قائمة به قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الإعراض، والنقائص، والله - تعالى - منزه عن ذلك، ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله، ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة. والقول الصحيح: هو قول أهل العلم والحديث الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من أئمة السنة). اهـ.

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها، وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم) هذا معنى قيام الحوادث: قدرته عليها، وإيجاده لها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «أُشِيمُطُ زَانٍ». صغره تحقيرًا له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية،

والفجور، وعدم خوفه من الله، وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية، فينتهي ويراجع) الهدف أن الكبير في سنه تقل شهوته في النساء، وهذا لم تقل بل زادت -والعياذ بالله-؛ بسبب الفتنة، أن الله فتنه بهذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعو به إلى الكبر؛ لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة، والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبع له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته، لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميمة الذي هو من أكبر المعاصي) العائل يعني: الفقير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِضَاعَةً». بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه) لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه، فيصدق الناس اعتماداً على اليمين بالله عَزَّجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيدة ضعيف، وأعماله ضعيفة، بحسب ما قام بقلبه، وظهر على لسانه، وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، نعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا، ولا يرضاه) إن كان من أهل التوحيد، وياشر هذه الأشياء، فهذا دليل على ضعف توحيدة.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَذْرِي، أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ».

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»^(١).

ش: قوله: (وَفِي الصَّحِيحِ). أي: صحيح مسلم، وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ «خَيْرُكُمْ»^(٢).

قوله: (عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَذْرِي: أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»).

قوله: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي»، لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان، والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون،

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢١).

فغلب الخير فيها، وكثر أهلها، وقل الشر فيها وأهلها، واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء، ثم الذين يلونهم فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم، وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه، والقائم به، وما ظهر فيه من البدع أنكر واستعظم وأذيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت، فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل في من عاند منهم ولم يتب.

قوله: «فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟»، هذا شك من راوي الحديث -عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل، لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون، والإسلام فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء.

فقال: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ»، لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريمهم الصدق، وذلك لقلّة دينهم، وضعف إسلامهم. قوله: «وَيَحُونُونَ وَلَا يُؤْتَمُّونَ». يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم، «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ» أي: لا يؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم.

قوله: «وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»، لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم، والتنعّم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة، والعمل لها.

وفي حديث أنس: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبِّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١)، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى في من ينتسب إلى العلم، ويتصدر للتعليم والتصنيف.

قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظماً ونثراً، فنعوذ بالله من موجبات غضبه.

قوله: (وَفِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»).

قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا، ونسى المعاد، فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملاً وأداء؛ لقلّة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب على الأكثر - والله المستعان - فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول، فما بعده أكثر بأضعاف، فكان الناس على حذر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَذْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيُخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْدُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ

فِيهِمُ السَّمْنُ)). هذا فيه أنه كلما تأخر الوقت، فإن الناس يتغيرون، وتحف الأمانة، فيأتي أناس: «يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ» يعني: يشهدون دون أن تطلب منهم الشهادة، «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ»، والنذر قال الله جَلَّوَعَلَا في وصف عباده المؤمنين: ﴿يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ﴾ [الإنسان: ٧]، فوصفهم بأنهم يوفون بالنذر، في حين أن هناك قوم أخبر عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ»، يعني: خفَّت الأمانة عندهم، وخفَّ الدين، حتى إنهم ينذرون، والنذر إذا صدر يجب الوفاء به، إذا كان نذر بر يجب الوفاء به؛ لأنه تعهد من العبد بينه وبين ربِّه بأن يفعل الخير، وهذه علامة خير فيهم أنهم يوفون بالنذر، على العكس من الذين يأتون في آخر الزمان، فإنهم ينذرون ولا يوفون بنذرهم، وهذا نقص في إيمانهم، نقص في دينهم، لاشكَّ أنه كلما تأخر الزمان تغيَّرت الأحوال، ونقص الدين إلى أن تقوم الساعة، والناس في نقص في دينهم إلا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَبَقِيَ عَلَى الدِّينِ، فالأرض لا تخلو من هؤلاء، لكنهم يقلون في آخر الزمان.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (قوله: وَفِي الصَّحِيحِ. أي: صحيح مسلم، وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ: «خَيْرُكُمْ»)، قوله: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي»، لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان، والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها، وكثر أهله، وقل الشر فيها وأهله، واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء خير القرون هو القرن الذي فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان أهله في أعلى الدرجات من الإيمان والإحسان، وفعل الخير، والابتعاد عن

الشر؛ لأنهم تربوا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعلموا عليه، فلما توفي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأخر الزمان وتغير الحال، كلما بعدوا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغير الحال، ونقص الإيمان فيهم إلا من شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن الأرض لا تخلو من أهل الخير، لكنهم يقلون ويكثرون.

قوله رَجْمَةُ اللَّهِ: (ثم الذين يلونهم فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم، وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه، والقائم به): خير القرون القرن الذي فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد قرن الرسول يتناقص الخير، لا يعدم ولكنه يتناقص، وكل قرن أنقص من الذي قبله حتى تقوم الساعة، وكلما تأخر الزمان يقل الخير ويكثر الشر، إلا أن الخير لا يعدم؛ بل يكون له بقيّة، وله أناس يوصفون به؛ لتقوم الحجة على الخلق.

قوله رَجْمَةُ اللَّهِ: (وما ظهر فيه من البدع أنكر واستعظم وأذيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت، فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل، في من عاند منهم ولم يتب) لاشك أنه كلما تقدم الزمان، يعني: كل ما كان في الزمان الأول فهو خير من الزمان الذي يأتي بعده؛ وذلك لكثرة أهل الخير في الزمان الأول، وقلتهم في الزمان الذي بعده.

قوله رَجْمَةُ اللَّهِ: (قوله: «فَلَا أَدْرِي: أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟»، هذا شك من راوي الحديث -عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل): كلما تأخر الزمان، فإنه ينقص الفضل؛ لقلّة أهله، وكثرة من يعارضونه، ويأخذون بالآراء

الجديدة التي لا أصل لها ولا دليل عليها، وهناك دعاة للضلال يكثرون، كلما تأخر الزمان يكثر دعاة الضلال، ويقل دعاة الخير، لكنهم لا يعدمون -والحمد لله-.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون، والإسلام فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء): يعني: القرن الثالث يظهر فيهم المخالفات، ومن ذلك أنهم يشهدون دون أن تطلب منهم الشهادة، فدلّ على أنهم لا يبالون بالشهادة؛ لغلبة الجهل فيهم، ولقلة الدين أيضًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقال: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ»، لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريم الصدق، وذلك لقلة دينهم، وضعف إسلامهم): لقلة دينهم وضعف إسلامهم، فهم يشهدون دون أن تطلب منهم الشهادة، فدلّ على قلة الدين فيهم؛ لأن الدين يحجز أصحابه من المخالفات الشرعية، ومنها أن الشاهد لا يشهد حتى تطلب منه الشهادة، ويكون صادقاً فيها، وكونه يشهد دون أن تطلب منه الشهادة هذا دليل على أنه لا يبالى بشأن الشهادة، ويتهاون بها لقلة الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ»). يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم، «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَنْصَرُونَ»، أي: لا يؤدّون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم): وهذه المصيبة الكبرى أنهم يخونون في الأمانة ولا يؤتمنون؛ لقلة

دينهم. يخونون ضدَّ الذين يؤتمنون، يخونون ولا يؤتمنون كلما تأخر الزمان ظهرت هذه الظاهرة السيئة، «وَيُخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ».

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ»: نعم، هذا خلاف الذين يوفون بالندّر، فإذا نذر فإنه يوفي بنذره إذا كان نذر تبرر ونذر طاعة، يوفوا بنذرهم، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ﴾ [الإنسان: ٧]، إذا نذروا، فالندّر يجب الوفاء به إذا كان نذر طاعة، ولا يجوز التهاون به؛ لأنه تعهدٌ من العبد في أن يعمل الخير ويعمل البر؛ لرغبته في ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ»: أي: لا يؤدّون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم): هذه الصفات في المتأخرين، يأتي قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»، لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم، والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة، والعمل لها)، هذه صفاتهم، ظهور السَّمَن فيهم دليل على قلة الخوف من الله في قلوبهم، فالذي يخاف من الله يظهر عليه أثر الخوف، فلا يسمن في جسمه، بل يكون نحيفاً؛ لخوفه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فهذه صفاتٌ ذميمة كلما تأخر الوقت ظهرت هذه العلامات في الناس، وهي نقص في الدين، نقص في الأمانة، نقص في الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تنعم في الدنيا، وغفلة عن الآخرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي حديث أنس: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»)، كلما تأخر الزمان

نقص الدين، وظهر الجهل؛ وذلك لضعف الإيمان في القلوب؛ ولفقدان أهل العلم الصّادقين الذين ينشرون الخير ويحذرون من الشر.

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، أنها تظهر هذه الصفات في المتأخرين؛ لقلة علمهم، ولقلة دينهم أيضاً، تظهر فيهم هذه الأمور، ويظهر فيهم السّمَن في أجسامهم؛ لقلة خوفهم من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنّ الذي يخاف الله يظهر ذلك عليه في مظهره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى في من يتسبب إلى العلم، ويتصدر للتعليم والتصنيف): في آخر الزّمان حتى يكثر الشر، حتى يظهر الذين يدعون العلم ويدعون المعرفة، وإن كان فيهم علم وفيهم، لكن يقل العمل به، فليس الشأن في وجود العلم بدون عمل، فالعمل مقرونٌ بالعلم، فلا يكفي وجود العلم بدون عمل، كما أنّه لا يكفي العمل بدون علم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظماً ونثراً، فنعوذ بالله من موجبات غضبه): إذا ظهرت هذه العلامات ظهر الشر وانتشر، وتكلموا به ونشروه في مؤلفاتهم، كم في المؤلفات الآن من كتب الضلال، ومن كتب الجهل، وهذا دليلٌ على ضعف الدّين، فكلما تأخر الزمان يضعف الدّين، ويغلب الجهل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: وفيه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ

تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»): (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ): أربعة قرون.

(ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ): بعد الأربعة قرون.

(تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ)؛ لأنهم لا يبالون في اليمين والشهادة؛ لغلبة الجهل والهوى؛ لغلبة الهوى فيهم وقلة الدين فيهم، لأن الشهادة واليمين يجب احترامهما، فلا يشهد إلا على صدق، ولا يحلف إلا على برٍّ؛ لقوة دينه، فإذا ضعف الدين ظهر خلافه فيهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا، ونسى المعاد، فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملاً وأداء؛ لقلّة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب على الأكثر -والله المستعان-)؛ إذا ظهرت هذه الأمور، فإن هذا الدليل دليل شرٍّ حدث في الناس، عدم المبالاة بالشهادة، وعدم المبالاة في اليمين بالله، فهم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول، فما بعده أكثر بأضعاف، فكان الناس على حذر): كلما تأخر الزمان ظهرت علامات الشرور، والتعاملات السيئة، والاستخفاف بالدين، والاستخفاف بالأمانة، ظهرت العلامات السيئة إلا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «وَكَاُنُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَارٌ»^(١).

ش: قوله: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ) -هو النخعي- «وَكَاُنُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»، وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم، ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به، وفي هذا رغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «وَكَاُنُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَارٌ»): نعم يؤدّبون أولادهم، فينشرون فيهم تعظيم الشهادة وتعظيم العهد، بخلاف الذين ضيّعوا، أو يضيّعون أولادهم، فلا يربونهم على تعظيم الشهادة، تعظيم العهد، فيظهر فيهم عدم المبالاة بالشهادة، وعدم المبالاة في العهد، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ) -هو النخعي- «وَكَاُنُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»، وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم،

ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به): من أعظم أمور الدين تربية الأولاد على الدين، وعلى تعظيم حرمان الله عَزَّوَجَلَّ، كانوا يضربونهم على الشهادة والعهد وهم صغار؛ لأجل أن يتربَّوا على تعظيم الشهادة، وعلى تعظيم العهود، وينشئوا عليها، فهذا فيه التربية الحسنة من الوالدين لأولادهم، والآل قلَّ هذا في الناس إلا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فاليوم لا يبالون بأولادهم، ولا ينظرون إلى من يدرسهم، ويتلقون العلم عنه ويتفقدونهم، وينقلون أولادهم من علماء السوء إلى علماء الحق، حتى ولو كانوا في غير بلادهم، فيذهبون بهم إلى أهل الخير، ويسافرون بهم إلى أهل الخير؛ ليتربوا على ذلك، فهذا فيه عظم حق الأولاد على آبائهم في التربية، وتلقي العلم، وتلقي الدين، وتلقي الأمانة، فلا يتركون أولادهم بين المدرسين الذين لا يبالون بأمر العلم، ولا يبالون بأمر الدين، ولا يبالون في أمر الأمانة، يتركون أولادهم يتلقون عن أناسٍ قد لا يكون عندهم علم، أو يكون عندهم علم، وليس عندهم عمل، فليس الشأن في وجود العلم بدون عمل، ولا الشأن في وجود العمل بدون علم، بل لابد من الأمرين، أن يكون العمل مؤسسًا على علم صحيح من الكتاب والسنة، ولو أن تنقل أولادك من بلد إلى بلد، فيه العلماء وفيه الخير، أو تبعثوا بهم إلى تلك البلاد، هذا فيه عظم أمانة الأولاد في تربيتهم وتعليمهم وتوجيههم؛ لأن الأولاد هم الذين يحملون الأمانة في المستقبل، وهم الذين يحملون هذا العلم وهذا الدين، فلا بد أن يكونون مؤهلين علميًا وعمليًا وأمانيًا على حفظ هذه الأمانة، والقيام بها، ولو أن تهاجر بأولادك إلى

بلد فيه هذه الأمور الطيبة؛ ليتربوا وليتعلموا؛ حتى يعودوا حاملين للأمانة حقاً، ويقومون بنشرها صدقاً، وينفعون وينتفعون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذا رغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم): هذا فيه عظم هذا الأمر، وإن كان فيه مشقة، فإن فيه الخير، وفيه نشأة الأجيال الصالحة، فليس الشأن في أن يدرس أبناؤك دون أن تنظر إلى من يدرسهم، ومن ينشئهم ويربهم على الخير، فليس القصد نيل الشهادة، وإنما القصد نيل الأمانة في الدين والعلم الصحيح.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منققة للسُّلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد في من لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: دَمُ الَّذِينَ يَخْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلِفُونَ.

السادسة: ثناؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، أَوِ الْأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ

مَا يَخْدُثُ بَعْدَهُمْ.

السابعة: دَمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ.

الثامنة: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصَّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ): يعني: في الباب، من عادة الشيخ

رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا انتهى الباب، يذكر المسائل المستنبطة من الأدلة من الكتاب

والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: الوصية بحفظ الأيمان): قال الله جَلَّ وَعَلَا:

﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانية: الإخبار بأن الحلف منققة للسُّلعة، ممحقة للبركة):

كثرة الحلف من الباعة والمشتريين الذين يخلفون على كل معاملة، ويروجوا

أموالهم دون نظر إلى الأمانة التي بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه ظاهرة

سيئة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْحَلْفَ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مَحَقَّةٌ لِلْبَرَكَاتِ): الذي يحلف في البيع والشراء، ويكثر من الحلف هذا دليل على أنه كذاب لا يعظم اليمين بالله عَزَّجَلَّ، وإنما يستخدم الحلف؛ لأجل تنمية ماله، وتكثير ماله، دون خوف من الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي مَنْ لَا يَبِيعُ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ): ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، فأهل الصدق يعظمون اليمين بالله عَزَّجَلَّ، ولا يحلفون إلا على صدق ولا يحلفون إلا عند الحاجة، وأما الذي يبادر بالحلف على السلعة، وأنها من الجنس الطيب، وأنها أيضا من النوع الجيد، ويحلف على ذلك؛ لأجل أن يصدقه من يسمعه، هذا دليل على خفة دينه، وتساهله باليمين بالله عَزَّجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي): نعم أن الذنب يعظم مع قلة الداعي لارتكابه، الذنب يعظم إذا ارتكبه الإنسان من غير داعٍ إلى ذلك، وحتى لو كان هناك داع، فإنه يعظم اليمين بالله عَزَّجَلَّ، ويعظم الأمانة التي بينه وبين الناس والتعامل معهم بالصدق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلِفُونَ): المسألة الخامسة ذم الذين يحلفون دون أن يطلب منهم أن يحلفوا، فهذا دليل على تساهلهم في الحلف، كونه يحلف بدون أن يطلب منه الحلف؛ من أجل أن يصدقه المتعامل معه، وإن كان على غير بر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّادِسَةُ: ثَنَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، أَوِ الْأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ): ثَنَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، أَوِ الْقُرُونِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي بَعْدَ النَّبَوَةِ، وَبَيَانُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَخَالَفَاتِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَحْذِرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَيَرْبُوا أَوْلَادَهُمْ عَلَى الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ، يَقُولُ: «وَكَاثُؤَا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَارٌ»؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْظُمُوا الْحَلْفَ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ وَالْأَمَانَةَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّابِعَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ): الَّذِينَ يَشْهَدُونَ دُونَ تَطَلُّبِ مِنْهُمْ الشَّهَادَةِ، يَقُولُ: عِنْدِي لَكَ شَهَادَةُ يَافِلَانِ، وَيُرَوِّجُ يَرَوِّجُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْكَذِبِ لِيُغَيِّرَ النَّاسَ بِذَلِكَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصَّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ): كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الْأَوْلَادَ الصَّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْحَلْفِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَتَرْبُوا عَلَى تَعْظِيمِهَا، وَلَا يَتَسَاهَلُوا فِيهَا وَهُمْ صِغَارٌ، يَعْنِي: يَكُونُونَ دُونَ الْبُلُوغِ صِغَارًا؛ لِأَجْلِ التَّرْبِيَةِ؛ لِأَنَّ الطِّفْلَ يَنْشَأُ عَلَى مَا عَوَّدَهُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ



(١) البيت لم يسم قائله في كثير من الكتب. انظر: السحر الحلال في الحكم والأمثال (١/١١٢)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٣/٢٢٠٨).

٦٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

ش: قوله (بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ).

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ { [النحل: ٩١]. الآية).

قال العماد بن كثير: (وهذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١]، وَلَا تَعَارِضَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيَمَّنِيكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [المائدة: ٨٩]. أَي: لَا تَتْرُكُوهَا بِلا تَكْفِيرٍ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِنِّي وَاللَّهِ إِن شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَكَفَرْتُ عَنْ يَمِينِي»^(١)، لَا تَعَارِضَ بَيْنَ هَذَا كُلِّهِ، وَلَا بَيْنَ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ هَاهُنَا وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَيْمَانَ، الْمُرَادَ بِهَا الدَّاخِلَةَ فِي الْعُهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ، لَا الْأَيْمَانَ الَّتِي هِيَ وَارِدَةٌ عَلَى حَتٍّ أَوْ مَنَعٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يَعْنِي: الْحِلْفَ، أَي: حَلْفَ الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٨، ٦٧١٩)، ومسلم (١٦٤٩).

أَحْمَدُ: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً»^(١). وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ بِهِ^(٢).

وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَخْتِاجُ مَعَهُ إِلَى الْحِلْفِ الَّذِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَفْعَلُونَهُ، فَإِنَّ فِي التَّمَسُّكِ بِالْإِسْلَامِ كِفَايَةً عَمَّا كَانُوا فِيهِ^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ) أي: كفالة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكفالة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن قال هاتين الكلمتين، فإن هذا معناهما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]. الآية).

قال العماد بن كثير: (وَهَذَا بِمَا يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَهُوَ الْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ، وَالْمَحَافَظَةُ عَلَى الْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١]) هذا معنى قوله: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ

(١) أخرجه أحمد (٢٠/٩٦، ٢١/٤٠٣، ٢٧/٣٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٤، ٦٠٨٣)، ومسلم (٢٥٢٩، ٢٥٣٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٥٩٨).

تَوَكِيدَهَا ﴿ أَنْ مَعْنَاهُ مَنْ جَعَلَ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ تَأْكِيدًا لِكَلَامِهِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ كَفِيلًا لِمَنْ لَهُ الْحَقُّ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَتَوَلَّى ضَمَانًا ذَلِكَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيْمَنَ كُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا نَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [المائدة: ٨٩]. أَيْ: لَا تَتْرُكُوهَا بِلا تَكْفِيرٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أَيْ: لَا تَتْرُكُوهَا بِلا تَكْفِيرٍ؛ لِأَنَّ الْيَمِينَ يُوجِبُ الْكُفَّارَةَ، فَإِذَا قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، فَإِنَّهُ جَعَلَ اللَّهُ كَفِيلًا عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ فِي كِفَالَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَأْخُذُ لِحَقِّهِ مِنْ خَصْمِهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها) مَنْ نَقَضَ الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَنْتَقِمُ مِنْهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ إِذَا نَقَضْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَلَنْ يَتْرُكَكُمْ إِلَى عِقَابِهِ.



وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهٍ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيُّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهُمْ الْجَزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْضِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْضِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

ش: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، وَالسَّرِيَّةُ دُونَ الْجَيْشِ.

قوله: (أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا): أوصاه في نفسه بتقوى الله، وأوصاه بالمسلمين الذين معه خيرًا؛ لأن هذا في ذمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّتِي حَلَفَ بِهَا عِنْدَ وِلَايَتِهِ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةَ.

قوله: (ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ)، وهذا ما أوجبه الله على المسلمين أن يقاتلوا الكفار؛ ليدخلوا في الإسلام، أو يستراح من شرهم، فالجهاد لم يشرع لأجل الولايات، وإنما شرع لأجل نصرة هذا الدين، فالجهاد ليس مقصود تحصيل الولايات، وإنما هو نصرة هذا الدين، ونشر هذا الدين؛ لينجو من أراد الله سعادته به من النار.

قوله: (اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا): الغلول هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها، لا يجوز هذا للغزاة، بل الغنيمة تحفظ حتى توزع على المجاهدين، هذه أمانة على المجاهدين تحملوها، فلا بد أن يَفُؤا بها، وأيضا الغزو ليس هو لأجل الغنيمة، وإنما الغزو لإعلاء كلمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَ وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وقد جاء في سبب نزول الآية أن المسلمين غَنِمُوا شَمْلَةً مِنَ الْكُفَرِ ففقدوها، فقالوا: لعلَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها؛ لأن الرسول له حق

في الغنيمة، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأه الله من ذلك، وسماه غلولاً: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

والغلول - وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها على الغانمين - هذا فيه وعيدٌ شديد، برأ الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا تَغْدِرُوا): ولا تَغْدِرُوا باليمين التي أعطيتموها للمقابل من الكفار، فإذا أعطيتم اليمين، فالواجب الوفاء، إذا حلفتكم للكفار وإن كانوا كفاراً، فالواجب الوفاء باليمين، ولا تُغدر اليمين من أجل طمع الدنيا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا تَمْثُلُوا): يعني: بالقتل، لا يجوز التمثيل بالقتيل بأن تقطع أطرافه، ولو كان كافراً؛ لأن الجثة لها حرمة يحافظ عليها، وإن كان كافراً، جثة الميت يحافظ عليها، وإن كان القتيل كافراً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا قَتَيْتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيُّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ): فالغنيمة إنما هي على الجهاد، فالذي يجاهد مع المسلمين له

نصيب منها، والذي لم يجاهد وإن كان مسلماً ليس له حظ من الغنيمة، إنما هي حق للمجاهدين فقط؛ تشجيعاً لهم على الجهاد في سبيل الله.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْلُفْهُمْ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ): الأمر الثاني مما يجب اتخاذه مع الكفار قبل قتالهم: أن يدفعوا الجزية، وهي مقدار من المال يدفعونه للمسلمين؛ لإقرارهم على ما هم عليه، وتكون الجزية فدية.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ): هذه الخصال الثلاث إذا استنفذها معهم ولم يقبلوا، فإنه يستعين بالله على قتالهم ويقاتلهم، والنصر وعد الله به المؤمنين على الكفار إذا أبوا أن يدفعوا الجزية.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَإِذَا حَاصِرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَخَفَرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفَرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ): لا تجعل لهم ذممة الله وذممة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن اجعل لهم ذممتك وذممة أصحابك الغزاة، فإن قبلوا ذلك وإلا فقاتلهم.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَإِذَا حَاصِرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا): إذا طلب الكفار أن ينزلهم على حكم الله، فإنه لا يستجيب لهم؛ لأنه لا يدري أيصيب حكم الله فيهم أم لا، ولكن يجعل لهم حكمه وحكم أصحابه.

ش: قوله: (وَعَنْ بُرَيْدَةَ). هو ابن الحصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه. قاله في المفهم^(١).
قوله: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فِيهِ مِنَ الْفَقْهِ تَأْمِيرَ الْأُمَرَاءِ وَوَصِيَّتِهِمْ).
قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمئة ونحوها^(٢). والجيش ما كان أكثر من ذلك.

وتقوى الله: التحرز بطاعته من عقوبته.
قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه.
قوله: «وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا». أي: ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيراً من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاضم عليهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فِيهِ مِنَ الْفَقْهِ تَأْمِيرَ الْأُمَرَاءِ وَوَصِيَّتِهِمْ).
تأمر الأمراء على الجيوش والسرائيا ووصيتهم، عندما يوليهم، فإنه يوصيهم بهذه الوصية العظيمة.

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٥١١).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٣٧).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. والجيش ما كان أكثر من ذلك): هذا معنى الفرق بين السرية والجيش، فالجيش أكبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتقوى الله: التحرز بطاعته من عقوبته. قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به، والانتهاز عما نهى عنه): هذا معنى تقوى الله في المسؤولية بأن يتخذ وقاية بينه وبين المعصية، للأمانة على ما ولاه الله عليهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا»). أي: ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيرًا من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاضم عليهم). كل هذا داخل في معنى تقوى الله في الرعية، بأن يراعي هذه الأمور في مسؤوليته على من ولاه الله عليهم؛ لأن الولاية أمانة بين العبد وبين ربه، وهذه الأمانة تتضمن هذه المعاني.



ش: قوله: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ». أي: اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له. قلت: فتكون الباء في بسم الله هنا للاستعانة، والتوكل على الله. قوله: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ». هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم، وقد خصص منهم من له عهد، والرهبان، والنسوان، ومن لم يبلغ الحلم، وقد قال متصلاً به: «وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا». وإنما نهى عن قتل الرهبان، والنسوان؛ لأنه لا يكون منهم قتال غالباً، وإن كان منهم قتال، أو تدبير قتلوا.

قلت: وكذلك الذراري والأولاد^(١).

قوله: «وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا»، الغلول: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها، الغدر نقض العهد، والتمثيل هنا التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأذنه والعبث به، ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهية المثلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ». أي: اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له. قلت: فتكون الباء في بسم الله هنا للاستعانة، والتوكل على الله)، «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ» أي: متوكلين عليه فيما توليتم من هذه الغزوة وشؤونها.

(١) كما في حديث عَطِيَّةِ الْقُرْظِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ، فَمَنْ أَتَبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنَبِّتْ لَمْ يُقْتَلْ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنَبِّتْ»، أخرجه أبو داود (٤٤٠٤)، والترمذي (١٥٨٤)، وابن ماجه (٢٥٤١)، والنسائي (٣٤٣٠، ٤٩٨١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ». هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم، وقد خصص منهم من له عهد): من له عهد يكتفى منه بالوفاء بالعهد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد خصص منهم من له عهد، والرهبان، والنسوان): هؤلاء لا يقاتلون، من له عهد من الكفار هذا لا يقاتل؛ وفاء بالعهد، والنسوان؛ لأن النسوان لسن من أهل القتال، ومن لا يقاتل لا يقاتل، والرهبان الذين هم في الصوامع هؤلاء مشغولون بما هم فيه، ولا يخشى من شرهم على المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن لم يبلغ الحلم): والصغير الذي لم يبلغ الحلم؛ لأنه ليس له نية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد قال متصلاً به: «وَلَا تَقْتُلُوا وَبَنِيَّ»): وهو الصغير؛ لأنه لا يتوقع منه الغدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنما نهي عن قتل الرهبان والنسوان لأنه لا يكون منهم قتالٌ غالباً، فإن كان منهم قتالٌ أو تدبيرٌ قُتِلُوا): النساء والأطفال، ومن له عهدٌ عند المسلمين، هؤلاء لا يتوقع منهم غدر؛ فلذلك لا يقاتلون؛ لأنه لا يقاتل إلا من يتوقع منه الغدر والخيانة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإن كان منهم قتال، أو تدبير قتلوا): إذا كان من النساء أو من الأطفال تدبير قتلوا دفعاً لشرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: وكذلك الذراري والأولاد): كذلك ذراري الكفار الصغار لا يقتلون أيضاً، والصغار يعني: الأطفال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَلَا تَغْلُوا»): عرفنا الغلول فيما سبق شرحه.
قوله: («وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتُلُوا»، الغلول: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها، الغدر نقض العهد، والتمثيل هنا التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأذنه والعبث به): هذا لا يجوز حتى مع الكافر، إذا قتل فلا يجوز العبث به؛ لأن هذا لا مصلحة من ورائه؛ لأنه قتيل، ولا يخشى من شره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهية المثلة): المثلة وهي تقطيع جثة الميت.



ش: قوله: «وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ -»، الرواية بالشك وهو من بعض الرواة، ومعنى الخلال والخصال واحد.

قوله: «فَأَيُّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ، وَكَفَّ عَنْهُمْ»، قيدناه عمن يوثق بعلمه، وتقييده بنصب أيتهن، على أن يعمل فيها أجابوك لا على إسقاط حرف الجر، وما زائدة، ويكون تقدير الكلام: فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم، كما تقول: جئتكَ إلى كذا، وفي كذا. فيعدى إلى الثاني بحرف جر. قلت: فيكون في ناصب أيتهن وجهان ذكرهما الشارح. الأول: منصوب على الاشتغال. والثاني: على نزع الخافض.

قوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ». كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم، ثم ادعهم بزيادة (ثم)، والصواب إسقاطها، كما روى في غير كتاب مسلم، كمصنف أبي داود، وكتاب الأموال لأبي عبيد؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث خصال.

وقوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ». يعني: المدينة، وكان في أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام، وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن من أهل مكة وغيرهم^(١).

(١) انظر: فتح الباري (٦/١٩٠)، وسبل السلام (٤/٤٣)، والسيل الجرار (٤/٥٧٦)، وتحفة الأحوذى (٥/١٧٨).

قوله: «فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا». يعني: أن من أسلم ولم يهاجر، ولم يجاهد لا يعطي من الخمس، ولا من الفياء شيئاً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «ثُمَّ اذْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ». يعني: المدينة، وكان في أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام): فيكون هذا الحكم قد انتهى وقته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن من أهل مكة وغيرهم): الهجرة هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهذه البلاد - والله الحمد - يعني: مكة والمدينة صارتا دار إسلام، فلا يطلب الهجرة منها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا». يعني: أن من أسلم ولم يهاجر، ولم يجاهد لا يعطي من الخمس، ولا من الفياء شيئاً): لأنه لا يستحقه، إنما يستحقه من يتأتى منه الجهاد، وهؤلاء لا يتأتى منهم جهاد، فلا يعطون من الخمس.



ش: وقد أخذ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئاً، إنما لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد على فقرائهم، كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرف كل مال في أهله. وسوى مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ بين المالين، وجوزا صرفهما للضعيف.

قوله: «فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلُّهُمْ الْجَزِيَّةَ»، فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربياً كان أو غيره، كتابياً كان أو غيره.

وذهب أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم.

وقال الشافعي لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عرباً كانوا أو عجماء، وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ من المجوس^(١).

قلت: لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها منهم. وقال: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(٢).

(١) انظر: الأم للشافعي (٤/١٧٤)، والحاوي الكبير (١٤/١٥٣)، والمغني (٩/٣٢٨)، ومنهاج الطالبين (ص ١٣٨)، ومغني المحتاج (٤/٢٤٢)، ومجموع الفتاوى (١٩/٢٢)، وأحكام أهل الذمة (١/٧٩-٨١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/٢٧٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/٦٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٤٣٥)، والبزار في مسنده (٣/٢٦٤) من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد أخذ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الشيء شيئاً، إنما لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد على فقرائهم): كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ له وجه من السنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرف كل مال في أهله. وسوى مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ بين المالكين، وجوزا صرفهما للضعيف): هذا خلاف فقهي، وكل قول من القولين له وجه من الإصابة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «إِنَّ هُمْ أَبَوَا فَسَلَهُمُ الْجِزْيَةَ»، فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربياً كان أو غيره، كتابياً كان أو غيره): عموم، يعني: تعميم الجزية على كل أحد من الكفار الذين بايعوا، وهي قدر من المال يؤخذ من الكافر في مقابل إقراره على دينه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وذهب أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم): هؤلاء يقاتلون، مشركي العرب ومجوسهم ما يطلب منهم جزية، وإنما يسلمون أو يقاتلون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال الشافعي لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عرباً كانوا، أو عجماء، وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ من المجوس): والإمام أحمد تلميذ للشافعي، فأخذ بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَّمَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مِنْهُمْ. وقال: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»): «غَيْرَ نَاكِحِي نِسَائِهِمْ، وَلَا آكِلِي ذَبَائِحِهِمْ»^(١).



(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٣٥/٢)، والبيهقي في الكبرى (٣٢٣/٩) عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى مَجُوسِ أَهْلِ هَجَرَ يَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، فَمَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يُسْلَمْ ضَرَبَ عَلَيْهِ الْجُزْيَةَ غَيْرَ نَاكِحِي نِسَائِهِمْ، وَلَا آكِلِي ذَبَائِحِهِمْ».

ش: وقد اختلفوا في القدر المفروض من الجزية، فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الورق. وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟ قولان.

قال الشافعي: فيه دينار على الغني والفقير.

وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، والكوفيون: على الغني ثمانية وأربعون درهماً، والوسط أربعة وعشرون درهماً، والفقير اثنا عشر درهماً، وهو قول أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، قال يحيى بن يوسف الصرصري الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ^(١):

وقاتل يهودا والنصارى وعصبة المجوس، فإن هم سلموا الجزية أصدد	على الأدون اثني عشر درهماً افرضن
وأربعة من بعد عشرين زد	لأوسطهم حالاً ومن كان موسراً
ثمانية مع أربعين لتتقد	وتسقط عن صبيانهم ونسائهم
وشيخ لهم فان وأعمى ومقعد	وذي الفقر والمجنون أو عبد مسلم
ومن وجبت منهم عليه فيتهدي	

هذا شعر فيمن تسقط عنهم الجزية، من تسقط عنهم الجزية هم هؤلاء عند الصرصري، والصرصري عالم من علماء الحنابلة، له باعٌ واسعٌ في الشعر.

ش: وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين العقلاء دون غيرهم، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره، ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين أو حريمهم^(١).

قوله: «وَإِذَا حَاصِرَتْ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ...». الكلام إلى آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إن المصيب في مسائل الإجتihad واحد، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره^(٢)، ووجه الاستدلال به أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نص على أن الله تعالى قد حكم حكماً معيناً في المجتهدات، فمن وافقه فهو المصيب، ومن لم يوافقه فهو المخطئ.

وقوله: «وَإِذَا حَاصِرَتْ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ»: الحديث الذمة العهد، وتخفر تنقض يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده، وخفرت: أجزته، ومعناه أنه خاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، كجملته الأعراب فكأنه يقول: إن وقع نقض من متعدد كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالى. والله أعلم.

وقوله: وقول نافع، وقد سئل عن الدعوة قبل القتال.
ذكر فيه أن مذهب مالك يجمع بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال.

(١) انظر: مختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٣/٤٨٦، ٤٨٧)، والتمهيد لابن عبد البر (٢/١٣٠، ١٣١)، والمغني (٨/٢٩٠)، وأحكام أهل الذمة (١/١٢٣)، والبدر المنير (٩/٢١١)، والتاج والإكليل (٣/٣٨٢).
(٢) انظر: الإحكام للآمدي (٤/١٩٠)، والاعتصام للشاطبي (٢/٣١٩).

قال: وهو أن مالكا قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يدعوا، ولا تلتمس غرتهم إلا أن يكونوا قد بلغتهم الدعوة، فيجوز أن تلتمس غرتهم.

وهذا الذي صار إليه مالك هو الصحيح؛ لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدو أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا، ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدين، فإذا علموا بذلك، أمكن أن يكون ذلك سبباً مميلاً لهم إلى الانقياد إلى الحق، بخلاف ما إذا جهلوا مقصود المسلمين، فقد يظنون أنهم يقاتلون للملك، وللدنيا، فيزدادون عتواً وبغضاً. والله أعلم.

هذا الكلام وجيه.



فِيهِ مَسَائِلُ:

- الأولى: الْفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.
- الثانية: الْإِرْشَادُ إِلَى أَقْلِ الْأَمْرَيْنِ خَطَرًا.
- الثالثة: قَوْلُهُ: «أَغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».
- الرابعة: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ».
- الخامسة: قَوْلُهُ: «اسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ».
- السادسة: الْفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ الْعُلَمَاءِ.
- السابعة: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيْوَافِقُ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ: الأولى: الْفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ)؛ لَأَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، وَلَأَنَّ الرَّسُولَ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانية: الْإِرْشَادُ إِلَى أَقْلِ الْأَمْرَيْنِ خَطَرًا): ارْتِكَابُ أَخْفِ الضَّرَرَيْنِ لِدَفْعِ أَعْلَاهُمَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثة: قَوْلُهُ: «أَغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»): هَذَا فِيهِ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابعة: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ»): أَنَّ الْقِتَالَ إِنَّمَا هُوَ لِلْكَفَّارِ الْمُعَانِدِينَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخامسة: قَوْلُهُ: «اسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ»): فِيهِ أَنَّ وَجُوبَ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ عَلَى الْقِتَالِ؛ لَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَنْصُرُ مَنْ اسْتَعَانَ بِهِ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (السَّادِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ الْعُلَمَاءِ): لاشكَّ
حكم الله هو الصواب، وحكم العلماء اجتهادي، يخطئ ويصيب، فالذي
يصيب له أجران، والذي يخطئ الخطأ مغفور.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (السَّابِعَةُ: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِحُكْمِ
لَا يَدْرِي أَيَوَافِقُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا): أن الصحابي من جملة المجتهدين، لا يدري
هل هو مصيب أو مخطئ، لكنه معذور إذا أخطأ، ومأجور إذا أصاب.



٦٣ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأْتَى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأْتَى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ)، فهذا من إساءة الأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، فلذلك هذا الرجل لما قال هذه الكلمة أنكر الله عليه، (مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأْتَى عَلَيَّ) أي: يحلف عليّ، (أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟): كأنه قانط من رحمة الله، فقال الله: (مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأْتَى عَلَيَّ) أي: يحلف عليّ، هذا إنكار من الله على هذا العبد، (أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟) يحلف عليّ ألا أغفر لفلان، (إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ)، يقول الله جَلَّوَعَلَا: (إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ)، فانقلب الأمر على هذا القائل؛ لأنه

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٤٧/١٤)، والبخاري (٢٤٤/١٦)، وابن حبان

(٢١/١٣)، البغوي في شرح السنة (٣٨٤/١٤).

أساء الأدب مع أخيه المسلم، وقبل ذلك أساء الأدب مع الله جَلَّ وَعَلَا، فحلف على الله أنه لا يغفر لفلان، فهذا لا يجوز، وهذا سوء أدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضاً هو تئيس للعبد من رحمة الله، يعني: تئيس لهذا الذي أصدر في حقه هذه الكلمة، سوء أدب مع الله، وتئيس لهذا العبد أن الله لا يغفر له، وأكد ذلك باليمين على الله جَلَّ وَعَلَا، كل هذه منكرات من اللفظ، الله جَلَّ وَعَلَا ردها عليه، وقال له: (إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ)؛ لأنه أساء الأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ففيه إحسان الظن بالله عَزَّجَلَّ، والأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لئلا يحبط عمل هذا القائل وهو لا يشعر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»): (إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ)، فهذا رجل مسيء - والله أعلم - وهذا رجل عابد، فلما تكلم هذا الرجل بهذا الكلام السيئ في حق الله وأقسم على الله أنه لا يغفر لفلان، أنكر الله عليه ذلك (مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ) أي: يحلف عليّ ألا أغفر لفلان، قال الله جَلَّ وَعَلَا: (إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ) نسأل الله العافية، كلمة سيئة قالها هذا الرجل أحبطت عمله، وسببت المغفرة لمن صدرت في حقه، ففيها إساءة الأدب مع الله، وسوء الظن بالله عَزَّجَلَّ، وفيها احتقار الرجل المسلم وإن أخطأ فإنه لا يُقَنَطُ من رحمة الله عَزَّجَلَّ ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»):
 قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راوي الحديث: هذا الرجل: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ
 دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ» - والعياذ بالله -، كلمة واحدة، أي إساءة الأدب مع الله جَلَّ وَعَلَا،
 بل زاد الأمر إلى أنه حلف أن الله لا يغفر له، الله جَلَّ وَعَلَا رد عليه قوله وأنكره
 عليه، وسببت هذه الكلمة المغفرة لمن صدرت في حقه.



ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ).

ذكر المصنف فيه حديث جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: (يَتَأَلَّى). أي: يحلف، والألية بالتشديد الحلف.

وصح من حديث أبي هريرة، قال البغوي في شرح السنة، وساق بالسند إلى عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، نَا ضَمُضُمُ بْنُ جَوْسٍ، قَالَ: «دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، فَنَادَانِي شَيْخٌ، فَقَالَ: يَا يَمَامِيُّ تَعَالِ، وَمَا أَعْرِفُهُ، فَقَالَ لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذَا غَضِبَ، أَوْ لِرِزْوَجَتِهِ، أَوْ لِحَادِمِهِ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابِّينِ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْآخَرُ كَانَهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُ خَلْنِي وَرَبِّي، قَالَ: حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلْنِي وَرَبِّي، أُبْعِثَ عَلَيْنَا رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اتَّسَطِيعُ أَنْ تَحْظَرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي، فَقَالَ:

لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ»^(١).

حيث أنه حلف أن الله لا يغفر لفلان، فسببت هذه الكلمة أن الله غفر للرجل المذنب وأحبط عمل القائل -نسأل الله العافية-، ففي هذا عظم ذنب من قنط الناس من رحمة الله عَزَّجَلَّ، بل زاد أنه حلف أن الله لا يغفر لعبده المذنب، والله جَلَّوَعَلَا غفور رحيم، الله غفر لهذا المذنب، وأحبط عمل هذا القائل الذي أساء الأدب مع الله، ويئس من رحمة الله لهذا العبد المذنب، ففيه خطر إساءة الظن بالله عَزَّجَلَّ، وفيه خطر الكلمة التي تغضب الله سُبحَانَهُوَتَعَالَى على قائلها، فالإنسان يمسك لسانه، ولا يقول على الله، يحلف على الله ألا يغفر لعبده.



ش: ورواه أبو داود في سننه، وهذا لفظه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلْنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يَدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَخَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ»^(١).

قوله: «وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ». يشير إلى قوله في هذا الحديث: «أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ».

وفي هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام، كما في حديث معاذ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكَلَتَكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا خَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(٢). الله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٤٢٨/٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٢٣١/٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٤/١١)، وابن أبي شيبة (٣٢٠/٥)، والحاكم (٤٤٧/٢).

نسأل الله العافية، فهذا فيه خطر الكلام السيئ، والقنوط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله غفورٌ رحيمٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَغْفِرُ لِعِبَادِهِ، وفيه إحسان الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، والنهي عن إساءة الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وأن العبد لا يتدخل مع الله في أنه لا يغفر لعبده، فإن الله يغفر الذنوب جميعاً.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (قوله: «وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ».) يشير إلى قوله في هذا الحديث: «أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ»: الذي قال هذه الكلمة السيئة مجتهد في العبادة، فلما تكلم بهذه الكلمة أحبطت دنياه وآخرته - والعياذ بالله -، ففيه إحسان الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وفيه أن الله يغفر الذنوب جميعاً، ويتوب على المذنب مهما كان ذنبه، ومهما كانت خطيئته، فإن الله غفور رحيم.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وفي هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام): هذا فيه خطر الكلام الذي يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يرجع على قائله بالخسار والعذاب، ففيه إحسان الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وإحسان الأدب مع الله جَلَّ وَعَلَا، وفيه أنه مهما عظم الذنب، فإن رحمة الله أكبر، يتوب على من تاب، ويتوب على عباده، وهو التواب الرحيم، تواب: كثير التوب، الرحيم ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا كِبَارَهُمْ﴾ [فاطر: ٤٥]، فالله جَلَّ وَعَلَا غفور رحيم حلیم كريم، فعلى المسلم أن يحسن الظن بالله، ويحسن الأدب مع الله، ويحسن الأدب مع عباد الله، ويحفظ لسانه من مزالق الكلام الخطرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما في حديث معاذ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنْأَخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». الله أعلم): قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ» يعني: فقدتكَ أُمُّكَ، وهذه كلمة يؤتى بها للإنكار على المقابل، وإن كان القائل لها لا يقصد معناها، وإنما هي كلمة تجري على الألسنة.

(«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنْأَخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»): هل يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - والعياذ بالله - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ، ففيه أن الإنسان يحفظ لسانه، ويتحذر من الكلام السيئ، حتى ولو كان على سبيل المزح، فإنه لا يجوز في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يجوز أيضًا في حق المسلمين.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأْلِي عَلَى اللَّهِ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ» إلخ..

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبِ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ): من عادة المصنّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا فرغ من الباب أتى بالمستنبطات، مستنبطات المسائل التي يستنبطها من الأحاديث، أو الآيات الواردة فيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأولى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأْلِي عَلَى اللَّهِ): يعني: الحلف، من الحلف على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لما في ذلك من إساءة الأدب مع الله، وفيه اليأس من رحمة الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ): النار قريبة، فهذا الرجل دخل النار فور ما تكلم بهذه الكلمة - والعياذ بالله-، أقرب من شراك نعله، أي: السير الذي في نعله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ): أن الجنة قريبة كما أن النار قريبة من العباد، فعليهم أن يحسنوا الظن بالله في حقهم وفي حق إخوانهم، وأن يحفظوا ألسنتهم من الكلمات التي لا تليق في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيه أن الإنسان لا ييأس من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ ﴿٥٤﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (الرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ» إلخ..): يهوي بها في النار سبعين خريفًا، سبعين سنة -والعياذ بالله-، ففي هذا أن النار لها قعر بعيد -والعياذ بالله-، سبعين خريفًا، سبعين سنة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (الخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهٍ الْأُمُورِ إِلَيْهِ): لأن هذا الرجل قال هذه الكلمة في حق أخيه، فصارت سببًا في الخير له، لا يغفر الله لفلان، قال الله جَلَّوَعَلَا: (مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟) أي: يحلف علي ألا أغفر لفلان، (إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ).



٦٤ - بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَارَسُولَ اللَّهِ نُهَكَتِ الْأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبِّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١).

[ش:] قوله: (بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ).

وذكر الحديث وسياق أبي داود في سننه أتم مما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: «أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهُ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَآوَاتِهِ لَهَكَذَا

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص ٥٧)، والآجري في الشريعة (٣٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٤)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧).

-وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ-، وَإِنَّهُ لَيَنْطُ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلُ بِالرَّكَبِ». قَالَ ابْنُ يَسَارٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ»^(١).

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قوله: «وَيَحْكُ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»، فإنه تعالى رب كل شيء ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والخلق وما في أيديهم ملكه، يتصرف فيهم كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه؛ ولهذا أنكر على الأعرابي قوله، وسبح لله كثيراً وعظمه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق -سبحانه وبحمده- إن شأن الله أعظم من ذلك.

وفي هذا الحديث: إثبات علو الله على خلقه، وأن عرشه فوق سماواته. وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة، خلافاً للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم، كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وضعت له، ودلت عليه من إثبات صفات الله -تعالى- التي دلت على كماله -تعالى-، كما عليه السلف الصالح والأئمة، ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة، فإنهم أثبتوا ما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته له رسوله، من صفات كماله على ما يليق بجلاله، وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ - بعد كلام سبق فيما يعرف العبد بنفسه، وبربه من عجائب مخلوقاته - قال بعد ذلك: والثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها، وملكوتها، وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته، وعظمته، وجلاله، ومدته، ورفعته، ويرى السماوات السبع، والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح، والتحميد، والتقديس، والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك، والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكتها.

فينزل الأمر بإحياء قوم، وإماتة آخرين، وإغزاز قوم، وإذلال آخرين، وإنشاء ملك، وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل، وقضاء الحاجات على اختلافها، وتبيانها، وكثرتها من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة للمهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلظه كثرة المسائل والحوادث على اختلاف لغاتها، وتبيانها، واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقاً لهيئته، خاشعاً لعظمته، عانياً لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين، سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيّد، فهذا سفر القلب، وهو

في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فياله من سفر ما أبركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. اهـ. كلامه رَحِمَهُ اللهُ^(١).

وأما الاستشفاع بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصاً به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل كل حي يرجى أن يستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»^(٢)، وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته على قبره، وفي غير ذلك، وهذا هو الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(٣) **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ** ﴿[فاطر: ١٣، ١٤]، فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة، أي: ينكره ويعادي من فعله، كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦] فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب، ولا ينفع ولا يضر.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (ص ٢١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وأحمد (٣٢٥ / ١)، والبزار (٢٣١ / ١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤١٢ / ٥).

والصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم، ولا عن غيره أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته، حتى في أوقات الجذب، كما وقع لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمره أن يستسقي^(١)؛ لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والسابقون الأولون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت؛ لأن المقصود من الحي دعاء إذا كان حاضراً، فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعوهم ويتضرع إليه، وهم يدعون ربهم، فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضل وأضل.

ولو كان دعاء الميت خيراً لكان الصحابة إليه أسبق، وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم، فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك. وبالله التوفيق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ) لا يستشفع بالله؛ لأن المشفوع عنده أعلى من المشفوع له، فلا يستشفع بالله على أحد من خلقه، أي: لا تجعل الله واسطة بينك وبين مخلوق، توسط الله عَزَّجَلَّ في ذلك، فإن شأن الله أعظم من ذلك؛ فلا يستشفع بالله على أحد من خلقه؛ لأن المستشفع عنده يكون أعظم من المشفوع له، والله لا يستشفع به على أحد من خلقه، عكس ما عليه المشركون: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠، ٣٧١٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿يونس: ١٨﴾.

قال رحمه الله: (قوله: (بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ). وذكر الحديث وسياق أبي داود في سننه أتم مما ذكره المصنف رحمه الله، ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدْتَ الْأَنْفُسَ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكْتَ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا». وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، «وَإِنَّهُ لَيَطِيطُ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّكَابِ») العرش يئط بالله عَرْجَلٌ كَأَطِيطَ الرحل الذي هو القتب الذي على البعير، مما يدل على عظم الله جَلَّ وَعَلَا.

قال رحمه الله: (قَالَ ابْنُ يَسَارٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ».

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قوله: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»، فإنه تعالى رب كل شيء ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع،

ولا راد لما قضى، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والخلق وما في أيديهم ملكه، يتصرف فيهم كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه؛ ولهذا أنكر على الأعرابي قوله، وسبح لله كثيراً وعظمه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق - سبحانه وبحمده - إن شأن الله أعظم من ذلك: هذا فيه الرد على المشركين الذين يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وفي هذا الحديث: إثبات علو الله على خلقه، وأن عرشه فوق سماواته): الله جَلَّوَعَلَا عال على خلقه، فوق سماواته، مستو على عرشه. قال رَحِمَهُ اللهُ: (وأن عرشه فوق سماواته): العرش فوق السماوات، والسماوات تحت العرش، والله جَلَّوَعَلَا فوق العرش، الله جَلَّوَعَلَا علي عظيم كريم جواد بر رؤوف رحيم.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وفيه تفسير الاستواء بالعلو): استوى على العرش يعني: علا عليه، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: علا على العرش وارتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عرشه، والعرش سقف المخلوقات.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة، خلافاً للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم، كالأشاعرة ونحوهم من ألد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وضعت له، ودلت عليه من إثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله - تعالى -، كما عليه السلف الصالح

والأئمة، ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة): الله جَلَّ وَعَلَا يجل ويعظم، ولا يقال في حقه إلا ما صحت به الأدلة عن الله، أو عن رسله -عليهم الصلاة والسلام-، فلا يجوز لأحد أن يتكلم في حق الله بما لا دليل عليه من كتاب الله ولا من سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبتته له رسوله، من صفات كماله على ما يليق بجلاله، وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل): (إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل) هاتان العبارتان عبارتان عظيمتان، مستوحاة من نصوص الكتاب والسنة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مفتاح دار السعادة - بعد كلام سبق فيها يعرف العبد بنفسه، وبربه من عجائب مخلوقاته - قال بعد ذلك:

والثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة ففتتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها، وملكوتها، وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته، وعظمته، وجلاله، ومداه، ورفعته، ويرى السماوات السبع، والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح، والتحميد، والتقديس، والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك، والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكيها.

فينزل الأمر بإحياء قوم، وإماتة آخرين، وإعزاز قوم، وإذلال آخرين، وإنشاء ملك، وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل، وقضاء الحاجات

على اختلافها، وتبيانها، وكثرتها من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضرر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة للمهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلظه كثرة المسائل والحوادث على اختلاف لغاتها، وتبيانها، واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم): كلام عظيم نفيس في حق الله - سبحانه -، مستوحى من النصوص الصحيحة، فشان الله جَلَّ وَعَلَا أعظم من ذلك.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: (فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقاً لهيئته، خاشعاً لعظمته، عانياً لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين، سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيدي، فهذا سفر القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فياله من سفر ما أبركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. اهـ. كلامه رَحْمَةُ اللَّهِ): رَحْمَةُ اللَّهِ كلامه في مفتاح دار السعادة.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: (وأما الاستشفاع بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصاً به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل كل حي يرجي أن يستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة): ما تمتنع من أن تطلب من أخيك أن يدعو الله لك لأي غرض من الأغراض التي فيها

نفع لك، وفيها خير لك، فلا مانع أن تطلب من أخيك المسلم أن يدعو الله لك، ويشفع عند الله لك، كل هذا مما شرعه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بين عباده، ينفع بعضهم بعضاً بالدعاء، والاستغفار، والترحم عليهم... وغير ذلك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «لَا تَسْنَأْ يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ»): ففرح بها عمر رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ، فرح بهذه الكلمة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته على قبره، وفي غير ذلك، وهذا هو الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع): دعاء الميت لا يشرع، ولا يطلب من الميت شيء، وإنما يطلب من الله الحي الذي لا يموت سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، والميت قد انتهى عمله، فلا يطلب منه شيء، بخلاف الذين يدعون الأموات، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فهذا شرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، أن تطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته على قبره، وفي غير ذلك، وهذا هو الذي يشرع في حق الميت): الميت يشرع له الدعاء، ولا يطلب منه شيء ولا يطلب منه دعاء ولا شيء، ولا شفاعة من الميت، وإنما يدعى له ويستغفر له، ويترحم عليه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ

مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]: القطمير هو اللفافة التي على نواة التمر، وهي شيء ضعيف جداً، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، ولا هذا الشيء الضعيف.

قوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأموات، ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ أي: الذين يدعون الأموات، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: لا يستطيعون ما تطلبون منهم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ﴾ يتبرؤون منكم يوم القيامة، في الموقف الضيق يتبرؤون منكم، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنِيتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع، ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة، أي: ينكره ويعادي من فعله، كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]: فالذين يعبدون الأموات ويتقربون إليهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، يوم القيامة يتبرؤون منهم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنِيتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]: يتبرأ يوم القيامة الذين عبدوا في الدنيا، وطلب منهم ما

لا يقدرون عليه، يتبرؤون ممن دعاهم وتقرب إليهم في أحوج ما كان هؤلاء
-والعياذ بالله-.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فكل ميت أو غائب لا يسمع، ولا يستجيب، ولا ينفع ولا يضر): كل ميت أو غائب، الغائب حتى لو هو حي، صار غائب لا يسمع دعاءك، ولا يسمع ما تقول.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (والصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم، ولا عن غيره أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته، حتى في أوقات الجذب): كانوا يطلبون من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حي، ويستجيب لهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعو لهم، ويشفع لهم عند الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن بعد مماته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يطلب منه شيء أبداً.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (كما وقع لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمره أن يستسقي؛ لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والسابقون الأولون بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): ما ورد ولا أثر أنهم طلبوا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته شيئاً، بل كانوا يطلبون من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الحي الذي لا يموت القادر المقتدر، يطلبون من الله جَلَّ وَعَلَا، لا يطلبون من الأموات شيئاً، بخلاف الذين يدعون الأموات وإذا أنكر عليهم قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت؛ لأن المقصود من الحي دعاءه إذا كان حاضراً، فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعو، ويتضرع إليه، وهم يدعون ربهم، فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع

ضل وأضل): الذي يطلب من الحي هو الدعاء، أن يدعو لأخيه المحتاج وغير المحتاج، يدعو لأخيه هذا المطلوب، وهذه الشفاعة التي شرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنك تدعو لأخيك، وتستغفر لأخيك، أنك تساعد أخاك بما تستطيع.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ولو كان دعاء الميت خيراً لكان الصحابة إليه أسبق، وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم): الميت لا يطلب منه شيء؛ لأنه ميت، وقد انتهى عمله، فلا يطلب من الأموات شيء، إنما يطلب من الحي أن يستغفر لك، أن يدعو الله لك، أن يساعدك بما جرت العادة فيه بالمساعدة، فالحي يطلب منه؛ لأنه يقدر، أما الميت فلا يطلب منه شيء؛ لأنه قد انتهى عمله، وطويت صحائفه، فلا يطلب من الميت شيء، خلاف الذين يدعون الأموات، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك. وبالله التوفيق): هذا هو الحق، من تمسك بكتاب الله نجا، ومن اعتمد على عقله هلك، أو على العادات والتقاليد الباطلة.



فِيهِ مَسَائِلُ:

- الأولى: إنكاره على من قال: نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ.
- الثانية: تَغْيِيرُهُ تَغْيِيرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.
- الثالثة: أَنَّهُ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ».
- الرابعة: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ».
- الخامسة: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ الْإِسْتِسْقَاءَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ: الأولى: إنكاره على من قال: نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ): فجعل الله شافعاً عند المخلوق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثانية: تَغْيِيرُهُ تَغْيِيرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ): لما قال: نستشفع بالله عليك، فجعل الله شفيعاً عند عبده، وهذا منكر عظيم - والعياذ بالله -.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثة: أَنَّهُ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ»): أما الاستشفاع بالمخلوق القادر، فهذا أمر جائز، ونافع أيضاً.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابعة: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ»): التنزيه يعني: سبحانه الله أي: ينزهه الله جَلَّ وَعَلَا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخامسة: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ الْإِسْتِسْقَاءَ): يعني: طلب السقيا، فإذا أجذبت البلاد طلبوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَغِيثَ لَهُمْ، وَأَنْ يَطْلُبَ الْغُوثَ مِنَ اللَّهِ، وَإِنْ زَالَ الْغَيْثُ مِنَ اللَّهِ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿[الشورى: ٢٨]﴾.

٦٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حَمَى التَّوْحِيدَ وَسَدَّهُ طُرُقَ الشَّرِكِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ قَالَ: (انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ^(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرِنَا وَابْنِ خَيْرِنَا، وَسَيِّدِنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ تَعَالَى». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ^(٢).

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَى التَّوْحِيدَ وَسَدَّهُ طُرُقَ الشَّرِكِ). حمايته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَى التَّوْحِيدَ عَمَّا يَشُوْبُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي يَضْمَحِلُ مَعَهَا التَّوْحِيدُ، أَوْ يَنْقُصُ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي السَّنَةِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَقَوْلِهِ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»^(٣)، وَتَقْدِمُ قَوْلَهُ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَعَاثُ بِي وَإِنَّمَا

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦).

(٢) أخرجه النسائي (٧١/٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ»^(١). ونحو ذلك.

ونهى عن التماح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنساناً: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ...»^(٢). الحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: أَنَّ رَجُلًا أَتَنِي عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: «قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،...^(٣)، وقال: «إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»، أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد بن الأسود^(٤).

وفي هذا الحديث نهى عن أن يقولوا: «أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، ونهاهم أن يقولوا: «وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضُ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِينَكُمُ الشَّيْطَانُ».

وكذلك قوله في حديث أنس: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرَنَا وَابْنُ خَيْرِنَا...» إلخ. كرهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يواجهوه بالمدح فيفضي

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، في مسند عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من القسم المفقود من المعجم. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/١٠) وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لُيَعَةَ، وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق.

وأخرجه أحمد (٣٧/٣٨٠-٣٨١): عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُومُوا نَسْتَعِثُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقَامُ لِي، إِنَّمَا يُقَامُ لِلَّهِ».

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦٢، ٦٠٦١، ٦١٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٠٢)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٢).

بهم إلى الغلو، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مواجهة المادح للممدوح بمدحه - ولو بما هو فيه - من عمل الشيطان، لما تفضي محبة المدح إليه من تعاضم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد، فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأن لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها، والمعاقبة لها في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يجب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات، ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه فيكون آثماً، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأساً، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتى أخلص العبد الذل لله، والمحبة له، خلصت أعماله وصحت، ومتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب دخل على مقام العبودية بالنقص أو الفساد، وإذا أداها المدح إلى التعاضم في نفسه والإعجاب بها، وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة، كما في الحديث: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»^(١)، وفي الحديث: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»^(٢)، وهذه الآفات قد تكون محبة المدح سبباً لها، وسلباً إليها، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيراً في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حتى صر حوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحاء لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك، ووسائله: ﴿فَبَدَلْ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، ورأو أن فعل ما نهاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن فعله قربة من أفضل القربات، وحسنه من أعظم الحسنات!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشُّرْكِ)، هذه الترجمة ترجمة مفيدة، وهي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حمى التوحيد، وهو كذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد حمى التوحيد، وسد كل الطرق المفضية إلى الشرك، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشعرون، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سد عنا كل طرق الشرك المفضية إليه، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً وأبداً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ قَالَ: «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «الْمَسِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ): هذا فيه سد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطرق الشرك؛ لأنه قال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حمى أمته من الشرك ظاهره

وباطنه، وهذا من نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، فهو ما رضي أن يقولوا أنت سيدنا وابن سيدنا، وإنما رضي بالذي أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه رسول الله إلى الناس كافة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهذا من حرصه على أمته من الغلو الذي يفضي إلى الشرك، فهو سد الطريق إلى الشرك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ تَعَالَى». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ): وهذا من كمال نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه نصح من سمعهم يقولون: أنت سيدنا وابن سيدنا، وأمر أن يقال فيه ما سماه ربه به، أنه رسول الله، وكفى بها منزلة عظيمة، نور الله بها نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو الشرف العظيم، والمكانة العظمى له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّ طُرُقِ الشُّرْكِ). حمايته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ عما يشوبه من الأقوال، والأعمال التي يضمحل معها التوحيد، أو ينقص وهذا كثير في السنة الثابتة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كقوله: «لَا تَطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»): هذه الكلمة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» ما رضي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يقال له: أنت سيدنا وابن سيدنا، مع أنه بالفعل هو سيدهم وابن سيدهم، لكنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حذر من الغلو، فحذرهم من هذه الكلمة التي معناها صحيح، لكنه خشي

على أمته من الغلو في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من تواضعه ونصحه لأُمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه خشي عليها ما وقعت فيه الأمم السابقة من غلوهم في أنبيائهم، كالذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتقدم قوله: «إِنَّهُ لَا يُسْتَعَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَعَاثُ بِاللَّهِ». ونحو ذلك): لما قال رجل: قوموا بنا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نستغيث به من أذى هذا المنافق، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَعَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَعَاثُ بِاللَّهِ»، هذه اللفظة خاصه بالله عَزَّوَجَلَّ، فنهاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قولها؛ لأنها من الغلو والإطراء، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى عن ذلك أشد النهي، ويحذر منه أشد التحذير، من كمال نصحه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأُمته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونهى عن التماح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنساناً: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ...»). الحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه: أَنَّ رَجُلًا أَتَنِي عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: «قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رجل أثنى على صاحبه بحضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرجل يسمع، ففيه النهي عن مدح الإنسان في وجهه؛ لأن هذا قد يعجبه بنفسه، فهذا من كمال نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال: «إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»، أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد بن الأسود): «إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ» إذا رأيتم المداحين الذين يمدحون الناس في وجوههم «فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»، إهانة لهم وتحذيراً من فعلهم، وهذا من كمال نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذا الحديث نهي عن أن يقولوا: «أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، ونهاهم أن يقولوا: «وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِبَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»): فلما زادوا في الكلام، ولم يتتوها عما نهاهم عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخبر أن هذا من استجراء الشيطان لهم، فعليهم أن يمسكوا ألسنتهم عن مثل هذا الكلام، وأين هذا من قول القائل: يا رسول الله: اشفع لنا عند الله، فهم طلبوا منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشفع لهم عند الله عَزَّجَلَّ مع أنه هو الشافع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأُمَّته، ولكنه خشي عليهم من الغلو والتطاول في المدح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك قوله في حديث أنس: «أَنْ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرِنَا وَابْنَ خَيْرِنَا...» كره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يواجهوه بالمدح فيفزي بهم إلى الغلو): نعم أن يواجهوه بالمدح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أهل للمدح، والله مدحه في أعظم من هذا الكلام، ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجب المواجهة بالمدح لما يفزي إليه هذا الكلام من الغلو الذي يفزي بصاحبه إلى ما لا تحمد عقباه، وأين هذا الكلام من قول القائل: يا رسول الله أنت سيدنا وابن سيدنا؟ مع أن هذا كلام صحيح، لكنه خشي عليهم من الغلو في حقه، وأن يستجريهم الشيطان إلى ما هو أعظم منه، كما قال القائل^(١):

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخِذًا بِيَدِي فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زُلَّةَ الْقَدَمِ

كما هو في البردة، والبردة المديح التي فيها الغلو في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد غلا في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخِذًا بِيَدِي فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زُلَّةَ الْقَدَمِ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه - ولو بما هو فيه - من عمل الشيطان، لما تفضي محبة المدح إليه من تعاضم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد): غاية الذل لله عَزَّجَلَّ مع غاية المحبة لله عَزَّجَلَّ، هذا هو اللائق بالمسلم أن يقوله فيمن يمدحه، ولا يغلو في مدحه إلى هذا الحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله - تعالى -، وأن لا يرى نفسه إلا في مقام الدم لها، والمعاتبة لها في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات): لا يكون الحب لله عَزَّجَلَّ إلا إذا كان يدور مع هذا القطب العظيم، وهو معرفة العبد لقيمته عند الله عَزَّجَلَّ، وذله بين يديه، فهذا يخشى على صاحب مثل هذا الكلام من الغلو، والخروج عن دائرة العبودية لله عَزَّجَلَّ، فأين هذا من قول صاحب البردة!؟.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتى أخلص العبد الذل لله، والمحبة له، خلصت أعماله وصحت، ومتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب دخل على مقام

العبودية بالنقص أو الفساد): وهو كذلك، فالمدح الزائد يفضي بالممدوح إلى أن يعجب في نفسه، وحينئذ يقع في الهلاك، فالواجب أن الإنسان يقصر لسانه عن المدح الزائد في وجه الممدوح، وأن يقوله له ما يطمئنه إلى مكانته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يعجبه بنفسه فيقع في المحذور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإذا أداه المدح إلى التعاضم في نفسه والإعجاب بها، وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة، كما في الحديث: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَني وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»): يقول الله عَزَّجَلَّ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي» هذا في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «فَمَنْ نَارَعَني وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»، ففيه الحذر من مدح الإنسان ولو كان مادحه محققاً، لكن لا يحمل المادح على الإعجاب بنفسه، فيتعاضم في نفسه، فيهلك -والعياذ بالله-. وعلى المسلم أن يمدح أخيه بما فيه، ولا يزيد عن ذلك، وإن ترك المدح فهو خير له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الحديث: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»): لأنه إذا داخله الكبر بسبب المدح، فإن عليه هذا الوعيد الشديد، أن يحرم من دخول الجنة، وهذا خطر عظيم ينبغي تلافيه والابتعاد عنه؛ حماية للتوحيد وإقراراً به، فهذا حق لله عَزَّجَلَّ لا يبلغه أحد من خلقه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو حق له - سبحانه -، فلا ينبغي الزيادة بحق المخلوق، ومدحه في وجهه حتى يعجب بنفسه فيهلك، ولهذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا لَقِيتُمْ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»^(١)؛ لأجل ردعهم عن هذه الجرأة في الغلو بالمخلوق حتى يعجب هذا المخلوق في نفسه، فيقع في الهلاك، كما قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الآفات قد تكون محبة المدح سبباً لها، وسلمًا إليها، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب): يعجب في نفسه، فيذهب إعجابه بنفسه إلى أكل حسناته، وحينئذ إذا لم تبقى له حسنة، فإنه يهلك - والعياذ بالله -، فهذا فيه سد لذرائع الشرك من جميع الوجوه، وترك المدح الزائد الذي يفضي إلى صاحبه للإعجاب بنفسه كما قال صاحب البردة، والمشركون إنما كانوا يقولون لمن يمدحونهم: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فسمى هذا شركًا، وهؤلاء الذين يبنون البنيات، ويجلسون عندها؛ يريدون من الناس المدح لهم، قد أهلكوا أنفسهم - والعياذ بالله -.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك): فهذا ما يفضي إليه الغلو في المدح، أنه يفضي إلى الشرك بالله عَزَّجَلَّ كما أفضى بالمشركين الأوليين أنهم وقعوا في الشرك بسبب المدح الزائد، والمبالغة في المدح، فهذا فيه التحذير الشديد من هذا الخطر العظيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحاء لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك، ووسائله:

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة: ٥٩]، ورأو أن فعل ما نهاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن فعله قرابة من أفضل القربات، وحسنه من أعظم الحسنات!): فمدحوا ومدوحهم بما أفضى بهم إلى الإعجاب بأنفسهم؛ وحينئذ هلكوا، فهذا ما حذر منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكفى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»^(١) تحذيراً من هذا المنتهى الذي انتهى بهم، فعلى المسلم أن يمسك لسانه عن المدح الزائد والمبالغة فيه، فما أوقع المشركين فيما وقعوا فيه إلا هذا الجانب، جانب المدح للمخلوق حتى يعجب بنفسه، فيقع في الهلاك، والإنسان مهما كان فهو ضعيف، فعلى المسلم أن يتجنب هذا الخطر، وهذا المدح الذي يفضي به ويفضي بالمدح إلى ما لا تحمد عقباه، فما وقع المشركون فيما وقعوا فيه إلا من هذا الجانب، وهو جانب الغلو في المدح.



ش: وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك.

قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: (اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل له: «أَنْتَ سَيِّدُنَا»، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، وجوزوه قوم، واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ»^(١)، وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيد كندة، ولا يقال: الملك سيد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولى والرب، لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق). انتهى^(٢).

قلت: فقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]. أي: «سَيِّدًا وَإِلَهًا»^(٣)، وقال في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَصْكَمُ﴾ [الإخلاص: ٢] أنه السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٧٢٩، ٧٣٠).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ١٧٨).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٧٤)، وأبو

الشيخ في العظمة (١/ ٣٨٣).

وقال أبو وائل: (هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَى سُودُهُ) ^(١).

وأما استدلالهم بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ»، فالظاهر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفصيل والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك. قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: (اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل له: «أَنْتَ سَيِّدُنَا»، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»: هذا يعني: إذا كان فعلا هذا الممدوح قد بلغ هذه المرتبة، وَأَمِنَ الإعجاب في جانبه، فقد يجوز مثل هذا من باب تذكير الممدوح بنعمة الله عليه، ولكن على كل حال سد الطرق المفضية إلى الشرك أمر واجب، ويقتصر على المدح الذي لا يفضي بصاحبه إلى هذا الحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ»، وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيد كندة، ولا يقال: الملك سيد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولى والرب، لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق). انتهى: فهذا فيه نظر كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن على

(١) أخرجه البخاري معلقاً- كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿اللَّهُ أَصْكَمُ﴾ [الإخلاص: ٢٠] (٦/ ١٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٠٠).

كل حال إذا أمنت الفتنة، وكان الممدوح فيه هذه الخصلة فلا مانع، قد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»، فسماء سيداً، أو وصفه بالسؤدد إذا أمنت الفتنة في هذا؛ لأن هذا الذي قيلت فيه هذه الكلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذا أمنت فيه، فلا بأس بأن يحدث بنعمة الله عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: فقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في معنى قول الله - تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]. أي: «سَيِّدًا وَإِلَهًا»): ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: فقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]. أي: «سَيِّدًا وَإِلَهًا»): أي: إلهًا وسيداً بما دل على ترك هذه الألفاظ التي تفضي إلى المحذور؛ تجنبنا لهذا المحذور - كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ -.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢] أنه السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد. وقال أبو وائل: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَى سُودُهُ): الصمد يعني: السيد الذي تصمد الخلائق إليه بحوائجها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما استدلالهم بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار: «قُومُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ»، فالظاهر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يواجه سعداً به، فيكون في هذا المقام تفصيل والله أعلم): وهذا توجيه سليم.



فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ .

الثَّانِيَّةُ : مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ : أَنْتَ سَيِّدُنَا .

الثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ : «وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا الْحَقَّ .

الرَّابِعَةُ : قَوْلُهُ : «مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي» .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ: الأولى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ): المسألة

الأولى تحذير الناس من الغلو الذي يوقع في المحذور، ويجر هذا المخلوق إلى الإعجاب بنفسه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَّةُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: أَنْتَ سَيِّدُنَا): أن

يقول ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ

يَقُولُوا إِلَّا الْحَقَّ): الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خشي أن الشيطان يجرهم إلى ماهو أعظم منه، فلذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»، فإذا كان هذا فيه مدخل للشيطان، فإنه يجتنب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي»): قول

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي» هذا تواضع منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه عزَّ وجلَّ.



٦٦ - بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]. أي: من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة.

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي: ما قَدَّرَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ حِينَ عَبْدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: «نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ».

وَقَالَ السُّدِّيُّ: «مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ»^(١).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «لَوْ قَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَا كَذَّبُوهُ»^(٢).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ هُمُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٥) عن السدي، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٤١) عن السدي عن أبي مالك.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٤١) عن محمد بن كعب قال: (وما علموا كيف هو حيث كذبوه).

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالطَّرِيقُ فِيهَا وَفِي
أَمْثَالِهَا مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧])، قال الله جَلَّ وَعَلَا عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فالله جَلَّ وَعَلَا عَظِيمٌ كَرِيمٌ جَوَادٌ بَرٌّ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَالْخَلْقُ مَا قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ قَدْرَهُ عَظِيمٌ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿جَمِيعُ الْأَرْضِ بَطْبَاقَتِهَا مَعَ سَعَتِهَا وَتَرَامِي أَطْرَافِهَا هِيَ قَبْضَةُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقْبِضُهَا جَلَّ وَعَلَا فَيَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ».

فهذا دليل على عظمته أنه يقبض الأرضين السبع جميعًا جَلَّ وَعَلَا، وَالْخَلْقُ لِمَ يَعْرِفُوا قَدْرَ رَبِّهِمُ الَّذِي هَذِهِ عَظَمَتُهُ وَكِبَرِيَاؤُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَكِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَقْبَلُ أَعْمَالَهُمْ، وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةً فِي جَانِبِ حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]). أي: من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة. قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ﴿أي: مَا قَدَّرَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ حِينَ عَبْدُوا

مَعَهُ غَيْرُهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَغْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: «نَزَلْتُ فِي قُرَيْشٍ». وَقَالَ السُّدِّيُّ: «مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «لَوْ قَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَا كَذَّبُوهُ». وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ هُمُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»، «﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ هَذَا تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فَهَذَا فِيهِ بَيَانُ عِظَمَةِ اللَّهِ، وَكِبَرِيَّاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ عَلَى سَعَتِهَا تَكُونُ قَبْضَةً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالسَّمَاوَاتُ تَطْوِي بِيَمِينِهِ عَلَى سَعَتِهَا وَامْتِدَادِهَا، فَهَذِهِ كُنَايَةٌ عَنْ عِظَمَةِ اللَّهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ، وَالْخَلْقُ لَمْ يَعْرِفُوا هَذَا، لَمْ يَعْرِفُوا عِظَمَةَ اللَّهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ فِي عِظَمَتِهَا وَكِبَرِهَا كُلِّهَا تَضْمَحِلُ بِجَانِبِ عِظَمَةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ هُمُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»)) «﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يَعْنِي: مَا ءَامَنُوا بِعِظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ الَّذِي هَذَا وَصْفُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَهِيَ أَوْسَعُ مِنَ الْأَرْضِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهَذَا الرَّبُّ عَظِيمٌ جَلِيلٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَأَنْ يَعْبُدَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالطَّرِيقُ فِيهَا وَفِي أَمْثَالِهَا مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ

تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ)، هكذا في جميع الأسماء والصفات العظيمة الجليلة أنها تمر كما جاءت من غير تكييف ولا تعطيل، وإنما نؤمن بها ونثبتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، فهو أعظم - سبحانه - من هذه المخلوقات، فلا غرابة إذا كانت هذه المخلوقات بالنسبة إليه بهذه القلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ) صفات الله جَلَّ وَعَلَا تمر كما جاءت، (مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ) يعني: ادعاء لمعرفة كيفيتها، ومن غير تحريف لها عما جاءت، بل تثبت كما جاءت، والله جَلَّ وَعَلَا عَظِيمٌ، لا يحاط بعظمته وكبريائه، وإنما يتعرف إلى خلقه، وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل هذا الحديث العظيم.



عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَضَدِّيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللَّهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ». أَخْرَجَاهُ^(١).

ش: وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْبَابِ قَالَ: وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ صَحِيحِهِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سَنَنِهِمَا، كُلُّهُمُ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ مَهْرَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٨٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرَى (٦/٤٤٦، ٤٤٧).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَبْلَغَكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَحْمِلُ الْخَلَائِقَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالسَّمَاوَاتِ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالثَّرَى عَلَى أَصْبُعٍ؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (١).

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ - مِنْ طُرُقٍ - عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَسَنِ الْأَشْقَرِ، حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - السَّمَاءَ عَلَى ذِهِ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْأَرْضَ عَلَى ذِهِ، وَالْمَاءَ عَلَى ذِهِ، وَالْجِبَالَ عَلَى ذِهِ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى ذِهِ، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِأَصْبَعِهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٢).

كَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّلْتِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي كُدَيْنَةَ يَحْيَى بْنُ الْمُهَلَّبِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى مُسْلِمٌ بْنُ صُبَيْحٍ، بِهِ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(١) أخرجه أحمد (٦٩/٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٩/٥)، والترمذي (٣٢٤٠).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنِينَ مُلُوكِ الْأَرْضِ». تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - فِي مَوْضِعٍ آخَرَ -: حَدَّثَنَا مُقَدَّمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَاءُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ». تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ^(١).

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى بِلَفْظٍ آخَرَ أَبَسَطَ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ وَأَطْوَلَ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَنِيرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيَجْرُكُهَا، يَقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢، ٧٤١٣) من الطريق المذكور موصولاً ومعلقاً.

وأخرجه البخاري (٦٥١٩، ٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من طريق ابن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً.

الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ»، فَزَجَفَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ حَتَّى قُلْنَا: لَيَخْرَنَّ بِهِ». اهـ. (١) (٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُئُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللَّهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ». أَخْرَجَاهُ هَذِهِ عَظْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْعَلُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةَ عَلَى أَصَابِعِهِ -سُبْحَانَهُ-، ففِيهَا إِثْبَاتُ الْأَصَابِعِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِيهِ عَظْمَةُ اللَّهِ حَيْثُ إِنَّهُ يَجْعَلُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةَ الْكَبِيرَةَ عَلَى أَصَابِعِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اللَّهُ، أَيْنَ الْجَبَارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ؟! حِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَظْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَيَانًا لِلْمَخْلُوقِينَ، فَيَعْرِفُوا قَدْرَهُ وَعَظْمَتَهُ

(١) أخرجه أحمد (٣٠٤/٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/١١٣-١١٥).

وجلاله وكبريائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن هذه المخلوقات قليلة بالنسبة إلى عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب قال: وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ صَحِيحِهِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سَنَنِهِمَا، كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِهِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَبْلَغَكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَحْمِلُ الْخَلَائِقَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالسَّمَاوَاتِ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالثَّرَى عَلَى أَصْبُعٍ؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية».

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ - مِنْ طَرِيقٍ - عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ، فهذا فيه إثبات عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن هذه المخلوقات العظيمة بالنسبة إليه صغيرة، وأنه يقبضها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أصابعه جَلَّوَعَلَا، فهذا فيه إثبات عظمة الله وكبريائه، وأنه لا يحاط به - سبحانه - لا يحاط به علما، فالواجب علينا إمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، على حد قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَسَنِ الْأَشْقَرِ، حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى السَّمَاءَ عَلَى ذِهِ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْأَرْضَ عَلَى ذِهِ، وَالْمَاءَ عَلَى ذِهِ، وَالْجِبَالَ عَلَى ذِهِ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى ذِهِ، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

كَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّلْتِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي كُدَيْنَةَ يَحْيَى بْنُ الْمُهَلَّبِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى مُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ، بِهِ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ) حسن صحيح يعني: حسن من طريق، وصحيح من طريق أخرى، والواجب إثباته كما جاء من غير تحريف له ولا تكييف ولا تعطيل، على حد قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هكذا الواجب على المسلم في مثل هذه النصوص، أن يسلمها لله عَزَّ وَجَلَّ وأن يعرف أن الله أعظم من ذلك سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟». تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ) يقول الله جَلَّ وَعَلَا عن نفسه: (أَنَا الْمَلِكُ) يعني: الملك وحده سُبحَانَهُ وَتَعَالَى،

وهذه عظمتة أنه يجعل هذه المخلوقات الهائلة العظيمة كل مخلوق منها على إصبع من أصابعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا دليل على عظمة الله وكبريائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالواجب الإيمان بهذا كما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟») فيقول جَلَّ وَعَلَا: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟» فالملوك كلها تصغر عند عظمة الله جَلَّ وَعَلَا وكبريائه، وإن كان في الناس عظمة في صدورهم، لكن الله جَلَّ وَعَلَا أعظم وأجل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - فِي مَوْضِعٍ آخَرَ - : حَدَّثَنَا مُقَدَّمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَيْنِ، وَتَكُونُ السَّمَاءُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ». تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ.

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى بِلَفْظٍ آخَرَ أَبْسَطَ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ وَأَطْوَلَ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ

هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا
الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ»، فَارْجَفَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لِيَخْرَنَّ بِهِ. (اهـ). رج المنبر بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيماً لله
عَزَّجَلَّ لما تكلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عظمة الله عليه على هذا المنبر ارتج المنبر
من عظمة الله، تعظيماً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فحري بالخلق جميعاً أن يشعروا بهذا
الشعور نحو ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويعظموه حق تعظيمه.



وَمُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»^(١).

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِ اللَّهِ إِلَّا كَخِرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: فَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةِ أَلْفَيْتِ فِي تَرَسٍ»^(٣).

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»^(٤).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٣) معلقاً، ومسلم (٢٧٨٨) موصولاً مرفوعاً من طريق عمر ابن حمزة، عن سالم، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه البخاري (٧٤١٢) مرفوعاً مختصراً من طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٥٦/١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨٧/٢)، والذهبي في العلو (ص ١١٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٦٣٦).

أَعْمَالِكُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. وَرَوَاهُ بَنُحُوهِ الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ^(٢).

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ^(٣).

ش: قوله: (وَلَمْ يُسَلِّمْ عَنْ ابْنِ عُمَرَ.. الحديث). كذا في رواية مسلم.

قال الحميدي^(٤): وهي أتم^(٥)، وهي عند مسلم من حديث سالم عن أبيه.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٤٧/٣)، والتوحيد لابن خزيمة (٨٨٥/٢)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣٩٦/٣)، والديلمي في الفردوس (٧٨/٤)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٠٥).

(٢) انظر: العلو للذهبي (ص ٤٥، ٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (٢٠٦/١).

(٤) هو أبو عبد الله الحميدي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد، الحافظ العلامة، مؤلف الجمع بين الصحيحين، توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، صحب ابن حزم، وابن عبد البر، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وكان ظاهري المذهب. انظر: وفيات الأعيان (٢٨٢/٤)، وسير أعلام النبلاء (١٩/١٢٠)، وطبقات الحفاظ (ص ٤٤٦).

(٥) انظر: الجمع بين الصحيحين (١٨٤/٢).

وأخرجه البخاري من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَيْنِ، وَتَكُونُ السَّمَاءُ بِيَمِينِهِ». وأخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم ^(١).

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله، وعظيم قدرته، وعظم مخلوقاته، وقد تعرف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى عبادِهِ بصفاته، وعجائب مخلوقاته، وكلها تعرف وتدل على كماله، وأنه هو المعبود لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان.

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته، وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته.

وتأمل ما فيها من إثبات علو الله - تعالى - على عرشه، ولم يقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، وإنما تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقاً بلغه أمينه أمته، فإن الله أكمل به الدين، وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين -.

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢، ٧٤١٣) من الطريق المذكور موصولاً ومعلقاً. وأخرجه البخاري (٦٥١٩، ٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من طريق ابن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً.

وتلقى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما وصف به ربه من صفات كماله، ونعوت جلاله، فأمنوا به، وآمنوا بكتاب الله، وما تضمنه من صفات ربهم - تعالى -، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، وكذلك التابعون لهم بإحسان، وتابعوهم، والأئمة من المحدثين، والفقهاء كلهم وصف الله بها وصف به نفسه، ووصفه به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يحددوا شيئاً من الصفات، ولا قال أحد منهم: إن ظاهرها غير مراد ولا أنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، فصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضَيْنِ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»).

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِ اللَّهِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»، فإذا نظرت إلى هذا الحديث، وهو أن السماوات والأراضين على عظمة هذه المخلوقات وسعتها تكون كخردلة في كف أحدنا، وهذا من باب التقريب للمعنى، وإلا فالله أعظم من ذلك جَلَّ وَعَلَا وأجل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ،

قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: فَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةِ أُنْقِيَّتٍ فِي تُرْسٍ»، فالكرسي أعظم من السماوات السبع، الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فهذه المخلوقات تتضاءل عند عظمة الله - سبحانه - الذي خلقها وكونها، فهذه يستفاد منها تعظيم الله سُبحَانَهُوَتَعَالَى حق عظمته، وأنه لا يحاط بعظمته سُبحَانَهُوَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال: وقال أبو ذرٍّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُنْقِيَّتٍ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»)، فالعرش أعظم من الكرسي، الكرسي - كما جاء في الحديث - موضع القدمين^(١)، فإذا كانت هذه عظمة هذه المخلوقات العظيمة، فكيف بعظمة خالقها جَلَّوَعَلَا؟! فهذا فيه تعظيم الله جَلَّوَعَلَا وأنه لا يحاط به بعظمته سُبحَانَهُوَتَعَالَى، فهي أحاديث عظيمة فيها تعظيم الله جَلَّوَعَلَا، وبيان قدره سُبحَانَهُوَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالنَّبِيِّ تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ،

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥١)، ابن أبي شيبة في العرش (ص ٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٩١)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص ٢١)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٣١٠)، وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٥١)، والهروي في الأربعين (ص ٥٧) موقوفاً على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. وَرَوَاهُ بَنُحْوَةُ الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: وَلَهُ طُرُقُ الْعَرْشِ فَوْقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَاللَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَهَذَا فِيهِ تَعْظِيمُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَبَيَانُ ضَالَّةِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرِكُونَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَثُفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ) اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي عُلُوِّهِ وَكِبَرِيَّائِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ، مَعَ ارْتِفَاعِهِ جَلَّ وَعَلَا فَوْقَ مَخْلُوقَاتِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةِ، وَمَعَ هَذَا لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُنَا كُلُّهَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ وَإِحَاطَتِهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قُلْتُ: وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ، وَعِظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَعِظَمِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَقَدْ تَعَرَّفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ بِصِفَاتِهِ، وَعَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَكُلُّهَا تَعْرِفُ وَتَدُلُّ عَلَى كِبَالِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَتَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لَهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعِظَمَتِهِ، إِثْبَاتًا بَلَا تَمَثِيلَ، وَتَنْزِيهًا بَلَا تَعْطِيلَ) هَذَا الْوَاجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الْمَخْلُوقِينَ، أَنْ نَثْبِتَ هَذِهِ النُّصُوصَ كَمَا صَحَّتْ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وأن نشبتها الله عَزَّوَجَلَّ، ونستدل بها على عظمة خالقها وموجدها، وأن نقدره حق قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن نعبدَه ولا نشرك به شيئاً - جل في علاه، وتقدست أسماؤه -، وشهدت له بذلك أرضه وسماؤه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان) هكذا إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، هذا موقف المسلم من هذه النصوص، أن يثبتها لله بلا تمثيل، وأن ينزه الخالق تنزيهاً بلا تعطيل، هذا حق الله على عباده.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته، وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته) اليهود عندهم التوراة كتاب عظيم من كتب الله جَلَّوَعَلَا، وفيها صفات الله وعظمة الله جَلَّوَعَلَا مع أنهم يهود، لكنه لا مناص لهم من إثبات هذه النصوص كما جاءت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاليهود يثبتونها، فنحن أولى بإثباتها لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وتأمل ما فيها من إثبات علو الله - تعالى - على عرشه تأمل ما في هذه النصوص من إثبات علو الله وارتفاعه فوق مخلوقاته، وهذه المسافات العظيمة في ارتفاعها وعلوها نشبتها لله - سبحانه - كما جاءت إثباتاً بلا تمثيل، وننزه الله جَلَّوَعَلَا تنزيهاً بلا تعطيل، هذا موقف المسلم منها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولم يقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، وإنما تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقاً بلغه أمينه أتمته، فإن الله أكمل به الدين، وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت هذه الصفات لله عَزَّوَجَلَّ إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فهذا موقف المسلم من هذه النصوص، والإيمان بها من الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، لا يتعاضدها الإنسان، وهو يعلم أنها صفات للخالق جَلَّ وَعَلَا، الذي لا يحاط به وبأسماؤه وصفاته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا عظمة الكرسي، فكيف بعظمة الخالق جَلَّ وَعَلَا!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتلقى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما وصف به ربه من صفات كماله، ونعوت جلاله، فأمنوا به، وآمنوا بكتاب الله، وما تضمنه من صفات ربهم - تعالى -، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]) الراسخون في العلم يعني: الثابتون في العلم الذين يثبتون ما أثبتته الله لنفسه، وينزهون الله كما نزه نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل على حد قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك التابعون لهم بإحسان، وتابعوهم، والأئمة من المحدثين، والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يحددوا شيئاً من الصفات، ولا قال أحد منهم:

إن ظاهرها غير مراد ولا أنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، فصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة) الحمد لله رب العالمين، فهذا موقف المسلمين من هذه النصوص العظيمة التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يتوقفوا في شيء منها بل أثبتوها لله كما أثبتها له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصدق القائلين.



ش: قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فَهَذَا كِتَابُ اللهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ عَامَّةُ كَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ثُمَّ كَلَامُ سَائِرِ الْأَئِمَّةِ مَمْلُوءٌ بِمَا هُوَ إِمَّا نَصٌّ وَإِمَّا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اللَّهَ مُنْجَاهُهُ وَتَعَالَى هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَإِنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمُ مَتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] الآية، فذكر التوحيدين في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٤، ٥]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

وَسَيِّحٌ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا ﴿﴾ [الفرقان: ٥٨، ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿﴾ [السجدة: ٤، ٥]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، فذكر عموم علمه، وعموم قدرته، وعموم إحاطته، وعموم رؤيته، وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿﴾ [الملك: ١٦، ١٧]، وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلام الصحابة والتابعين وكلام

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٤٥).

سائر الأئمة مملوئة كلها بما هو نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السماوات مستو على عرشه) هذا متواتر عند أهل العلم وأهل السنة، ودل عليه الكتاب الكريم والسنة المطهرة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق سماواته، مستو على عرشه، وأن الملائكة تنزل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالأوامر والنواهي على الرسل وأتباعهم، وهذا مستمر إلى يوم القيامة، وهذا من نعم الله على عباده: أن الصلة بينهم وبين الله جَلَّ وَعَلَا متصلة، وأنهم على بينة من أمرهم، وبصيرة من دينهم، وأنهم مستمررون ثابتون على ذلك - والله الحمد والمنة -، ليس هناك خرافات ولا بدع ولا محدثات، وإنما هو وحي منزل على نبي مرسل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، توارثوه جيلاً بعد جيل، ولا يزال الأمر متصلاً - والله الحمد -.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَإِنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]) ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يعني: يرتفع، فدل على أن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو، ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ من قرآن وسنة وذكر لله عَزَّ وَجَلَّ وتسبيح وتهليل، كل ذلك يصعد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو مستو على عرشه فوق مخلوقاته، وهو قريب مجيب، قريب في علوه، عال في دنوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾) يرفع الكلم الطيب، ﴿وَالْعَمَلُ﴾ هو العمل بالكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، فيرفع العمل الصالح.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]) ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ ﴿جَلَّ وَعَلَا﴾﴾ ﴿يَعْيسَى﴾ يعني: عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني: قابضك، المراد بالتوفي هنا القبض لا الموت، فإن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يموت، ولا يموت إلا في آخر الزمان، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ارتفع إلى الله، رفعه الله إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨])؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو مرتفع على خلقه، فوق سماواته، عال على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤]) وصف الله نفسه - سبحانه - بقوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يعني: المصاعد، فدل على أن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو مستو على عرشه، وأن الأعمال تصعد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]) يدبر الله الأمر من السماء إلى الأرض على الرسل والأنبياء، ثم يعرج إليه ويصعد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمنه ينزل الوحي، وإليه تصعد الأعمال - أعمال بني آدم - إذا تقبلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠])، فدل على أن الله في العلو، وأنه من فوق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]) ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ يعني: ارتفع جَلَّ وَعَلَا إلى السماء.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقوله تعالى: ﴿إِنِّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]) ﴿إِنِّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ يخبر الله جَلَّ وَعَلَا في هذا بقوله: ﴿إِنِّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾، فالله رب الجميع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو خالق كل شيء.

قال: ﴿إِنِّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أيام الأسبوع، وهو قادر على أن يخلقها في لحظة، ولكنه -سبحانه- يعلم ويخبر عباده بأن يترشوا في الأمور ولا يستعجلوا، وأن يتأنوا ويتقنوا العمل ويخلصوه لله عَزَّجَلَّ، ولكنه -سبحانه- أراد أن يعلم عباده أن يتقنوا الأعمال وألا يستعجلوا فيها عجلة تفوت عليهم بعض صفات الأعمال الصالحة، بل يترشوا في أعمالهم شيئاً فشيئاً، ويتقنوها ويخلصوها لله عَزَّجَلَّ.

قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ ارتفع على العرش، فهو موصوف بالعلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، العلي الكبير، الكبير المتعال، فهو -سبحانه- فوق مخلوقاته، مستو على عرشه استواء يليق بجلاله.

قال: ﴿يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ ﴿يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ بمعنى كما في الآية الأخرى ﴿يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] إذا جاء هذا ذهب هذا.

قال: ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ (يطلب الليل النهار حيثاً سريعاً، فنحن دائماً بين ليل ونهار.

قال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ﴾ (الشمس وهي أكبر الكواكب، والقمر والنجوم مسخرات بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لها نظام خاص بها لا يتغير ولا يتبدل، وهذا تقدير العزيز العليم.

قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (ألا) كلمة تنبيه، ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ أي: لله الخلق وله الأمر، له الخلق وله الأمر - سُبْحَانَهُ - وحده لا شريك له، قال بعض السلف: لما ذكر هذه الآية - قال: من كان له شيء فليطلبه. ما بقي شيء، له الخلق له والأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ البركة منه وإليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم، العالمين: العالم العلوي والعالم السفلي، فهو ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخالقهم، ورازقهم، ومدبرهم ومتولي شؤونهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] الآية) هذه الآية كسابقاتها، كلها تدل على أن الأمر راجع إلى الله ومنته إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه فوق مخلوقاته مستو على عرشه، استواء يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنه تنزل الملائكة والوحي والأرزاق والآجال، كلها تنزل من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (مَا مِنْ شَفِيعٍ)، والشفيع هو الوساطة، الشفاعة هي الوساطة بين المشفوع له والمشفوع فيه، فما من شفيع إلا بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا أحد يشفع ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ؟

إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿ [البقرة: ٢٥٦] لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، يعني: يتوسط في أمر من الأمور إلا بإذن الله جَلَّ وَعَلَا بَأْن يَأْذَنَ لَهُ بِذَلِكَ، وهذا رد على المشركين الذين يتخذون أرباباً من دون الله يعبدونهم ويتقربون إليهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فهم يتقربون إلى المخلوق، ويشركون به مع الله، ويزعمون أنه يشفع لهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا باطل وكذب؛ فإن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ ﴾ الذي وصفناه بتلك الصفات الله جَلَّ وَعَلَا لا أحد غيره، ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾، فالعبادة حق للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله خلق الخلق ليعبدوه كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ زَرْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿ ٥٧ ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴿ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أفلا تذكرون أنه هو الرب الواحد! ليس له شريك في ملكه، ولا في عبادته، ولا في أمر من أموره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فذكر التوحيد في هذه الآية) توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، هذان التوحيان - النوعان -.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الرعد: ٢]) رفع السماوات فوق الأرض وفوق الناس، ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢] ليست على عمد، وإنما هي بقدرة الله جَلَّ وَعَلَا، سمكها بقدرته، ورفعها بقدرته من غير عمد نراها.

قال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: علا وارتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، والعرش هو سقف المخلوقات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْأُولَىٰ﴾ ١) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ ﴿طه: ٤، ٥﴾ ﴿تَزِيلًا﴾ يعني: هذا القرآن، ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْأُولَىٰ﴾ ٢) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ ﴿يعني: علا وارتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الذي هو سقف المخلوقات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِجَى الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا ﴿[الفرقان: ٥٨، ٥٩]﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِجَى ﴿الحياة الدائمة التامة، الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، والخلق يموتون، أما الله جَلَّ وَعَلَا فإنه حي لا يموت.

قال: ﴿(وَسَيَّحُ بِحَمْدِهِ﴾) نزهه، التسبيح: التنزيه، ﴿وَسَيَّحُ بِحَمْدِهِ﴾ سبح الله جَلَّ وَعَلَا نزهه بحمده.

قال: ﴿(الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾) ارتفع وعلا على العرش الذي هو سقف المخلوقات، ﴿الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ﴾ الرحمن هو الله، فالرحمن من أسماء الله، ﴿فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ يخبرك عن عظمته وجلاله، وهو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائر الأنبياء والمرسلين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ [السجدة: ٤، ٥]، وكذلك هذه الآية كالتى قبلها، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ بداية من يوم الأحد، ونهاية بيوم الجمعة.

قال: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: غيره، ما لكم غير الله جَلَّوَعَلَا من ولي يتولى أموركم، ﴿وَلَا شَفِيعَ﴾، ولا شفيع يشفع لكم عند الله إلا بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أفلاتتذكرون بهذا؟! أن الأمر كله وآخره وظاهره وعلا نيته وسره كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس له شريك فيه.

قال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ انظر هذا الارتفاع بين السماء والأرض، في يوم كان مقداره ألف سنة، ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ تعرفونه من السنين، وهذا كله يحصل في يوم واحد قريب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]) ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يعني: يدخل في الأرض، وما يخرج من الأرض.

قال: ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، وما ينزل من السماء إلى الأرض، وما يعرج فيها إلى السماء كله يعلمه الله - جل و علا -.

قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ هو معكم - أيها الناس - معكم بعلمه، أينما كنتم لا تغيبون عنه، ولا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأموركم.

قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يبصره ويراه ويسمعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يخفى عليه شيء من أموركم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فذكر عموم علمه، وعموم قدرته، وعموم إحاطته، وعموم رؤيته) كل هذا أخبر عن نفسه به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ [الملك: ١٦، ١٧] ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾، وهو الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يعني: تموج، بل هي ثابتة بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مستقرة بأمر الله جَلَّ وَعَلَا.

قال: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾، وهو الله، ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: ريحا تحمل الحصى وترسلها، ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢])، القرآن والوحي تنزيل من حكيم حميد وهو الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَقَوْلُهُ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أي: القرآن، ﴿مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ العزيز القوي الذي لا يغالب ولا يمانع، ﴿الْحَكِيمِ﴾ الذي أحكم الأمور وأتقنها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦)﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] الله جَلَّ وَعَلَا أرسل إلى فرعون، لما قال للناس: أنا ربكم الأعلى، أرسل الله إليه الملك يخبره ببطلان قوله، وأن الملك لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن الأعلى هو الله جَلَّ وَعَلَا، أما فرعون فإنه مخلوق ضعيف من جملة المخلوقات الضعيفة أمام قدرة الله وسلطانه.

قال: ﴿﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦)﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ ﴿ابْنُ لِي صَرَحًا﴾ يعني: بناء مرتفعاً أصدع عليه يبلغ السماء ﴿فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ الذي أخبر عنه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ يقول فرعون: إني لأظن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كاذباً. تعالى الله عن ذلك، وتنزه رسوله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الكذب. انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.



ش: قلت: وقد ذكر الأئمة -رحمهم الله تعالى- فيما صنفوه في الرد على نفاة الصفات من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ونحوهم أقوال الصحابة والتابعين.

فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» وغيره بالأسانيد الصحيحة ^(١) عن أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. قَالَتْ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْإِقْرَارُ بِهِ إِيْمَانٌ وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ». رواه ابن المنذر واللالكائي، وغيرهما بأسانيد صحاح ^(٢).

قال: وثبت عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ^(٣) قَالَ: (سُئِلَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٤) عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ:

(١) أي: غير الذهبي، فالذهبي له كتاب آخر اسمه (الأربعين في صفات رب العالمين) موجود منه جزء، أو جزئين ليس بكامل لكن ما فيه أسانيد، والظاهر أنه هو، ويريد غير الذهبي.

(٢) أخرجه الذهبي في العلو (ص ٨١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ٣٩٧)، والمقدسي في الاقتصاد في الاعتقاد (١/ ٨٥).

(٣) هو الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي مولى امرأة من بني هلال ابن عامر، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك، وقيل مولى مسعر بن كدام، الكوفي ثم المكّي، مولده سنة سبع ومائة في نصف شعبان، ووفاته سنة ثمان وتسعين ومائة، طلب الحديث وهو غلام، وكان إماماً عالماً ثبّاتاً حجة زاهداً ورعاً مجتمعا على صحة حديثه وروايته. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٩٧)، والأنساب (٥/ ٦٥٧)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٧٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٩١).

(٤) هو ربّيعَة بن أبي عبد الرحمن فروخ الفقيه أبو عثمان المدني عالم المدينة، ويقال له ربّيعَة الرأي، كان من أئمة الفتوى والفقه، توفي سنة ست وثلاثين ومائة.

«الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكَيفُ غيرُ معقولٍ، ومن الله الرسالةُ وعلى الرسولِ البلاغُ المبينُ، وعلينا التَّصديقُ»^(١).

وقال ابن وهب: «كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأُطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرَّحْضَاءُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَلَا يُقَالُ كَيْفَ وَكَيْفَ عَنْهُ مَرْفُوعٌ وَأَنْتَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ أَخْرَجُوهُ». رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب، ورواه عن يحيى بن يحيى أيضاً، ولفظه قال: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكَيفُ غيرُ معقولٍ والإيمانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا»^(٢).

قال الذهبي: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية.

قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: استوى: علا على العرش^(٣).

وقال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي: ارتفع.

= انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٣٢٠)، وتاريخ بغداد (٨/٤٢٠)، ووفيات الأعيان (٢/٢٨٨)، والوافي بالوفيات (١٤/٦٤)، وسير أعلام النبلاء (٦/٨٦)، وشذرات الذهب (١/١٩٤).

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الأساء والصفات (٢/١٥١)، والذهبي في العلو (ص ١٢٩)، وابن قدامة في العلو (ص ١١٤).

(٢) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الأساء والصفات (٢/١٥١)، والذهبي في العلو (ص ١٢٩)، وابن قدامة في العلو (ص ١١٤).

(٣) انظر: البخاري (١٣/٤٠٣).

وقال محمد ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي: علا وارتفع^(١).

وشواهد في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك قولُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢):

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ شِدَادٍ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسُومِينَ

وروى الدارمي، والحاكم، والبيهقي بأصح إسناد إلى عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قال: سمعت ابن المبارك يقول: «نَعْرِفُ رَبَّنَا بِأَنَّهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٦/١٣٨).

(٢) قصة عبد الله بن رواحة لما وقع على أمته، وأنكرت عليه زوجته، فقالت: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن، فَعَرَّضَ عليها وذكر آياتاً، فقالت: آمنت بالله وكذبت بصري. رواها الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٥٦)، والدارقطني في السنن (١/١٢٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/١١٢، ١١٣) بأسانيد فيها مقال، وقد قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٢٩٦): (رويناها من وجوه صحاح). اهـ. وتعقبه الذهبي في العلو (ص ٤٩) بقوله: (روى من وجوه مرسله) اهـ.

وأوردها عدد من أهل العلم في كتبهم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/٣٥٧)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/١٢)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/٢٦٤).

وفي سنن الدارقطني أنه قرأ آياتاً غير ما ذكر المؤلف فقال فيها:

اتانا رسول الله يتلو كتابه	كما لاح مشهور من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه	إذا استنقلت بالمشركين المضاجع

والله أعلم.

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ»^(١).

قال الدارمي: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: «قِيلَ لَهُ: كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢).

وقد تقدم قول الْأَوْزَاعِيِّ: «كُنَّا وَالتَّابِعُونَ متوافرون نقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ فَوْقَ عَرْشِهِ وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ»^(٣).

وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب (الأصول): أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضاً: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء، وعلمه في كل مكان: ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء^(٤). وهذا لفظه في كتابه.

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٤٧) رقم (٦٧).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٤٧) رقم (٦٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠)، والذهبي في السير (٧/ ١٢٠، ١٢١)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٧٩، ١٨٠) وصححه، وذكره ابن حجر في الفتوح (١٣/ ٤٠٦)، وقال: (أخرجه البيهقي بإسناد جيد).

(٤) انظر: العلو (ص ٢٤٦)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٧٦).

وهذا كثير في كلام الصحابة، والتابعين، والأئمة، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه على لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله، وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، ولم يمثّلوا، ولم يكيّفوا، كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب. وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد ابن درهم^(١)، وكذلك أنكر جميع الصفات، وقتله خالد بن عبد الله القسري، وقصته مشهورة.

فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان^(٢) إمام الجهمية، فأظهرها، واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل: الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحمام بن زيد، وحمام بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى.

(١) الجعد بن درهم: هو مؤسس مذهب التعطيل وأول من قال: إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، ويقال له مروان الجعدي؛ لأنه كان مؤدباً لمروان الحمار آخر خلفاء بني أمية. قتله خالد القسري يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، ونزل فقتله، وكان من أبرز تلاميذه الجهم بن صفوان، وبه عُرف مذهب التعطيل. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٤/٤٦٦)، والنونية بشرح ابن عيسى (١/٥٠، ٥١).

(٢) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرّاً عظيماً، رأس في التعطيل، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، وزعم أن القرآن مخلوق، وذهب إلى القول بأن العبد لا قدرة له أصلاً، بل فعله كحركة المرتعش أو كالريشة في مهب الريح، أو بمنزلة حركة أغصان الشجر، فالعبد عندهم مجبور على فعله، وأن الجنة والنار تفتيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى، قتله سلم بن أحوز سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

فقال الأوزاعي - إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة -: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده إلى أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهرى - ببغداد - حدثنا إبراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيبي سمعت الأوزاعي يقول: «كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ عَرْشِهِ وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ». أخرجه البيهقي في الصفات، ورواه أئمة ثقات.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، ونثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] اهـ. من فتح الباري (١).

قوله: عن العباس بن عبد المطلب ساقه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ مختصراً، والذي في سنن أبي داود: عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: «كُنْتُ فِي الْبُطْحَاءِ فِي عَصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تَسْمُونَهُ هَذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابُ، قَالَ: «وَالْمُزْنُ». قَالُوا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: «وَالْعَنَانُ». قَالُوا: الْعَنَانُ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ أَتَقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا. قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوْ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكْبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ

(١) انظر: فتح الباري (١٣/٤٠٧). وانظر أيضًا: إثبات صفة العلو لابن قدامة (ص ١٢٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/٧٩).

إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ
إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ». وأخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال
الترمذي: حسن غريب.

وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى الترمذي
نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ
عَامٍ»^(١). ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام، هو على سير القافلة
مثلاً، ونيف وسبعون سنة على سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين
مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد.

وروى شريك بعض هذا الحديث عن سهاك فوقفه، هذا آخر كلامه.
قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات،
والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم،
وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعفه
لكثرة شواهد التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله، وعظم مخلوقاته، وأنه المتصف
بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه، وبالله
التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كامل مقابلةً وتصحيحاً وقراءةً على يد شيخنا العلامة، المحقق الفهامة،

بقية أهل الاستقامة الشيخ / عبد الله بن الشيخ حسن آل الشيخ، متع الله بحياته سنة ١٣٦٢هـ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: وقد ذكر الأئمة -رحمهم الله تعالى- فيما صنفوه في الرد على نفاة الصفات من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ونحوهم أقوال الصحابة والتابعين.

فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. قَالَتْ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالِإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ». رواه ابن المنذر واللالكائي، وغيرهما بأسانيد صحاح الاستواء هو الارتفاع، وهو غير مجهول.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ) كيفية الاستواء لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن ثبت الاستواء لله على العرش، وأما كيفيته فهذا لا نعلمه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالِإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ) الإقرار بالاستواء إيمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ) والجحود بالاستواء كفر، فمن أنكر استواء الله على عرشه كفر -والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال: وثبت عن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: (سُئِلَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنْ اللَّهِ الرِّسَالَةُ

وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، وَعَلَيْنَا التَّصَدِيقُ» هَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ السَّلِيمُ،
الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عن
كيفية الاستواء بدعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: «كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ
فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرَّحَضَاءُ،
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَلَا يُقَالُ
كَيْفَ وَكَيْفَ عَنْهُ مَرْفُوعٌ وَأَنْتَ صَاحِبُ بَدْعَةٍ أَخْرَجُوهُ»)، فلا يسأل عن
كيفية استواء الله على العرش؛ لأن هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب، ورواه عن
يحيى بن يحيى أيضاً، ولفظه قال: «الاستواء غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ
وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا». قال الذهبي:
فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى
تفسير، ونفوا عنه الكيفية) هذا منهج السلف الصالح، الاستواء معلوم،
والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: استوى: علا على
العرش) استوى أي: علا على العرش، ارتفع على العرش.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين
يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي: ارتفع) استوى يعني: ارتفع،
الاستواء هو الارتفاع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال محمد ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي: علا وارتفع) استوى أي: علا وارتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وشواهد في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ شِدَادٍ مَلَائِكَةُ إِلَهِ مُسُومِينَ)

هذا الكلام متواتر عنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وروى الدارمي، والحاكم، والبيهقي بأصح إسناد إلى عَلِيِّ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قال: سمعت ابن المبارك يقول: «نَعَرَفُ رَبَّنَا بِأَنَّهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ»، ولا نقول كما قالت الجهمية في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي، وهو رجل ضلالة وجهالة وكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الدارمي: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: «قِيلَ لَهُ: كَيْفَ نَعَرَفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ» (بهذا نعرف ربنا أنه فوق السماء السابعة على العرش، وأنه بائن من خلقه، يعني: منفصل عن خلقه، ليس مختلطاً بهم).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد تقدم قول الْأَوْزَاعِيِّ: «كُنَّا وَالتَّابِعُونَ متوافرون نقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فَوْقَ عَرْشِهِ وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ) هكذا ما كان عليه السلف الصالح، أنهم يؤمنون بأن الله فوق سماواته، بائن من خلقه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب (الأصول): أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته) استوى يعني: علا وارتفع على عرشه بذاته، لا بغير ذاته، إنما بذاته سبحانه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة على أن الله -تعالى- استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز) استوى على عرشه، ارتفع على عرشه على الحقيقة لا على المجاز الذي يقول به من لا يعرفون الله جَلَّ وَعَلَا حق المعرفة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء، وعلمه في كل مكان) قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ أحد الأئمة الأربعة: الله في السماء، وعلمه في كل مكان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أي: علمه معكم، وليس الله جَلَّ وَعَلَا مختلط بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل هو على عرشه فوق مخلوقاته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. وهذا لفظه في كتابه. وهذا كثير في كلام الصحابة، والتابعين، والأئمة، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه على لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله، وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، ولم يمثلوا، ولم يكيفوا، كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد ابن درهم) الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد القسري، فقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ موسى كلياً، ولا إبراهيم خليلاً ثم نزل وذبحه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد ابن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، وقتله خالد بن عبد الله القسري، وقصته مشهورة) يقول ابن القيم^(١):

وَلَأَجَلَ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدٍ الـ قَسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْيَانِ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلُهُ كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها، واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل: الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى) كل أهل السنة والجماعة يردون هذا القول-قول الجعد بن درهم- وينكرونه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقال الأوزاعي -إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة-: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده إلى أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري

(١) انظر النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٥٠).

-بيغداد- حدثنا إبراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الأوزاعي يقول: «كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ فَوْقَ عَرْشِهِ وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السَّنَةُ مِنْ صِفَاتِهِ». أخرج البيهقي في الصفات، ورواته أئمة ثقات) هذا ما عليه السلف الصالح وأتباعهم ممن جاء من بعدهم، أنهم يثبتون لله ما أثبتته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، أو أثبتته له رسوله، أو نفاه عنه رسوله، على هذا درج كل أهل السنة والجماعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر) ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه، يعني: أنه بلغه ما عليه السلف وأئمة الهدى ثم أنكره، فإنه يهلك بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل) قبل قيام الحجة يمسك عن تكفيره إلى أن يبين له الحق، فإن أصر حكم بكفره؛ لزوال جهله بالحق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونثبت هذه الصفات، ونفي عن التشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١]﴾. اهـ). من فتح الباري) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ليس كمثل الله شيء، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ انظر إلى أنه أثبت لنفسه السمع والبصر بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فدل على أن أسماء الله وصفاته لا تشبه أسماء المخلوقين وصفات المخلوقين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: عن العباس بن عبد المطلب ساقه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ مختصرًا، والذي في سنن أبي داود: عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: «كُنْتُ فِي الْبُطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تَسْمُونَ هَذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابُ، قَالَ: «وَالْمُزْنُ»، قَالُوا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: «وَالْعَنَانُ»، قَالُوا: الْعَنَانُ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ أَتَقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا. قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَّةٌ أَوْ عَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكْبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ». وأخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب) جل الله في علاه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»). ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام، هو على سير القافلة مثلاً، ونيف وسبعون سنة على سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد.

وروى شريك بعض هذا الحديث عن سهاك فوقفه، هذا آخر كلامه.

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم،

وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهد التي يستحيل دفعها وصرها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله، وعظم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه، وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
كامل مقابلةً وتصحيحاً وقراءةً على يد شيخنا العلامة، المحقق الفهامة، بقية أهل الاستقامة الشيخ / عبد الله بن الشيخ حسن آل الشيخ، متع الله بحياته سنة ١٣٦٢ هـ). الشيخ عبد الله بن حسن أي: في مكة، وبالله تعالى التوفيق،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ .
الثانية : أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا .

الثالثة : أَنَّ الْحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَهُ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ
بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ .

الرابعة : وَقُوعُ الضَّحِكِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا ذَكَرَ الْحَبْرُ
هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ .

الخامسة : التَّضَرُّعُ بِذِكْرِ الْيَدَيْنِ ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي الْيَدِ الْيُمْنَى ،
وَالْأَرْضَيْنِ فِي الْأُخْرَى .

السادسة : التَّضَرُّعُ بِتَسْمِيَّتِهَا الشَّمَالَ .

السابعة : ذِكْرُ الْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ .

الثامنة : قَوْلُهُ : « كَخَزْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ » .

التاسعة : عِظَمُ الْكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ .

العاشرة : عِظَمُ الْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُرْسِيِّ .

الحادية عشرة : أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرُ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ .

الثانية عشرة : كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ .

الثالثة عشرة : كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ .

الرابعة عشرة : كَمْ بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ .

الخامسة عشرة : أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ .

السَّادِسَةُ عَشْرَةَ: أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ.
 السَّابِعَةُ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.
 الثَّامِنَةُ عَشْرَةَ: كَيْفَ كُلُّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ.
 التَّاسِعَةُ عَشْرَةَ: أَنَّ الْبَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَغْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ
 مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ.
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه، وسلم
 تسليماً كثيراً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا
 قَبْضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾)، في قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ،
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ هذا فيه إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقْبِضُ الْأَرْضَ، فيقول: «أَنَا
 الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».
 قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي
 زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُنْكِرُواهَا، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا)، أن هذه الأسماء باقية عند اليهود
 ولم ينكروها، ولم يتأولوها عن معناها.
 قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَهُ، وَنَزَلَ
 الْقُرْآنُ بِتَفْصِيلٍ ذَلِكَ)، وكذلك أن الله جَلَّ وَعَلَا صدقه في قوله، فدل على ثبوت
 ذلك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: وَقُوعُ الضَّحْكِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 لَمَّا ذَكَرَ الْحَبْرُ هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ)، مما دل عليه الحديث وقوع الضحك منه
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال اليهودي ذلك مقرراً له على ما قال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْخَامِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ الْيَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي الْيَدِ الْيُمْنَى، وَالْأَرْضَيْنِ فِي الْأُخْرَى)، التصريح بذكر اليدين لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن له يدين تليقان بجلاله وعظمته، واحدة اليمنى، والثانية اليسرى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَّتِهَا الشَّعَالَ)، التصريح بتسمية يد الله جَلَّ وَعَلَا الشمال، فدل على ثبوت ذلك لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ)، ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ»)، أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ»، فدل على صغرها بالنسبة لله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّاسِعَةُ: عِظْمُ الْكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ)، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهذا فيه عظمة الكرسي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْعَاشِرَةُ: عِظْمُ الْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُرْسِيِّ)، عظمة العرش بالنسبة للكرسي، وأنه أعظم من الكرسي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرُ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ)، أن العرش غير الكرسي والماء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ)، كما وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ)، هذه المسافة والارتفاع العظيم الذي أثبتته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ)، هذه المسافة الطويلة، والارتفاع العظيم أثبتته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ)، وهذا ثابت.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ)، كما في هذا الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)، وهذا كما في الحديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: كَيْفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ)، أن كثف كل سماء خمسمائة عام، وأن هذا يدل على عظمة الله جَلَّوَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْبَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ)، البحر الذي فوق السماء أسفله وأعلى خمسمائة عام، كل هذا ثابت في هذا الحديث العظيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً)، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

بدأ شيخنا الإمام العلامة/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان - جزاه الله خيرًا عن الموحدين، ورفع مقامه في الدارين، وغفر له ولوالديه - شرح هذا الكتاب في الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني من العام ألف وأربعمائة وثلاث وثلاثين من الهجرة النبوية المباركة، وانتهى منه في يوم السبت الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة من العام ألف وأربعمائة وأربع وأربعين من الهجرة النبوية المباركة.



فهرس المراجع

- ★ الإبانة الكبرى لابن بطة، الناشر: دار الراه للنشر والتوزيع، الرياض.
- ★ الإبانة في اللغة العربية، المؤلف: سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري، المحقق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤.
- ★ الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنة ٧٨٥ هـ)، المؤلف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عام النشر: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٣.
- ★ الأحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧ هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراه - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٦.
- ★ الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١٣.

★ أحكام القرآن، المؤلف: القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق ابن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي (المتوفى: ٢٨٢ هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣ هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الحلال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١ هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الإحكام شرح أصول الأحكام، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢ هـ)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: ٦٣١ هـ)، المحقق:

عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

★ الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

★ إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

★ أخبار القضاة، المؤلف: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الصَّبِيِّ البَغْدَادِيِّ، الملقَّب بِ«وَكَيْع» (المتوفى: ٣٠٦هـ)، المحقق: صححه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، الطبعة: الأولى، ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م، (صورتها عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المدائن - الرياض)، عدد الأجزاء: ٣.

★ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤، عدد الأجزاء: ٦ أجزاء في ٣ مجلدات.

★ اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه، المؤلف: أبو العباس القرطبي ضياء الدين أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي (٥٧٨هـ - ٦٥٦هـ)،

المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا،
الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، عدد الأجزاء: ٥.

★ اختصار علوم الحديث، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير
القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: أحمد محمد
شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية،
عدد الأجزاء: ١.

★ اختلاف الأئمة العلماء، المؤلف: يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة
الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى: ٥٦٠هـ)، المحقق:
السيد يوسف أحمد، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الإخلاص والنية، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان
ابن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى:
٢٨١هـ)، حققه وعلق عليه: إياد خالد الطباع، الناشر: دار البشائر،
الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن
مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالح الحنبلي
(المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: ٣.

★ أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب
البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار
مكتبة الحياة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، عدد الأجزاء: ١.

★ الأربعون النووية، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشیخی، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الصفحات: ١١٥.

★ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

★ إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، المؤلف: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى ٧٦٧هـ)، المحقق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، قسم من هذا الكتاب: هو أطروحة دكتوراة للمحقق، الناشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: صلاح الدين

مقبول أحمد، الناشر: الدار السلفية - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥،
عدد الأجزاء: ١.

★ أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزنجشري
جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م،
عدد الأجزاء: ٢.

★ أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي
الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال
بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤١١ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
ابن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا،
محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، عدد الأجزاء: ٩.

★ الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى «وهو مشتمل على
ثلاثة كتب في الكنى»، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
النمري القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ)، دراسة وتحقيق وتخریج: عبد الله
مرحول السوالمه، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه في الشريعة الإسلامية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الناشر: دار ابن تيمية للنشر والتوزيع
والإعلام، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ
- ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٣ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجليل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨ (٧ ومجلد فهارس).

★ الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢

★ الإشراف على مذاهب العلماء، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، المحقق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، الناشر: مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ١٠ (٨ ومجلدان للفهارس).

★ الإشراف في منازل الأشراف، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: د نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

★ أصول السرخسي، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

★ أصول الفقه، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السدحان، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ الأصول من علم الأصول، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، المؤلف: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ)، المحقق: الدكتور سعد بن هليل الزويهرى، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النّحّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

★ أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ.

★ الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ وجزء للفهارس).

★ الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

★ إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

★ الاقتراح في بيان الاصطلاح، المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

★ اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر، المؤلف: أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ثم البيري، أبو جعفر الأندلسي (المتوفى: ٧٧٩هـ)، تحقيق: عبد الله حامد النمري، الناشر: هي رسالة ماجستير - بكلية الشريعة جامعة أم القرى (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

★ الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى ابن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف

الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

★ الإقناع لابن المنذر، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الناشر: (بدون)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

★ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري، المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١٢.

★ ألفية ابن مالك، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، الناشر: دار التعاون، عدد الأجزاء: ١.

★ الألفية في الآداب الشرعية [المشهورة بـ «منظومة الآداب»]، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد القوي المرداوي الحنبلي (٦٣٠هـ - ٦٩٩هـ)، اعتنى بها وضبطها: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأبيات: ٩٤٧، عدد الصفحات: ١٠٠.

★ الأم، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي

(المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨.

★ الأمالي في لغة العرب، المؤلف أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، المتوفى: ٣٥٦هـ، دار النشر دار الكتب العلمية، مدينة النشر بيروت.

★ الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، المؤلف: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ، عدد الصفحات: ٥٩، عدد الأجزاء: ١.

★ الأمثال في القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة الصحابة - مصر - طنطا - بجوار محطة القطار - خلف المعهد الأزهري شارع الجنبية الغربي، المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ أمراض القلب وشفائها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية

الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ «أبابطين» (المتوفى: ١٢٨٢هـ)، المحقق: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨هـ)، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس - عمان، عدد الأجزاء: ٢.

★ الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطف، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كـ أسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: عمادة البحث

العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،
الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن
علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالح الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)،
الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ١٢.

★ الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، المؤلف: أبو بكر محمد بن
إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: أبو حماد صغير
أحمد بن محمد حنيف، الناشر: دار طيبة - الرياض - السعودية، الطبعة:
الأولى - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: طُبِعَ منه ٦ مجلدات: ١ -
١١، ٥ فقط.

★ إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، المؤلف: أحمد
ابن يحيى الونشريسي (المتوفى: ٩١٤هـ)، دراسة وتحقيق: الصادق بن
عبد الرحمن الغرياني، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر،
أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق
(المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار
الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: ٣.

★ الإيمان، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي
الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي،
سنة النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٥.

★ الباعث على إنكار البدع والحوادث، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، المحقق: عثمان أحمد عنبر، الناشر: دار الهدى - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.

★ البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - عدد الأجزاء: ٨.

★ البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨.

★ البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

★ البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.

★ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٤.

- ★ البداية والنهاية، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥ هـ.
- ★ بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
- ★ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
- ★ البدع والنهي عنها، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (المتوفى: ٢٨٦ هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ★ بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، المؤلف: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (المتوفى: ١١٥٦ هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨ هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- ★ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.

- ★ البعث والنشور، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري، الناشر: مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ، عدد الصفحات: ٨٦٧.
- ★ بغية الطلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠ هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٢.
- ★ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، المؤلف: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩ هـ)، الناشر: دار الكاتب العربي - القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧ م.
- ★ بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨ هـ)، المحقق: د. الحسين آيت سعيد، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٦ (٥ أجزاء، ومجلد فهارس).
- ★ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠ هـ)، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢٠ (١٨ ومجلدان للفهارس).

★ تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

★ تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.

★ تاريخ التشريع الإسلامي، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

★ تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

★ التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.

★ تاريخ المدينة لابن شبة، المؤلف: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

★ تاريخ بغداد، اسم المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

★ تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس).

★ تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، المؤلف: عبد الله ابن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ «أبابطين» (المتوفى: ١٢٨٢هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ تأويل مختلف الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراف، الطبعة: الطبعة الثانية - مزيده ومنقحة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ التبر المسبوك في نصيحة الملوك، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١.

★ التبصرة في أصول الفقه، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، المحقق: د. محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١.

★ التبصرة لابن الجوزي، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ التبيان في إعراب القرآن، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١.

★ تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشُّلْبِيّ، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشُّلْبِيّ (المتوفى: ١٠٢١هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي ط ٢).

★ التجريد للقدوري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين القدوري (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية؛ أ. د محمد أحمد سراج، أ. د علي جمعة محمد،

الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م،
عدد الأجزاء: ١٢.

★ تحرير ألفاظ التنبيه، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف
النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: دار القلم
- دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

★ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير
الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن
عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر -
تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في
قسمين).

★ تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، المؤلف: القاضي ناصر الدين عبد الله
ابن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ)، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور
الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت،
عام النشر: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد
عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣ هـ)، الناشر:
دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.

★ تحفة اللبيب بمن تكلم فيهم الحافظ ابن حجر من الرواة في غير
«التقريب»، المؤلف: أبو عمرو نور الدين بن علي بن عبد الله السدعي
الوصابي، قدم له: محمد بن عبد الله الإمام، الناشر: مكتبة ابن عباس

للنشر والتوزيع، المنصورة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (السفر الأول)، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الليلي أبو جعفر الفهري المقرئ اللغوي المالكي (المتوفى: ٦٩١ هـ)، المحقق: د. عبد الملك بن عيضة الثبتي، الأستاذ المساعد في كلية المعلمين بمكة المكرمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة لفرع اللغة العربية، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، في المحرم ١٤١٧ هـ، سنة النشر: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، عدد الأجزاء: ٢.

★ التدوين في أخبار قزوين، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣ هـ)، المحقق: عزيز الله العطاردي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي

(المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ التذكرة في علوم الحديث، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، قدم لها وضبط نصها وعلق عليها: علي حسن عبد الحميد، الناشر: دار عمّار، عمّان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

★ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧، عدد الأجزاء: ٤.

★ التسعينية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٣ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة ويليهِ «فائت التسهيل»، المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين الحنبلي مذهباً، النجدي القصيمي البُردي (١٣٢٠ هـ - ١٤١٠ هـ)، المحقق: بكر بن عبد الله

أبو زيد، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليهِ شرح الصدور في تحريم رفع القبور، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

★ تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، الناشر: مكتبة المنار - عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، عدد الأجزاء: ١.

★ التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

★ تعظيم قدر الصلاة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج
الْمَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار
الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى،
١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

★ تغليق التعليق على صحيح البخاري، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي
ابن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق:
سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار
- بيروت، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٥.
★ التَّفْسِيرُ البَسِيطُ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي
الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل
تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت
لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ،
عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ جزء للفهارس).

★ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن
جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:
٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند
حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤
مجلد ومجلدان فهارس.

★ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

★ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي ابن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

★ تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ.

★ تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

★ تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد ابن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

★ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٣.

★ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.

★ تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشر: جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ١.

★ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

★ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، المؤلف: محمد بن فتوح ابن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥، عدد الأجزاء: ١.

★ تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.

★ التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ التقفية في اللغة، المؤلف: أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البندنجي، (المتوفى: ٢٨٤هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الناشر: الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي (١٤) - مطبعة العاني - بغداد، عام النشر: ١٩٧٦ م، عدد الأجزاء: ١.

★ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ تلبیس إبلیس، المؤلف: جمال الدین أبو الفرج عبد الرحمن بن علی بن محمد الجوزی، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بیروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

★ التمثیل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعیل أبو منصور الثعالبی (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ١.

★ التمهید فی أصول الفقه، المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكلؤذانی الحنبلي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: مفید محمد أبو عمشة (الجزء ١ - ٢) ومحمد بن علی بن إبراهيم (الجزء ٣ - ٤)، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (٣٧)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٤.

★ التمهید، یوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقیق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

★ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: یوسف علی بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بیروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلین وتحذير السالکین من أفعال الجاهلین، المؤلف: محیی الدین أبو زکریا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي

(المتوفى: ٨١٤هـ)، حققه وعلق عليه: عماد الدين عباس سعيد، إشراف: المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

★ تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ، عدد الأجزاء: ١٢.

★ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٣٥.

★ تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

★ تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، [آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (٢٩)]، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي

بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١)، ج ١: تحقيق (علي ابن محمد العمران)، راجعه (جديع بن جديع الجديع - عبد الرحمن بن صالح السديس)، ج ٢، ٣: تحقيق (نبيل بن نصار السندي)، راجعه (محمد أجمال الإصلاحي - عمر بن سَعْدِي)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م (الأولى لدار ابن حزم)، عدد الأجزاء: ٣.

★ التوشيح شرح الجامع الصحيح، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، المحقق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٩ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٢.

★ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٣.

★ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

★ التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملتن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٣٦ (٣٣ و ٣ أجزاء للفهارس).

★ التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

★ الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

★ تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣، عدد الأجزاء: ٩.

★ ثلاثة الأصول وأدلتها - وشروط الصلاة - والقواعد الأربع، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، رقم الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، الصفحات: ٤٨، عدد الأجزاء: ١.

★ الجاسوس على القاموس، المؤلف: أحمد فارس أفندي، صاحب الجوائب، الناشر: مطبعة الجوائب - قسطنطينية، عام النشر: ١٢٩٩ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣ هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، عدد الأجزاء: ٢، (الأجزاء ١٠، ١١ من المصنف).

★ جامع التحصيل في أحكام المراسيل، المؤلف: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١ هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.

★ جامع الرسائل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢.

★ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الکَلِم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

★ جامع المسانيد، المؤلف: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥، عدد الأجزاء: ٨.

★ جامع المسائل - المجموعة السابعة، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

★ جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الجامع في الجرح والتعديل [لأقوال البخاري، ومسلم، والعجلي، وأبي زرعة الرازي، وأبي داود، ويعقوب الفسوي، وأبي حاتم الرازي، والترمذي، وأبي زرعة الدمشقي، والنسائي، والبزار، والدارقطني]، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري، حسن عبد المنعم شلبي، أحمد عبد الرزاق عيد، محمود محمد خليل الصّعدي، الدكتور محمد مهدي المسلمي، أيمن إبراهيم الزاملي، إبراهيم محمد النوري، الناشر: عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ الجامع في الحديث لابن وهب، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧ هـ)، المحقق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين - القاهرة، الناشر: دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، المؤلف: أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني (المتوفى ٣٨٦ هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد أبو الأجفان - عثمان بطيخ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت -

المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات).

★ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، عدد الأجزاء: ٢.

★ الجامع لعلوم الإمام أحمد، الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المؤلف: خالد الرباط، سيد عزت عيد، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٢٢.

★ الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

★ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١.

★ جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، المؤلف: جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، المحقق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ٢٥ (الآخر فهارس).

★ الجمع بين الصحيحين، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (المتوفى: ٥٨٢هـ)، اعتنى به: حمد بن محمد الغماس، تقديم: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٤.

★ جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣.

★ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية

(المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى،

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١

★ جواهر الأدب في أديبات وإنشاء لغة العرب، المؤلف: أحمد بن إبراهيم

بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، اشرفت على تحقيقه

وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت،

عدد الأجزاء: ٢.

★ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن

محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي

معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث

العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

★ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن

نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)،

الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.

★ حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى:

٧٩٢هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين

القزويني]، المؤلف: محمد بن عرفة الدسوقي، المحقق: عبد الحميد

هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، المؤلف: حسن

ابن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار

الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٢.

- ★ الحاوي للفتاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٢.
- ★ حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، عدد الأجزاء: ١، الناشر: دار الرسالة.
- ★ الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ★ الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجايي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٧.
- ★ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد ابن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١، عدد الأجزاء: ١.
- ★ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،

الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.

★ حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، المؤلف: سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حققه وعلق عليه: الدكتور ياسين أحمد إبراهيم درادكه، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة - الجامعة الأردنية، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة - المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٨.

★ حماسة الخالدين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، المؤلف: الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (المتوفى: نحو ٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (المتوفى: ٣٧١هـ)، المحقق: الدكتور محمد علي دقة، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، عام النشر: ١٩٩٥، عدد الأجزاء: ١.

★ الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٢.

★ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، المؤلف: سليمان بن عبد الرحمن الحقييل، الطبعة: الأولى، ١٤١٩/١٩٩٩م، عدد الصفحات: ٢٢٢.

- ★ الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، المؤلف: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (المتوفى: ٢٤٠هـ)، المحقق: علي بن محمد بن ناصر الفقهري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١.
- ★ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١٣ (١١ جزء ومجلدان فهارس).
- ★ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحیح الخلاصة للعلامة الحافظ البار علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني)، المؤلف: أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليمني، صفي الدين (المتوفى: بعد ٩٢٣هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية/ دار البشائر - حلب / بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ★ الخلافات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، المؤلف: أبو بكر البيهقي (٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ)، تحقيق ودراسة: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، بإشراف محمود بن عبد الفتاح أبو شذا النحال، الناشر: الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، عدد الأجزاء: ٨ (الأخير فهارس).

- ★ خلق أفعال العباد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، عدد الأجزاء: ١.
- ★ الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدير المستعصمي (٦٣٩هـ - ٧١٠هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ١٣ (آخر جزئين فهارس).
- ★ الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣ م.
- ★ الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى، المؤلف: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ«ابن المبرد» (المتوفى: ٩٠٩هـ)، المحقق: رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ٣.
- ★ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.
- ★ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد / الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م، عدد الأجزاء: ٦.

★ الدعاء للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٢.

★ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى الحُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ، عدد الأجزاء: ٧.

★ الديباج المذهب في مصطلح الحديث (مطبوع مع شرح منلا حنفي عليه)، المؤلف: يُنسب لعلّي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنباي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر، باشر طبعه: محمد أمين عمران، عام النشر: ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م، عدد الأجزاء: ١.

★ ديوان ابن الرومي، المؤلف: علي بن العباس بن جريج ابن الرومي، المحقق: أحمد حسن بسج، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٣ - ٢٠٠٢، عدد المجلدات: ٣، رقم الطبعة: ٣.

- ★ ديوان أبي تمام الطائي حبيب بن أوس، المؤلف: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، الناشر: محمد جمال - القاهرة، الصفحات: ٥٤٢.
- ★ ديوان البوصيري، المؤلف: شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الجنوني الصنهاجي (٦٠٨-٦٩٦ هـ).
- ★ ديوان الشافعي، المؤلف: محمد بن ادريس الشافعي، المحقق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الصفحات: ١٢٨.
- ★ ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقق: حماد بن محمد الأنصاري، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، عدد الأجزاء: ١.
- ★ ديوان طرفة بن العبد، المؤلف: طَرْفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: ٥٦٤ م)، المحقق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١.
- ★ ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، المؤلف: قيس بن الملوح، المحقق: يسري عبد الغني، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١.
- ★ ديوان نصيب بن رباح، للشاعر: نصيب بن رباح (ت ١٠٨ هـ)، تحقيق: داود سلوم، الناشر: مكتبة الأندلس، بغداد، الطبعة: ١٩٦٨ م، عدد المجلدات: ١، عدد الصفحات: ٢٧٠.

★ ذم الكلام وأهله، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٥.

★ ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الرد الوافر، المؤلف: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣، عدد الأجزاء: ١.

★ الرد على الجهمية والزنادقة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١.

★ الرد على الجهمية، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١.

★ الرد على الجهمية، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنَدَه العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد ناصر الفقيهى، الناشر: المكتبة الأثرية - باكستان، عدد الأجزاء: ١.

★ الرسالة التبوكية (ضمن مجموع الرسائل)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩-٧٥١هـ)، المحقق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

★ رسالة في أصول الحديث (مطبوع ضمن كتاب: رسالتان في المصطلح)، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: علي زوين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ رسوم التحديث في علوم الحديث، المؤلف: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري (المتوفى: ٧٣٢هـ)، المحقق: إبراهيم بن شريف الملي، الناشر: دار ابن حزم - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.

★ روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلامى،

البغدادى، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١

★ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٧.

★ الروض الداني (المعجم الصغير)، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.

★ الروض المربع شرح زاد المستقنع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، الناشر: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: ١.

★ روضة المحيين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

★ رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ١.

★ ریحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عمر الخفاجي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

★ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.

★ الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢، عدد الأجزاء: ٢.

★ الزهد الكبير، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد لأبي داود السجستاني، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث ابن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم ابن عباس بن غنيم وقدم له وراجعته: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد لوكيع، المؤلف: أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي ابن فرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس الرؤاسي

(المتوفى: ١٩٧هـ)، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمُروزيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد والورع والعبادة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: حماد سلامة، محمد عويضة، الناشر: مكتبة المنار - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ زهر الآداب وثمر الألباب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجليل، بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

- ★ السبعة في القراءات، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر ابن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ★ سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، عدد الأجزاء: ٢.
- ★ السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، المؤلف: الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، عدد الأجزاء: ٤.
- ★ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦.
- ★ سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ«كاتب جلبي» وبـ«حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسىكا، إستانبول - تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ٦ (الأخير فهارس).
- ★ سمط اللائي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي / لأبي عبيد البكري؛ نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه

عبد العزيز الميمني]، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

★ السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

★ السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الحلال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٧.

★ السنة، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (المتوفى: ٢٩٠هـ)، المحقق: د. محمد بن سعيد ابن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٢.

★ السنة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: سالم أحمد السلفي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

★ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

★ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

★ سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة،

- ★ سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
- ★ سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.
- ★ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- ★ السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ★ السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- ★ السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- ★ سنن سعيد بن منصور، المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية - الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٢*١.
- ★ سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.

★ سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المؤلف: محمد بن إسحاق ابن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.

★ السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

★ السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، عدد الأجزاء: ٢.

★ سيف الله على من كذب على أولياء الله، المؤلف: صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي، تقريظ: معالي الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، تحقيق: أبي البراء علي رضا بن عبد الله المدني، الناشر: دار الكتاب والسنة - عين شمس الشرقية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، عدد الأجزاء: ١.

★ الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري،

الشافعي (المتوفى: ٨٠٢هـ)، المحقق: صلاح فتحي هلال، الناشر: مكتبة

الرشد، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.

★ شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط
ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

★ شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي)، المؤلف: أبو الفضل

زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم

العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين

فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى،

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

★ شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، المؤلف: بدر الدين محمد ابن

الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦هـ)، المحقق: محمد باسل

عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -

٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن

عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقق: محمد

محبي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر

للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ -

١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٤.

★ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن

الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق:

★ شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ ابن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ١.

- ★ شرح العمدة لشيخ الإسلام ابن تيمية - من أول كتاب الصلاة إلى آخر باب آداب المشي إلى الصلاة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: خالد بن علي بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.
- ★ شرح ألفية ابن مالك المسمى «تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة»، المؤلف: زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن الوردي (٦٩١ - ٧٤٩ هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور عبد الله بن علي الشلال، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم واحد متسلسل).
- ★ الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، المؤلف: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٣٠.
- ★ شرح الكوكب المنير، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢ هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

- ★ شرح المفصل للزخشري، المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصللي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٦ (٥ وجزء للفهارس).
- ★ شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت: ٢٣١هـ)، المؤلف: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: دار القلم - بيروت، عدد الأجزاء: ١.
- ★ شرح سنن أبي داود، المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين ابن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى: ٨٤٤ هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، عدد الأجزاء: ٢٠ (الأخير فهارس).
- ★ شرح صحيح البخاري لابن بطلال، المؤلف: ابن بطلال أبو الحسن علي ابن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٠.
- ★ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاضِ الْمُسَمَّى إِكْمَالُ الْمُعْلَمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن ليحصب السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤ هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر:

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٨.

★ شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ وجزء للفهارس).

★ شرح مقامات الحريري، المؤلف: أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشُّريشي (المتوفى: ٦١٩ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ، عدد الأجزاء: ٣.

★ شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤ هـ)، المحقق: قدم له: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، الناشر: دار الأرقم - لبنان / بيروت، عدد الصفحات: ٨١٦.

★ شرف أصحاب الحديث، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة، عدد الأجزاء: ١.

★ الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي البغدادي (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن

سليمان الدميحي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥.

★ شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣)، ومجلد للفهارس).

★ الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤ هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمّني (المتوفى: ٨٧٣ هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، عدد الأجزاء: ١.

★ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣ هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله

العمرى - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١١ مجلد (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس.

★ الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه، المؤلف: أحمد بن حجر بن محمد بن حجر بن أحمد بن حجر بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي البنعلي (ت ١٤٢٣ هـ)، الناشر: دار الفتح الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الصفحات: ٢٥١.

★ الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ١.

★ الصَّارِمُ الْمُنْكَي فِي الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِ، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤ هـ)، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري الياني، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ، الناشر: مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ١٥.

- ★ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
- ★ صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ★ صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ابن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
- ★ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- ★ صفة الجنة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، المحقق: علي رضا عبد الله، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / سوريا، عدد الأجزاء: ٣ في ٢.
- ★ صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.
- ★ صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحرّاني الحنبلي (المتوفى: ٦٩٥هـ)، المحقق:

محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت،
الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الصمت وآداب اللسان، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد
ابن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا
(المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار الكتاب
العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الصناعتين، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن
يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد
البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت،
عام النشر: ١٤١٩هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، المؤلف: محمد بن أبي
بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،
المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض،
المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ الضعفاء الكبير، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد
العقيلي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي،
الناشر: دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ -
١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ٤.

★ طبقات الحفاظ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي
(المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

★ طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

★ طبقات الشافعية، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ طبقات الشافعية، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

★ طبقات الشافعيين، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عذب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ طبقات الشعراء، المؤلف: عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)، المحقق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: دار المعارف - القاهرة، الطبعة: الثالثة.

★ طبقات الفقهاء، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، هذبة: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠.

★ الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

★ طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ طلبة الطلبة، المؤلف: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: ٥٣٧هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثني ببغداد، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣١١هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

★ عداء الماتريديّة للعقيدة السلفية، المؤلف: شمس الدين السلفي الأفغاني، الناشر: مكتبة الصديق، سنة النشر: ١٤١٩ - ١٩٩٨، عدد المجلدات: ٣، رقم الطبعة: ٢.

★ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت / مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ العدة شرح العمدة، المؤلف: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (المتوفى: ٦٢٤هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، المؤلف: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ)، وقف على طبعه والعناية به: نظام محمد صالح يعقوبي، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ٣ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ العرش، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٢.

★ العزلة، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، المحقق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١٣.

★ العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ٥.

★ العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، المؤلف: حسين بن غنّام (أو ابن أبي بكر بن غنّام) النجدي الأحسائي المالكي (المتوفى: ١٢٢٥هـ)، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، المحقق: محمد بن عبد الله الهبدان، عدد الأجزاء: ١.

★ عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم ابن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ (الشاه ولي الله الدهلوي) (المتوفى: ١١٧٦هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، عدد الأجزاء: ١.

★ العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: أيمن نصر الأزهرى - سيد مهني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ العقد المنظوم في الخصوص والعموم، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (٦٢٦ - ٦٨٢ هـ)، دراسة وتحقيق: د. أحمد الحتم عبد الله، الناشر: دار الكتبي - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ علماء نجد خلال ثمانية قرون، المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، الناشر: دار العاصمة، سنة النشر: ١٤١٩، عدد المجلدات: ٦، رقم الطبعة: ٢.

★ العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١

★ عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤلف: عبد الغني ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (ت ٦٠٠ هـ)، دراسة وتحقيق: محمود الأرناؤوط، مراجعة وتقديم: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق - بيروت، مؤسسة قرطبة، مدينة الأندلس، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الصفحات: ٢٨٢.

★ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي

(المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب

العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٤.

★ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد

ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى:

٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء:

٢٥ * ١٢.

★ عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عَزَّجَلَّ ومعاشرته مع العباد،

المؤلف: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله

ابن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّينَوْرِيُّ، المعروف بـ (بن السُّنِّي) (المتوفى:

٣٦٤هـ)، المحقق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية

ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ عنوان المجد في تاريخ نجد، المؤلف: عثمان بن عبد الله بن بشر، الناشر:

دارة الملك عبد العزيز - الرياض.

★ العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم

الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي،

د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

★ عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

(المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تاريخ النشر:

١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ غاية المريد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: د. عبد الرحمن بن عبد العزيز

العقل، الناشر: مركز النخب العلمية - مطبعة معالم الهدى للنشر

والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م، عدد الصفحات: ٥٨٠.

★ غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى، المؤلف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣ هـ)، اعتنى به: ياسر إبراهيم المزروعى، رائد يوسف الرومى، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، عدد الأجزاء: ٢.

★ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢.

★ غرائب التفسير وعجائب التأويل، المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبله للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

★ غريب الحديث، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ - ٢٨٥]، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٣.

★ غريب الحديث، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم، مراجعة:

الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية، الناشر:
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ -
١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ٥.

★ غريب الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
(المتوفى: ٢٧٦ هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني
- بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧، عدد الأجزاء: ٣.

★ غريب الحديث، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي
أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة:
الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.

★ الغريين في القرآن والحديث، المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي
(المتوفى ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعته:
أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية
السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٦ (في
ترقيم واحد متسلسل).

★ الغنية لطالبي طريق الحق عَزَّوَجَلَّ، المؤلف: عبد القادر بن موسى بن
عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو
الكيلاي، أو الجيلي (المتوفى: ٥٦١ هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح
ابن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ فائدة جلية في قواعد الأسماء الحسنى، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: غراس، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ الفائق في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٤.

★ فَتَاوَى الإِمَامِ النَّوَوِيِّ الْمُسَمَّاةُ: «بِالْمَسَائِلِ الْمُنْثَوْرَةِ»، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ترتيب: تلميذه الشيخ علاء الدين بن العطَّار، تحقيق وتعليق: محمَّد الحَجَّار، الناشر: دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: السَّادِسَة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الصفحات: ٢٨٠.

★ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

★ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة، بيروت.

★ فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: ١ - محمود بن شعبان بن عبد المقصود، ٢ - مجدي بن عبد الخالق الشافعي، ٣ - إبراهيم بن إسماعيل القاضي، ٤ - السيد عزت المرسى، ٥ - محمد بن عوض المنقوش، ٦ - صلاح بن سالم المصري، ٧ - علاء بن مصطفى بن همام، ٨ - صبري بن عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

★ فتح الرحمن في تفسير القرآن، المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧هـ)، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخریجاً: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٧.

★ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

★ فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب = القول المختار في شرح غاية الاختصار (ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع)، المؤلف: محمد بن قاسم بن محمد بن محمد، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (المتوفى: ٩١٨هـ)، بعناية:

بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.

★ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: يوسف النبهاني، الناشر: دار الفكر - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٣.

★ فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٤.

★ الفردوس بمأثور الخطاب، المؤلف: شيرويه بن شهردار بن شيرويه ابن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمداني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٥.

★ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي

القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،
حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان،
دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ فضائل الصحابة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال
ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس،
الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣،
عدد الأجزاء: ٢.

★ فضائل القرآن (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب،
الجزء الخامس)، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، المحقق: عبد العزيز بن زيد الرومي، وصالح
ابن محمد الحسين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض،
المملكة العربية السعودية، عدد الصفحات: ٣٧.

★ فضائل القرآن للقاسم بن سلام، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام
بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية،
ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير (دمشق -
بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

★ فضل علم السلف على علم الخلف [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ
ابن رجب الحنبلي]، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد
ابن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب
طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الصفحات: ٣٤.

★ الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.

★ الفهرست، المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الغصن، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، عدد الصفحات: ١٤٣، عدد الأجزاء: ١.

★ قاعدة في الصبر، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٦ - السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١.

★ القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في

مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ قانون التأويل، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

★ قرة العينين برفع اليدين في الصلاة، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: أحمد الشريف، الناشر: دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ القرى لقاصد أم القرى، المؤلف: أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري المكي أبو العباس، عدد المجلدات: ١، عدد الصفحات: ٧٣٦.

★ القضاء والقدر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.

★ قفو الأثر في صفوة علوم الأثر، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي القادري التاذفي، الحنفي رضي الدين المعروف بـ ابن الحنبلي

(المتوفى: ٩٧١هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، المؤلف: محمد جمال الدين ابن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ١.

★ القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، المؤلف: ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: عبد الكريم الفضيلي، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ٢.

★ قوت المحتاج شرح المنهاج، المؤلف: شهاب الدين الأذرعى، تحقيق: عيد محمد عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م، عدد المجلدات: ١٢.

★ قوت المغتذي على جامع الترمذي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، إعداد الطالب: ناصر بن

محمد بن حامد الغريبي، إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، الناشر: رسالة الدكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

★ القول في علم النجوم للخطيب، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، درسه وحققه: الدكتور يوسف بن محمد السعيد، الناشر: دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ الكافي في فقه أهل المدينة، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار

الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م،
عدد الأجزاء: ١٠.

★ الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار
الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

★ كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، المؤلف: الحسين بن أحمد
ابن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مطبعة دار الكتب
المصرية (١٣٦٠هـ - ١٩٤١م)، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الأذكياء، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: مكتبة الغزالي، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الأربعين وهو ثالث الأربعينيات في الحديث الشريف، المؤلف:
أبو العباس الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن
عطاء الشيباني الخراساني النسوي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق وتعليق:
محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت،
الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الأصنام، المؤلف: أبو المنذر هشام بن محمد أبي النصر ابن السائب
ابن بشر الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد زكي باشا، الناشر: دار
الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الإيمان، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبه، عبد الله بن محمد بن
إبراهيم ابن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق:
محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية،
١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب التوحيد وقرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية / مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

★ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المؤلف: المنتجب الهمداني (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ٦.

★ كتاب القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَفَاض الفَرَيَّابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الكبائر للحافظ أبي بكر البرديجي، المؤلف: أبو بكر أحمد بن هارون ابن روح البرديجي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: محمد بن تركي التركي،

الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٦، السنة ٣٤ - ١٤٢٢هـ.

★ كتاب تفسير القرآن، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: مجلدان في ترقيم مسلسل واحد.

★ كرامات الأولياء للالكائي - من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية.

★ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ كشف الأستار عن زوائد البزار، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٤.

★ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر:

المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداي،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ كشف الشبهات، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة:
الأولى، ١٤١٨هـ، عدد الصفحات: ٦٠، عدد الأجزاء: ١.

★ كشف المخدرات والرياض الزاهرات لشرح أخصر المختصرات،
المؤلف: أحمد بن عبد الله الحلبي البعلي، عدد الأجزاء: جزءان، دار
النشر: دار النبلاء.

★ كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج
عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي
حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض، عدد الأجزاء: ٤.

★ كَشَفُ الْمَنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْمَصَابِيحِ، المؤلف: محمد
ابن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعي،
صدر الدين، أبو المعالي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، دِرَاسَة وَتَحْقِيق: د. مُحَمَّد
إِسْحَاقُ مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيمَ، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيان،
الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى،
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٥.

★ كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، المؤلف: ابن الجوزي، عبد الرحمن
ابن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، المحقق:

عبد العزيز بن راجي الصاعدي، الناشر: مكتبة دار السلام، سنة النشر: ١٩٩٣، عدد المجلدات: ٢، رقم الطبعة: ١.

★ كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتليس على قلب داود بن جرجيس، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة: ١١٩٣هـ - ١٢٨٥هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١) مثبت أسماؤهم بالمقدمة (ص ١٥)، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (آخر ٣ فهارس).

★ كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل ابن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي، أبو إسحاق الطرابلسي (المتوفى: نحو ٤٧٠هـ)، المحقق: السائح علي حسين، الناشر: دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة - طرابلس - الجماهيرية الليبية، عدد الأجزاء: ١.

★ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الطبعة: الرابعة، خرج أحاديثها: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: ١.

★ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب ابن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ الكنى والأسماء، المؤلف: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن يوسف ابن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى (المتوفى: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م، طبعة ثانية: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، عدد الأجزاء: ٢٥.

★ اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، المؤلف: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)، المحقق: محمد سعيد المولوي، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١.

★ لسان العرب، لابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

★ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلاّمى، البغدادى، ثم

الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ١.

★ اللطائف والظرائف، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المناهل، بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر وبعض تلاميذهم، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن ناصر السيف، عدد الأجزاء: ٥، رقم الطبعة: ١، بلد النشر: السعودية، المحقق: حسان بن إبراهيم السيف، دار النشر: دار العاصمة، تاريخ النشر: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

★ المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٨.

★ المبسوط في القراءات العشر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، عام النشر: ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ١.

★ المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صحيح الإمام البخاري، المؤلف: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي

عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٣.

★ مجاني الأدب في حقائق العرب، المؤلف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٩١٣ م، عدد الأجزاء: ٦.

★ مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

★ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠.

★ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

★ المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المدني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة

العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ج ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ج ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، عدد الأجزاء: ٣.

★ مجموع تحريج شمس الدين المقدسي، المؤلف: الشَّمْسُ، أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُقَدِّسِيِّ، الْحَنْبَلِيُّ، الْمُلَقَّبُ بِالْبُخَارِيِّ (ت ٦٢٣هـ)، الناشر: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤، [الكتاب مخطوط]، عدد الصفحات: ٩.

★ المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

★ مجموعة الرسائل والمسائل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی (المتوفى: ٧٢٨هـ)، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء في مجلدين.

★ المحاسن والأضداد، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

★ المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).

★ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥ هـ.

★ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، مؤلف الأصل: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصل (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، المؤلف: أبو يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ المختصر في علم الأثر (مطبوع ضمن كتاب: رسالتان في المصطلح)، المؤلف: محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافيجي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، المحقق: علي زوين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٥.

★ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

★ المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، عدد الأجزاء: ١.

★ المدخل إلى تقويم اللسان، المؤلف: ابن هشام اللخمي (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المحقق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الصفحات: ٥٨٠.

★ المدخل، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: ٧٣٧هـ)، الناشر: دار التراث، عدد الأجزاء: ٤.

★ المدونة، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٤.

★ مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

★ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المؤلف: شمس الدين أبو المظفر يوسف ابن قِزْأوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١-٦٥٤هـ)، تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققه]، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ربحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزبيق، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، عدد الأجزاء: ٢٣ (الأخير فهارس).

★ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ المراسيل، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

★ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

★ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المؤلف: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ٢٧.

★ مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، المؤلف: إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج (المتوفى: ٢٥١هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

★ مسائل حرب الكرمانى للإمامين: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، من قوله: (باب الماء الذي لا ينجسه شيء) إلى آخر كتاب الطهارة دراسة وتحقيقاً، المؤلف: أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خلف الكرمانى (المتوفى: ٢٨٠هـ)، الناشر: أطروحة الدكتوراه للشيخ: عامر بن محمد فداء بن محمد عبد المعطي بهجت - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الشريعة - قسم الفقه، المشرف: أ. د. عبد الله بن معتق السهلي حفظه الله، العام: ١٤٣٢ - ١٤٣٣ هـ، عدد الأجزاء: ١.

- ★ مسائل حرب الكرمانى، المؤلف: أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خلف الكرمانى (المتوفى: ٢٨٠ هـ)، إعداد: فايز بن أحمد بن حامد حابس، إشراف: فضيلة الشيخ الدكتور حسين بن خلف الجبوري، الناشر: جامعة أم القرى، عام النشر: ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٣.
- ★ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- ★ المستقصى في أمثال العرب، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٢.
- ★ مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- ★ مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧ هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.
- ★ مسند إسحاق بن راهويه، المؤلف: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه (ت ٢٣٨ هـ)، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٥.

★ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

★ مسند الإمام الشافعي، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م، عدد الأجزاء: ٢

★ مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

★ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

- ★ مسند الروياني، المؤلف: أبو بكر محمد بن هارون الروياني (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: أيمن علي أبو ياني، الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦، عدد الأجزاء: ٢.
- ★ مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ★ مسند الشهاب، اسم المؤلف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- ★ المسند للشاشي، المؤلف: أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي (ت ٣٣٥هـ)، تحقيق وتحرير: د. محفوظ الرحمن زين الله، (أستاذ الحديث واصطلاحه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، وعضو بمركز الدعوة والإرشاد بدبي)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢.
- ★ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: ٢.
- ★ مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، المؤلف: محمد بن حبان ابن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ مشاهير علماء نجد وغيرهم، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، عدد الأجزاء: ١.

★ المشيخة البغدادية - مخطوط، المؤلف: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سَلَفَه الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ)، عدد الأجزاء: (٣٥) جزء، ينقصها (١) و (٧)، عدد الأحاديث: (١٦٠٠) حديثاً، الناشر: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية.

★ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).

★ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

★ المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.



★ مطالع الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (المتوفى: ٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٦.

★ المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرنؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادى للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ ابن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

★ معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد ابن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢ م.

★ معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٥.

★ معاني القرآن، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

★ معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.

★ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، المؤلف: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ في مجلد واحد.

★ المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، المؤلف: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (المتوفى: ٦٤٧هـ)، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ١.

★ معجم ابن الأعرابي، المؤلف: أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد ابن بشر بن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠هـ)، تحقيق وتحرير: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٧.

★ المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥ هـ.

★ معجم الصحابة، المؤلف: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: ٣٥١هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨، عدد الأجزاء: ٣.

★ معجم الصحابة، المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ)، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، طبع على نفقة: سعد بن عبد العزيز بن عبد المحسن الراشد أبو باسل، عدد الأجزاء: ٥.

- ★ معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ابن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ★ المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ★ معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، المؤلف: عادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).
- ★ المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- ★ المعجم لابن المقرئ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم ابن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.



★ معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.

★ معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥.

★ معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٧ (٦ أجزاء ومجلد فهارس).

★ معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

- ★ معرفة علوم الحديث، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.
- ★ المعرفة والتاريخ، المؤلف: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: ٢٧٧هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٣.
- ★ المُعَلِّمُ بفوائد مسلم، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦هـ)، المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الناشر: الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٣.
- ★ معيار العلم في فن المنطق، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف، مصر، عام النشر: ١٩٦١م، عدد الأجزاء: ١.
- ★ المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩، عدد الأجزاء: ٣.

★ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ١.

★ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١٠.

★ المفاتيح في شرح المصابيح، المؤلف: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضرير الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري (المتوفى: ٧٢٧هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٦.

★ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ في ١.

★ المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

★ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٧.

★ مقاتل الطالبين، المؤلف: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦ هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى»، المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ)، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن



أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عني بتصحيحه:
هلموت ريتز، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة:
الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ١.

★ مقامات الحريري، المؤلف: أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى:
٥١٦هـ)، الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، عام النشر: ١٨٧٣ م، عدد
الأجزاء: ١.

★ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، المؤلف: إبراهيم بن محمد
ابن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى:
٨٨٤هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة
الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م،
عدد الأجزاء: ٣.

★ الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد
الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، الناشر:
مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.

★ من أعلام المجددين، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر:
دار المؤيد، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ من غاب عنه المطرب، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو
منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: المطبعة الأدبية، بيروت،
عام النشر: ١٣٠٩، عدد الأجزاء: ١.

★ منازل السائرين، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد ابن نصر الكسبي ويقال له: الكسبي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ)، المحقق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨، عدد الأجزاء: ١.

★ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.

★ المنتقى شرح الموطأ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ)، عدد الأجزاء: ٧.

★ منتهى الإرادات، المؤلف: تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار (٩٧٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥.

- ★ المنخول من تعليقات الأصول، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان، دار الفكر دمشق - سورية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.
- ★ المنفردات والوحدان، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨، عدد الصفحات: ٢٥١.
- ★ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد المجلدات: ٩.
- ★ منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، المؤلف: سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي، التبالي، العسيري، النجدي (المتوفى: ١٣٤٩هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: مكتبة الفرقان، الطبعة: الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.
- ★ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث

العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

★ المنهاج في شعب الإيثار، المؤلف: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحليمي (المتوفى: ٤٠٣ هـ)، المحقق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، المؤلف: أبو عبد الله، محمد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣ هـ)، المحقق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ١.

★ المذهب في اختصار السنن الكبير، اختصره: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف أبي تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١٠ (الأخيران فهارس).

★ المذهب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ٣.

★ الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠ هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور



ابن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧.

★ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله
محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب
الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة،
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٦.

★ موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، جمع
وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري - أحمد عبد الرزاق عيد - محمود محمد
خليل، دار النشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م،
عدد الأجزاء: ٤.

★ موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي
ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي
(المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،
تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله
الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان
ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م. عدد الأجزاء: ٢.

★ موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠
موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرناً)، المؤلف: أبو سهل محمد
ابن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع،
القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، الطبعة: الأولى،
عدد الأجزاء: ١٠.

★ موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.

★ الموقظة في علم مصطلح الحديث، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ ميزان الأصول في نتائج العقول، المؤلف: علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ)، حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقاً)، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ١.

★ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.

★ الميسر في شرح مصابيح السنة، المؤلف: فضل الله بن حسن بن حسين ابن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبُشْتِي (المتوفى: ٦٦١ هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هندراوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، الناشر: مكتبة الرشد / شركة الرياض - الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

★ النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ نتائج الفكر في النحو للسهيلي، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١.

★ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقاً بكتاب سبل السلام)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبابطي - عماد السيد، الناشر:

دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، حققه على نسخته مقروءة على المؤلف وعلق عليه: نور الدين عتر، الناشر: مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الصفحات: ١٤٩.

★ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المؤلف: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤ هـ)، عام النشر: ١٣٩١ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

★ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.

★ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى: ١٠٤١ هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان ص. ب ١٠، الطبعة الأولى ١٩٦٨، طبعة جديدة ١٩٩٧، عدد الأجزاء: ٨.

★ النفقة على العيال، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١ هـ)، المحقق: د. نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار ابن القيم - السعودية - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٢.



★ نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّجَلَّ من التوحيد، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المحقق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.

★ النكت على كتاب ابن الصلاح، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عدد المجلدات: ٢، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

★ نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن ابن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

★ نواذر الأصول في أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤلف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجليل - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

★ نواهد الأبرار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي]، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الصفحات: ٨٧.

★ نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٨.

★ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢)، ومجلد للفهارس).

★ الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

★ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام للسخاوي، ط: مؤسسة الرسالة، بتحقيق الدكتور بشار عواد، والدكتور أحمد الخطيمي، وعصام فارس الحرساني.

★ الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١.

★ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.

★ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ٤.



فهرس الموضوعات

- ٣٩- بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ..... ٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾..... ٥
- مناسبة الباب لكتاب التوحيد..... ٥
- جحد الجهمية لأسماء الله وصفاته..... ٧
- تكفير العلماء للجهمية..... ٧
- طريقة أهل السنة في إثبات الأسماء والصفات..... ١٠
- الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات..... ١٥
- تصنيف علماء السلف في الرد على الجهمية..... ١٦
- شرح قول عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدَّثُوا النَّاسَ...»..... ٢١
- قاعدة هامة لطالب العلم..... ٢١
- طريقة أهل السنة والحديث وأئمة الدعوة في الدعوة والتصانيف..... ٢٤
- شرح أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا....»..... ٢٦
- صفة أهل البدع عند سماع النصوص..... ٣١
- ذكر ما ورد عن علماء السلف في التشابه..... ٣٩
- تعريف المحكم والمتشابه..... ٣٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾..... ٤٤
- مسائل الباب..... ٤٦



- ٤٠- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾..... ٤٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾..... ٤٨
- معنى قول مجاهد في تفسير الآية..... ٤٨
- كلام عون بن عبد الله في تفسير الآية..... ٤٨
- تفسير ابن قتيبة للآية..... ٤٨
- كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ..... ٥٣
- مسائل الباب..... ٥٧
- ٤١- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾..... ٥٩
- شرح قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا...﴾..... ٥٩
- الشاهد من الآية..... ٥٩
- تعريف النذر..... ٥٩
- شرح أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير الآية..... ٧٣
- سبب تنبيه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على هذه الأمور..... ٧٣
- شرح حديث عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ حَلَفَ...»..... ٧٦
- حكم الحلف بغير الله عَزَّ وَجَلَّ..... ٧٦
- شرح أثر ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَحْلِفْ بِاللَّهِ...»..... ٧٧
- شرح حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فَلَانٌ...»..... ٩٣
- شرح أثر إبراهيم النخعي: «أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ...»..... ٩٦
- أنواع العلوم النافعة..... ٩٧
- مسائل الباب..... ٩٩

- ٤٢- بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلْفِ بِاللّٰهِ..... ١٠٣
- مناسبة الباب لكتاب التوحيد..... ١٠٤
- مسائل في حديث ابن عمر رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا..... ١٠٦
- مسائل الباب..... ١١١
- ٤٣- بَابُ قَوْلٍ: مَا شَاءَ اللّٰهُ وَشِئْتَ..... ١١٢
- شرح حديث قتيلة رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا..... ١١٢
- مناسبة الباب لكتاب التوحيد..... ١١٣
- فائدة هامة في قول الشارح: (وفيه قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان)... ١١٦
- شرح حديث ابن عباس رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ...»..... ١٢٧
- شرح حديث الطفيل رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ...»..... ١٢٩
- مسائل الباب..... ١٣٣
- ٤٤- بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آدَى اللّٰهُ..... ١٣٥
- تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا...﴾..... ١٣٥
- الفرق بين الضر والإيذاء في حق الله تعالى..... ١٣٦
- شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: «قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ...»..... ١٤٠
- اعتقاد المشركين في الدهر..... ١٤٢
- مسائل الباب..... ١٥٢
- ٤٥- بَابُ التَّسْمِيِّ بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ..... ١٥٤
- مناسبة الباب لكتاب التوحيد..... ١٥٤
- شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ...»..... ١٥٥
- النهي عن التسمي بملك الأملاك..... ١٥٥

- حكم القيام للشخص..... ١٦٣
- مسائل الباب..... ١٦٦
- ٤٦- بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الْأَسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ..... ١٦٨
- مناسبة الباب لكتاب التوحيد..... ١٦٨
- شرح حديث أَبِي شُرَيْحٍ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ...»..... ١٦٩
- الحكم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وإليه الحكم..... ١٧١
- مسائل الباب..... ١٨٢
- ٤٧- بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ..... ١٨٣
- أهمية هذا الباب..... ١٨٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ...﴾..... ١٨٣
- شرح حديث ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة: «أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ...»..... ١٨٦
- خطورة اللسان..... ٢٠٢
- مسائل الباب..... ٢٠٤
- ٤٨- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ...﴾..... ٢٠٥
- شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي...»..... ٢١٣
- مراتب الشكر..... ٢٢٠
- مسائل الباب..... ٢٢٢
- ٤٩- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَليحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا
- ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾..... ٢٢٤
- المقصود في الآية آدم وحواء..... ٢٢٤

- ٢٢٩.....تحريم التعبد لغير الله عَزَّوَجَلَّ.
- ٢٣٣.....حكم التسمي بعبد المطلب.
- ٢٣٦.....حقيقة شرك الطاعة.
- ٢٣٨.....مسائل الباب.
- ٥٠- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا
- ٢٤٠.....الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾.
- ٢٤٠.....إن لله تسعة وتسعين اسما.
- ٢٤٣.....أصل الإلحاد في كلام العرب.
- ٢٥٠.....طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات.
- كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في أقسام ما يجري صفة أو خبراً على الرب
- ٢٥٥.....تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
- ٢٥٧.....مسائل الباب.
- ٥١- بَابٌ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ.....
- ٢٥٩.....شرح حديث ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...».
- ٢٦٠.....السلام من أسماء الله تعالى.
- ٢٦٢.....بيان معنى السلام في التحية.
- ٢٦٣.....كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى السلام.
- ٢٦٤.....تضمن لفظ السلام معنيين.
- ٢٦٩.....مسائل الباب.



٥٢- بَابُ قَوْلٍ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ٢٧٠

شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ » ٢٧٠

محظوران في قول الداعي : اللهم اغفر لي إن شئت ٢٧٢

مسائل الباب ٢٨١

٥٣- بَابٌ لَا يَقُولُ : عَبْدِي وَأَمْتِي ٢٨٢

شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ ... » ٢٨٢

مناسبة الباب لكتاب التوحيد ٢٨٢

مسائل الباب ٢٨٩

٥٤- بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ ٢٩١

شرح حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ ... » ٣٠٤

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ » ٣٠٤

التفصيل في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ » ٣٠٦

مسائل الباب ٣١٣

٥٥- بَابٌ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ ٣١٥

شرح حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ ، إِلَّا الْجَنَّةُ » ٣١٥

مسائل الباب ٣٢٠

٥٦- بَابٌ مَا جَاءَ فِي اللَّوْ ٣٢١

مناسبة الباب لكتاب التوحيد ٣٢١

تفسير قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ ٣٢٣

- تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا...﴾ ٣٢٦.....
- شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ...» ٣٣٢.....
- (لو) تفتح عمل الشيطان..... ٣٣٦.....
- كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الحديث..... ٣٤٠.....
- أصول عظيمة من أصول الإيمان ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الحديث ٣٤٣..
- مسائل الباب..... ٣٤٥.....
- ٥٧- بَابُ النَّهْيِ عَنِ سَبِّ الرِّيحِ..... ٣٤٦.....
- شرح حديث أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ...» ٣٤٦.....
- مناسبة الباب لكتاب التوحيد..... ٣٤٦.....
- مسائل الباب..... ٣٥١.....
- ٥٨- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَطْئُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ...﴾ ٣٥٣.....
- تفسير قول الله تعالى: ﴿يَطْئُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ...﴾ ٣٥٣.....
- تفسير قوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُلْمَ السَّوْءِ...﴾ ٣٥٧.....
- ما تضمنته وقعة أحد..... ٣٦١.....
- مسائل الباب..... ٣٩٩.....
- ٥٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكَرِي الْقَدْرِ..... ٤٠٠.....
- مناسبة الباب لكتاب التوحيد..... ٤٠١.....
- تعريف القدر..... ٤٠١.....
- شرح حديث ابْنِ عُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ...» ٤٠٣.....
- شرح حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ...» ٤٠٧.....

- شرح حديث ابن الديلمي: «أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ» ٤١٣
- مسائل الباب ٤٢١
- ٦٠- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ ٤٢٣
- سبب الوعيد الشديد على المصورين ٤٢٨
- شرح حديث أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: «قَالَ لِي...» ٤٣٣
- مناسبة الجمع بين الصورة والقبر في الحديث ٤٣٣
- كلام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَنْ الْغُلُوَّ الْقُبُورِ جَرَّ النَّاسَ إِلَى الشَّرِّ الْأَكْبَرِ ٤٣٧
- مفاسد الغلو في القبور والأموال ٤٤٩
- تجريد السلف الصالح التوحيد وحماية جوانبه ٤٧١
- معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا» ٤٧٧
- مسائل الباب ٤٩١
- ٦١- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ ٤٩٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ...﴾ ٤٩٣
- تفسير السلف للآية ٤٩٣
- الشاهد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ...» ٤٩٦
- شرح حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكُلَّمُهُمْ...» ٤٩٩
- معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُشِمِطُ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» ٥٠٠
- موطن الشاهد من الحديث ٥٠٠
- شرح حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي...» ٥٠٨

- شرح أثر إبراهيم النخعي: «وَكَاثُوا يَضْرِبُونَنَا...»..... ٥١٧
- مسائل الباب..... ٥٢٠
- ٦٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ..... ٥٢٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ...﴾..... ٥٢٣
- معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ...»..... ٥٢٤
- شرح حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ...»..... ٥٢٦
- مسائل الباب..... ٥٤٣
- ٦٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ..... ٥٤٥
- شرح حديث جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ...»..... ٥٤٥
- فوائد من الحديث..... ٥٥١
- مسائل الباب..... ٥٥٣
- ٦٤- بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ..... ٥٥٥
- شرح حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ...»..... ٥٥٥
- التفكير في آلاء الله عَزَّ وَجَلَّ..... ٥٥٧
- تفصيل العلماء في سؤال الحي الدعاء..... ٥٥٨
- مسألة الاستشفاع بالميت وأن هذا شرك..... ٥٥٨
- المراد بالاستشفاع بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته..... ٥٥٨
- مسائل الباب..... ٥٦٨
- ٦٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ..... ٥٦٨
- طُرُقُ الشُّرْكِ..... ٥٦٩
- مناسبة الباب لكتاب التوحيد..... ٥٧٢



- شرح حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٥٧٢
- اختلاف العلماء في تسمية العبد بالسيد..... ٥٨٠
- مسائل الباب..... ٥٨٣
- ٦٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾..... ٥٨٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾..... ٥٨٤
- حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»..... ٥٨٨
- حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ...»..... ٥٩٦
- حديث ابنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ...»..... ٥٩٦
- حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ...»..... ٥٩٦
- حديث ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا...»..... ٥٩٦
- حديث الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلْ تَدْرُونَ...»..... ٥٩٧
- كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في علو الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٦٠٥
- أقوال الصحابة والتابعين في الرد على نفاة الصفات..... ٦١٦
- الجهنم بن درهم هو أول من أنكر العلو..... ٦٢٠
- رد الأئمة على الجهمية في إثبات العلو (علو الذات)..... ٦٢٠-٦٢٢
- مسائل الباب..... ٦٣١
- مراجع التحقيق..... ٦٣٦
- فهرس الموضوعات..... ٧٥١

